رسائل ابن عربي

كتاب اليقين و كتاب المعرفة

(٤)

تحقيق وتقديم

سعيد عبد الفتاح

مؤسسة الانتشار العربي

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نص كتاب اليقين

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسّر برحمتك
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

مقدمة المؤلف

قال سيدنا وشيخنا وإمامنا الشيخ الإمام العالم المقرىء المحدث شيخ دهره وفريد عصره شيخ الطريق وإمام التحقيق محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد العربي الحاتمي الطائي نفعنا الله به[١].

الحمد لله الذي أرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين، وأمر نبيه محمداً (ص) بعبادته[٢] حتى يأتيه اليقين، وجعل اليقين حقاً وعيناً وعلماً[٣]، ولم يجعل ذلك[٤] لغيره من مقامات المقربين، فقال عزّ من قائل: ﴿وإنه لحق اليقين﴾[٥].

وفي موضع آخر: ﴿لترونها عين اليقين﴾[٦].

وفي موضع آخر: ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾[٧].

وصلى الله على المعطى[٨] منه أوفر[٩] حظ، والممكن فيه أشد تمكين وعلى آله وسلم كثيراً[١٠].

---

(١) هذه المقدمة كاملة سقطت من النسخة (ب)، (ج).
(٢) في النسخة (ب): (بعبادة ربه) وكذلك النسخة (ج).
(٣) الترتيب مختلف في (ب): (علماً وحقاً وعيناً) وكذا النسخة (ج).
(٤) في (ب): (ذالك) هكذا وهي مكررة في النسخة (ب) جميعها وسأكتفي بهذه الإشارة.
(٥) القرآن الكريم، سورة الحاقة، الآية ٥١، مكية.
(٦) القرآن الكريم، سورة التكاثر، الآية ٧، مكية ﴿ثم لترونها عين اليقين﴾.
(٧) القرآن الكريم، سورة التكاثر، الآية ٥، مكية.
(٨) في النسخة (ب): (على من أعطى).
(٩) في النسخة (ب): (وافر).
(١٠) في النسخة (ب): (تسليماً).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمّا بعد[١]

فإن اليقين مقام شريف بين العلم والطمأنينة. وهو مشتق من يقن الماء[٢] في الحفرة إذا استقر فيها، وقد يكون أيضاً مشتق من اليقن وهو العود[٣] الذي في [يد][٤] الرجل يمسكه مدبر السفينة[٥].

وكذلك اليقين[٦] (عبارة عن استقرار العلم في القلب بحيث لا يزول، ومهما)[٧] فقد من محل المؤمن وانتفى عنه انتفى الإيمان والعلم وأعقبه الشك. والشك نوع من الشرك[٨] أو تعطيل. ولهذا لما قيل في إبراهيم[٩]، (عليه السلام)[١٠]، ما قيل حتى[١١] قيل له: **﴿أولم تؤمن﴾**[١٢].

قال محمد، عليه الصلاة والسلام[١٣]: **(نحن أولى بالشك من إبراهيم)**[١٤].

فأثبت له اليقين. فمعلوم[١٥] أن اليقين كان عنده، والطمأنينة كانت المطلوبة التي يعطيها اليقين[١٦] ولذلك قال: **﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾**[١٧].

---

(١) سقطت من النسخة (ب).
(٢) في النسخة (ب) و(ج): (وربما اشتق اليقين من يقين الماء).
(٣) في النسخة (ب): (إذا استقر في اليقين استقرار الإيمان في القلب، ومنها اشتق اليقين وهو العود). هذه الفقرة بدلاً من الفقرة التي بين القوسين. وفي (ج) كذلك بتخفيف.
(٤) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل ولزمه السياق.
(٥) في النسخة (ب): الذي يديره السفينة، وفي (ج): (تدبر به).
(٦) في النسخة (ب): إذا فقد من..... إلخ وفي (جـ): كذلك.
(٧) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب) وكذلك (ج).
(٨) في النسخة (ب): (والشك شرك محض) و(ج) كذلك.
(٩) في النسخة (ب): (قال لإبراهيم).
(١٠) ساقطة من (ب).
(١١) في النسخة (ب): (حيث).
(١٢) **القرآن الكريم**، سورة البقرة، الآية ٢٦٠، مدنية.
في النسخة (ب): تكملة الآية **﴿قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾** زائدة.
(١٣) في النسخة (ب): ألفاظ الثناء تختلف كثيراً عنها في الأصل، وأحياناً توجد في (ب) دون الأصل. ولذا سأبقى على ألفاظ الثناء في الأصل. ولن أشير إلى ما في النسخة (ب) حتى لا أثقل الهامش أكثر من اللازم وسأكتفي بهذه الإشارة: محمد (صلى الله عليه وسلم). إبراهيم (عليه السلام).
(١٤) حديث: **(نحن أولى بالشك من إبراهيم)**. رواه أحمد في مسنده «نحن أحق بالشك من إبراهيم» ج٢ - ص٣٢٦ والبخاري في صحيحه ج٥ ص١٦٣.
(١٥) في النسخة (ب): (ومعلوم)، وكذا (ج).
(١٦) في النسخة (ب): (العين)، وفي (ج): (التي تعطيها العين).
(١٧) الآية السابقة مباشرة وهذه تكملتها: **﴿قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾**.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والسكون أمرٌ آخر زائد[١] على اليقين (فجاز أن يطلب. وسنذكر أن الحق إذا كان هو نفس اليقين، يكن أيضاً)[٢]، نفس العلم. فكيف يضاف الشيء إلى نفسه في قوله: **﴿وإنه لحق اليقين﴾**[٣].

(وعلم اليقين، **وعين اليقين**)[٤].

وأمَّا عين اليقين فيمكن أن يتصور فيه الإضافة. هذا على مذهب أهل العبادات[٥].

وأمَّا على طريق[٦] التحقيق فالواوان مثلاً. أو الحرفان المتماثلان المشتركان في الصورة ما جاء المعنى واحد أصلاً وأنهما[٧] خلافان من حيث مدلولهما فتصح الإضافة. وما قال بإضافة الشيء إلى نفسه إلاّ من لا معرفة له بالحقائق ولا بالتوسع الإلهي. فإن اللّه تعالى لا يكرر شيئاً واحداً[٨] مرتين بمعنى واحد، (وإذا لم يكن كذلك، فما ثم شيء)[٩] يضاف إلى نفسه رأساً.

فنقول[١٠]: إن اليقين لما اعتنى اللّه به دون غيره من المقامات أكمل نشأته فسوى[١١] ذاته أولاً. وهو حين أرسله مطلقاً مثل قوله تعالى: **﴿وما قتلوه يقينا﴾**[١٢].

وقوله: **﴿حتى يأتيك اليقين﴾**[١٣].

ثم جعل له علماً وعيناً وحقاً، وأخفى[١٤] حقيقة.

فإن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) يقول: **(لكل حق حقيقته...)**[١٥].

---

(١) في الأصل: (والسكون أمراً، آخراً، زائداً).

(٢) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب)، ومن (ج) سقط (يكن أيضاً).

(٣) الآية الأولى هي كما قلنا (٥١) من سورة الحاقة. أما الآيتان (٥،٧) من سورة التكاثر فهما: الآية (٥) **﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾**. (٧) **﴿ثم لترونها عين اليقين﴾**.

(٤) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب).

(٥) في النسخة (ب): (أصحاب العبادات) وكذا النسخة (ج).

(٦) في النسخة (ب): (وأما طريق) وكذا النسخة (ج).

(٧) في النسخة (ب): (وأنهما).

(٨) سقط من النسخة (ب)، وفي (ج): (لا يكرر شيئاً مرتين لمعنى واحد).

(٩) في النسخة (ب): (وإذا لم يكن ثم يكرر شيء)، وفي (ج) (وإذا لم يكن ثم تكرار فما ثم شيء).

(١٠) في (ب): (ثم نقول).

(١١) في الأصل (وسّوى).

(١٢) **القرآن الكريم**، سورة النساء، الآية ١٥٧، مدنية.

(١٣) **القرآن الكريم**، سورة الحجر، الآية ٩٩، مكية.

(١٤) في النسخة (ب): (وخفى).

(١٥) في النسخة (ب): (لكل حقيقة).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد ثبت حق اليقين. فلا بد لهذا الحق من حقيقة وهو حقيقة اليقين. فصار اليقين، على هذا، نشأة قائمة على أربعة أركان. (وهو: علم، وعين، وحق وحقيقة. فالحقيقة مثبتة والثلاثة الأركان)[1] كتابية فساوى جميع النشآت[2] من جهة التربيع. فإذا تحققت هذا فلتعلم[3] أن اليقين هو: اسم[4]، ويكون منه فعل فيظهر في حضرة الأفعال على مراتبها. وليس يمكن[5] أن يوصف به موجده بخلاف العلم. وهذا مما يدل على أن لليقين نشأة[6] قائمة توصف بالعالم[7] كزيدٍ وعمرو (وغير ذلك)[8].

ومعلوم أنه ليس بصفة نقص فينا بل هو كمال، ولكن للحوقه بالنشأة لم يتصف به القديم، واتصف بالعلم، والعين، والحق، وغير ذلك.

(وفلكه واسع. فكان في حركته بطء، لاتساع فلكه)[9] ولعلوه، وارتفاعه، فلا يظهر له في عالم التركيب ذلك الأثر القوي[10] إلا عند القليل من المتروحنين من البشر، وذلك لعلو همتهم[11] فإنها جازت عليه في فلكه وقربت منه فحصل[12] آثاره فيها. ولذلك قلّ فقال تعالى[13]: ﴿**لقوم يوقنون**﴾[14].

فجعلهم قوماً. وانظر بعين بصيرتك إلى العقل فتجد براهينه واعتماداته في اقتناء[15] علومه التي تقطع بها مَبْنيَّة على ما نأخذ من الحس على مراتب الحقائق[16].

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ب).
(٢) في النسخة (ب): (النشأة)، وكذا في (ج).
(٣) في الأصل: (فتعلم).
(٤) في النسخة (ب): (هو الله).
(٥) في النسخة (ب): (ولا ليتمكن).
(٦) في النسخة (ب): (نشاءة).
(٧) في النسخة (ب): (بوصف العلم).
(٨) سقطت من النسخة (ب).
(٩) في النسخة (ب): (ولما كان فلك اليقين واسعاً في حركته نطء لاتساع) وكذلك النسخة (ج). هكذا الصياغة كما أثبتتها النسخة (ب) وواضح أنه اختلاف في السماع، وأنها رواية أخرى غير التي اعتمد عليها هذا الأصل. فما يلاحظه القارئ هنا ليس نسخاً فقط.
(١٠) في النسخة (ب): (أثر ظاهر) وفي (ج): (الأثر الظاهر).
(١١) في النسخة (ج): (العلو هممهم).
(١٢) في النسخة (ب): (فحصلت) وكذلك (ج).
(١٣) (ولذلك قال تعالى): في النسختين (ب)، (ج).
(١٤) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١١٨، مدنية.
(١٥) في النسخة (ب): (فإنك تجد براهنه واعتمادته في إفشاء).
(١٦) في النسختين (ب)، (ج): (الحس) وغير واضحة بالأصل ولكنها تبدو هكذا.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وانظر ما في الحس من الغلطات بحيث ربما إن تتبعتها لم تثق بما تراه. ولا سيما إن كنت من أهل الكشف واليقين، فتبصر نطق الجمادات، والعقل يقضي فيها بعدم النطق والحياة لأنه ما أبصر[١] حكمها حكم الحيوان فحكم بشاهد[٢] الحس. ونحن نعلم قطعاً أن الحاكم[٣] هنا غالط بلا شك.

وإن كنا نحن[٤] لا نقول بأن الحس يغلط[٥]، وإنما جربنا في هذه النسبة إليه لما تووطىء[٦] عليه.

وقد نبّهت الشريعة على كثير من هذا. من سلام الحجر[٧]، وكلام كتف الشاة[٨]، وتسبيح الحصى[٩] وغير ذلك.

فإذا كان الممد للعقل بهذا[١٠] القصور العظيم[١١] والغلط البين الفاحش، فالعقل أبعد وأبعد[١٢] وأشد قصوراً، وأعظم عجزاً، وأقل علماً. وهو[١٣] يتخيل أنه في اليقين وليس كذلك. وإنما هو يقطع[١٤] بما عنده.

ويقول: إن هذا هو الحق اليقين، والعلم الذي لا يمكن غيره.

وربما يبقى زماناً طويلاً يعتقد في الشيء أنه على كذا، ثم[١٥] يتبين بعد بعلامة أخرى لم

---

(١) في النسخة (ب): (أبصر).
(٢) في النسخة (ب): (ليشاهدوا).
(٣) في النسخة (ب): (الحس) وهي: تجوز. لأنه يعتبر الحس حاكماً. واعتبره شاهداً أيضاً. فكلاهما صحيح.
(٤) في النسخة (ب): (نعلم).
(٥) يخالفه الإمام أبو حامد الغزالي في هذه القضية حيث يلقي اللوم على الحواس من أنها تغلط ولا تعطي الحقيقة في بعض الأحوال. ثم ضرب مثالاً للنظر. قال: تنظر إلى القمر وهو بعيد فيبدو لنظرك صغيراً فإذا اقتربت منه اختلفت نظرتك، مما دفعه للشك في الحواس وقدراتها على إعطاء الحقيقة كاملة. انظر أبو حامد الغزالي في كتابه القيم: **المنقذ من الضلال**.
(٦) في الأصل وفي (ب): (تواطىء) والصحيح ما أثبتناه لغياب الفاعل الحقيقي. وربما قصد: (لما تواطىء عليه العلماء). وفي (ج): (لمالوه لي).
(٧) في النسخة (ب): (مثل: نطقا سلام الحجر).
(٨) في النسخة (ب): (وكشف النشاءة المسمومة).
(٩) كل هذه معجزات حدثت على يدي سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم).
(١٠) في النسخة (ب): (بهذه).
(١١) سقط من النسختين: (ب)، (ج).
(١٢) سقط من النسختين: (ب)، (ج).
(١٣) في النسخة (ب): (فهو)+ (ج).
(١٤) في النسخة (ب): (وأيضاً هو في القطع)، و(ج): (إنما هو في القطع).
(١٥) سقطت من النسخة: (ب).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تكن عنده أن ذلك الأمر على خلاف ما كان يعتقده. وأن ذلك الذي كان يسميه: «يقين[١] حقاً» كان غالطاً فيه، وكان جهلاً محضاً. وأنى يستتب له[٢] أيضاً القطع بهذا الآخر، ولعله مثل الأول. فإذا أنصف الناظر نفسه لم يبق بما عنده من مواد[٣] عقله وحسّه ألبتة، ولنعول على علمه[٤] على الوهب الإلهي والإمداد الرباني.

ولهذا قلنا: إن دائرة اليقين واسعة جداً، عالية، ثقيلة الحركة، خفيفة الأثر. لأن الشكوك هي الغالبة، والقطع على جهالة لا على يقين فيسمى[٥] ذلك القطع يقيناً.

ومما يؤكد ما ذكرناه: أنا نعلم[٦] قطعاً أن الأشعري[٧] يعتقد في المعتزلي بخلق[٨] الأفعال، وشبه ذلك[٩]، أنه على باطل. ويقطع بعلم ذلك قطعاً.

والمعتزلي[١٠] في الأشعري في تلك المسألة بعينها على النقيض. يقطع بأن الأشعري على غلط وجهل في ذلك قطعاً[١١].

وكذلك في جميع المذاهب الشرعية[١٢] بين الأئمة من التحليل والتحريم والنظرية. كل واحد من المخالفين يقطع بفساد مذهب صاحبه.

فأين اليقين على هذا؟ والحق لا يكون (في النظريات)[١٣] إلا في طرف واحد. (لكن

---

(١) في النسخة (ب): (يسمعه يقيناً)، وفي (ج): (علماً يقيناً).

(٢) في النسخة (ب): (يثبت له القطع).

(٣) في النسخة (ب): (من موارد).

(٤) في النسخة (ب): (ويعول في علمه).

(٥) في النسخة (ج): (فسمى).

(٦) في النسخة (ب): (أن نعلم).

(٧) **الأشعري**: يقصد ابن عربي هنا من هو على المذهب الأشعري. وهم الأشاعرة: الفرقة المنسوبة إلى «أبي الحسن الأشعري»، وهي التي أصبح لها شأن كبير في الفكر الإسلامي. وهم الذين قالوا بخلق الأفعال وأن المؤثر فيه قدرة الرب لا قدرة العبد. انظر **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ص ١.

(٨) التعديل من النسخة (ب) لأنها في الأصل: (في خلق).

(٩) في النسخة (ب): (وشبهها) وفي (ج) كذلك.

(١٠) **المعتزلي**: أي: المنسوب إلى فرقة المعتزلة. وهم: نسبة إلى الاعتزال من مجلس الإمام الحسن البصري على يد إمام المعتزلة واصل بن عطاء، شيخ المعتزلة الأول، الذي اعتُبر من أكبر بلغاء العرب. ومذهبه أن الناس كانوا مختلفين في عهده إلى طوائف متعددة لكنهم متفقون على أن مرتكب الكبيرة فاسق وهي (المنزلة بين المنزلتين) كما قال واصل بن عطاء. انظر **الأصول العامة الفلسفية للمعتزلة**. انظر **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، د/علي سامي النشار، جـ١، ص ٣٧٣.

(١١) (ذلك قطعاً): ساقطة من النسخة (ب) وفي (ج) سقط (في ذلك).

(١٢) في النسخة (ب): (ذالك المذاهب الشريعية).

(١٣) ما بين القوسين من (ب)، (ج).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي طرف هو؟)[١] ومع أي مذهب هو؟ حتى نعتقده ونتيقنه[٢].

فخرج من هذا كله، أن اليقين من جهة الحقيقة غير حاصل، وأن القطع حاصل عندهم فيسمونه[٣] يقيناً، وليس كذلك، فلو كانت دائرة فلك اليقين قريبة منا سريعة الدور ضيقة الفلك[٤] لكان الخلق أكثرهم على اليقين، وكانوا على سبيل الحق. لكن الأمر[٥] بالعكس. وانظر في إشارة الشرع يقول تعالى لنبيه: ﴿**وإن[٦] تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله**﴾[٧].

وقلل العاملين فقال[٨]: ﴿**الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم**﴾[٩].

أين أنت من أصحاب اليقين، الذين هم أقل من العمال[١٠]؟

بل نبه عليهم: بقوم. فهم أقل من القليل لما ذكرناه. وأعني بالقوم هنا السامعين الخطاب منه[١١] في المجلس وأنه فوق الإيمان بلا شك. فأين الطمأنينة؟ فهي أبعد وأبعد[١٢] وقول النبي في عيسى، (عليه السلام): (**لو ازداد يقيناً لمشى في الهواء**)[١٣].

فلم يكن عنده يقين يرفعه عن هذه الكرة كما رفع محمد (صلى الله عليه وسلم).

ونحن ما مشينا[١٤]، في الهواء[١٥] العظيم[١٦] بيقيننا، ولا أكبر من عيسى[١٧]، عليه السلام، في اليقين. بل كان ذلك بحكم تبعية إمامنا محمد (صلى الله عليه وسلم)[١٨] فلما

---

(١) ما بين القوسين من (ب) وزيد بعد هذه الجملة جملة أخرى هي (فما يرجو من العلوم إلى النظر) وكذلك (ج).
(٢) في النسخة (ب): (ونستيقنه).
(٣) في النسخة (ب): (ويسمونه)، وكذلك (ج).
(٤) في النسخة (ب): (لكانت سريعة الأثر) زائدة وكذا (ج).
(٥) في النسخة (ب): (كما ترى) زائدة. وكذلك (ج).
(٦) في النسخة (ب): (ومن قطع..) الآية.
(٧) **القرآن الكريم**، سورة الأنعام، الآية ١١٦، مكية.
(٨) في النسخة (ب) (وقال الصالحين)، وفي (ج): (وقلل الصالحين فقال).
(٩) **القرآن الكريم**، سورة ص، الآية ٢٤، مكية.
(١٠) في النسخة (ب): (أقل من القليل عمال الصالحات) وفي (ج): (الذين هم أقل من عمال الصالحات).
(١١) في النسخة (ب): (عنه).
(١٢) أثبتنا هنا كلمة (فهي) من النسخة (ب) لفائدتها في السياق، وقد سقطت من الأصل ومن النسخة (ج).
(١٣) في الأصل وفي (ب): (الهوى)+(ج). الحديث «لو ازداد يقيناً لمشى في الهواء» انظره في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١١ ص ٢٠٢.
(١٤) في النسخة (ب): (ونحن مشينا).
(١٥) في سائر النسخ: (الهوى) وكل كلمة هواء هي كذلك.
(١٦) سقطت من النسخة (ب).
(١٧) في النسخة (ب): (ولا أنا أكبر من عيسى)، في (ج): (ولا أنا).
(١٨) في النسخة (ب): (في اليقين كالأمراء عند السلطان بل لما) زائدة.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مشى في الهواء مشينا، كما مشى أصحاب عيسى مع عيسى على الماء، بحكم التبعية الصحيحة، لا بحكم اليقين، كالأمراء عند الملك[١] إذا جعل لهم في حضرته مراتب لا يتعدونها، ثم يرون أميراً قريب المرتبة من الملك[٢]، وآخر أبعد منه، وآخر أبعد من ذلك الآخر. ولا يجرؤ أحد من الأمراء يتعدى مرتبته إلى مرتبة غيره أصلاً.

ثم يدخل[٣] الأمير القريب المرتبة إلى مرتبته فيدخلون معه مماليكه[٤]، وتتأخر الأمراء عند الدخول لكون مرتبتهم دون ذلك. وكل أمير في مرتبته حيث[٥] كانت مماليكه معه. ومعلوم أن مرتبة الأمراء أعظم من مرتبة[٦] المماليك، (ورأينا مماليك)[٧] صاحب المرتبة المقربة[٨] قد دخلوا مع أميرهم إلى مرتبته، فعلمنا قطعاً أن ذلك ليس لشرف مملوك[٩] هذا الأمير المقرب على هذا الأمير الذي هو دونه. وأن الأمير الذي[١٠] هو دونه أشرف من مماليك[١١] المقرب عند الملك[١٢]؛ لأن مرتبة الإمارة[١٣] فوق مرتبة المأمورين[١٤] عليهم.

فتيقنا أن دخول المماليك في تلك المرتبة إنما هو من أجل سيدهم لا من حيث هم. فكذلك شرفنا الذي أعطانا الله[١٥] وعلمنا، (وقوتنا، التي لم يعطها لنبي ليس ذلك لكوننا)[١٦] أشرف من الأنبياء.

---

(١) في النسخة (ب): (عند السلطان)، وكذلك النسخة (ج).
(٢) في النسخة (ب): (ثم إن نرى أمير قريب المرتبة من السلطان) وكذلك النسخة (ج) ويبدو أنهما مشتركان في كل شيء.
(٣) في النسخة (ب): (فإذا دخل) وسقط باقي الجملة وكذا في (ج).
(٤) في النسخة (ب): (دخل معه مماليكه).
(٥) في النسخة (ب): (بحيث).
(٦) في النسخة (ب) (منزلة) وكذلك (ج).
(٧) ما بين القوسين سقط من (ب).
(٨) في النسخة (ب): (القريبة) وفي (ج) كذلك.
(٩) في النسخة (ب): (مماليك) والنسخة (ج) كذلك.
(١٠) الزيادة من النسخة (ب).
(١١) في النسخة (ب): (المماليك).
(١٢) في النسخة (ب): (السلطان).
(١٣) في النسخة (ب): (الأمير).
(١٤) في الأصل: المؤثر وفضلنا ما في النسختين: (ب)، (ج).
(١٥) لفظ الجلالة سقط من النسخة (ب).
(١٦) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكن[١] لما كان نبينا أشرف من غيره[٢]، ونحن أتباعه[٣] دخلنا معه مقاماته التي دخل[٤] بحكم التبعية، وتأخر كل نبي عنه في مرتبته فتأخر عنا ضرورة. فيتخيل من لا معرفة له أنه[٥] مشى في الهواء لقوة يقينه، وأنه أقوى[٦] من عيسى، عليه السلام، وغيره. هيهات لما تخيل، بل النبي نبي، وأنت أنت، فالمتبوع يزاحم المتبوع والتابع يزاحم التابع، لا التابع يزاحم المتبوع.

إنما نحن من جهة التحقيق في مقابلة أمة ذلك النبي الذي تأخر عن نبينا، وذلك النبي في مقابلة نبينا[٧] فيقابل[٨] النبي بالنبي والصاحب بالصاحب والصديق بالصديق ولا تخلط بين الحقائق[٩] فتكون من الجاهلين[١٠].

فرأينا في سياق[١١] ما ذكرنا، أن[١٢] باليقين مشى من مشى على الماء، وباليقين[١٣] مشى من مشى في الهواء، وبه صعدت الروحانيات العلا إلى صريف الأقلام[١٤] والمستوى إلى حيث لا أين فيدرك، أو يرى. ولم يكن فيه أحد من البشر[١٥] أثبت من رسول اللّه[١٦] (ص) ولكنه أخبر أنه يتعلم اليقين وقيل له: ﴿**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾[١٧].

(وإن كان هنا هو الموت)[١٨] وسر ذلك أنه قيل له: ﴿**وقل رب زدني علما**﴾[١٩].

---

(١) في النسخة (ب): (وإنه لما كان) وفي (ج) كذلك.
(٢) في النسخة (ب): (أشرف الأنبياء).
(٣) في النسخة (ب): (ونحن خدمه وحشمه) وفي (ج): (خدمه وأتباعه وحشمه).
(٤) في النسخة (ب): (مقامه الذي) وكذلك (ج).
(٥) في النسخة (ب): (إنما)، و(ج): أيضاً كذلك.
(٦) في النسخة (ب): (أقوى فيه)، وهي تعطي المعنيين. أي أقوى يقيناً، وأقوى في اليقين. وكذلك النسخة (ج).
(٧) هذه الجملة سقطت من النسخة (ب) واستدركت على الهامش لأنها بنفس الخط ونفس لون الحبر.
(٨) في النسخة (ب): (مقابل).
(٩) في النسخة (ب): (الخلايق).
(١٠) في الأصل (من الجاهل).
(١١) في النسخة (ب): (فرائنا في مسا) وفي الأصل (مساق) وفي النسخة (ج): (مشاق).
(١٢) في النسخة (ب): (ما ذكرناه أنه).
(١٣) في النسخة (ب): (وبه) وكذلك النسخة (ج).
(١٤) في النسخة (ب): (صرير).
(١٥) سقطت من النسخة (ب) ومن النسخة (ج).
(١٦) في النسخة (ب): (من نبينا محمد).
(١٧) **القرآن الكريم**، سورة الحجر، الآية ٩٩، مكية.
(١٨) ما بين قوسين سقط من النسختين: (ب)، (ج).
(١٩) **القرآن الكريم**، سورة طه، الآية ١١٤، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والعلم لا بد أن يستند إلى اليقين. لأن اليقين روح العلم، والطمأنينة حياته. فلا يزال[١] يطلب الزيادة من العلم، ولا يزال[٢] يتعلم اليقين لارتباطه به. وهكذا في كل دقيقة من دقائق التفصيل.

ولما كان اليقين بهذه المثابة انبغى[٣] لكل عاقل ألا يسأل سواه في كل شيء[٤].

ثم نرجع ونقول: ولما قامت نشأته الروحانية في عالم المعاني على أربع: وهي العلم، والعين، والحق، والحقيقة.

كذلك قامت نشأته الجسمانية في عالم الألفاظ والعبارات على أربعة أحرف:

- الياء الصحيحة.
- والقاف.
- والياء المعتلة، وهي ألف الميل الشمالي.
- والنون.

كما قامت من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة التي هي على أربعة[٥] أخرى في العالم الكبير، وهي الأركان. وفي عالم الحيوان المرتان والدم والبلغم[٦]. وهذان مما يؤيد أنه نشأة قائمة[٧] نشأة الإنسان. فلنرجع[٨] إلى الإضافة ثم إلى هذه الثمانية التي ركب[٩] منها روحانية اليقين وجسمانيته.

فنقول: أما الإضافة فصحيحة من جهة اللفظ (ومن جهة المعنى فأما من جهة اللفظ)[١٠]: فلفظة العين ما هي لفظة اليقين أصلاً، وهكذا الحق والعلم، فجازت الإضافة.

---

(١) في النسخة (ب): (فلم يزل).
(٢) في الأصل و(ب): (فلا يزال) وكذا (ج).
(٣) في النسخة (ب): (المشابهة ابتغى).
(٤) في النسخة (ب): (من مولاه سواه) والباقي سقط. أمّا في النسخة (ج) فتوقف عند: (أن لا يسأل سواه).
(٥) سقطت من النسخة (ب).
(٦) في النسخة (ب): (وهي المرتان: الدم والبلغم). وهي خطأ لأن (المرتان) اثنان، والدم والبلغم اثنان فيكون المجموع أربعة أركان.
(٧) في النسخة (ب): (وهذا يدلك على أن نشأته) وفي (ج): (يؤديك).
(٨) في النسخة (ب): (فترجع).
(٩) في النسخة (ب): (تركب).
(١٠) ما بين قوسين سقط من النسخة (ب) و(ج).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأما من جهة المعنى[1]: فنعلم قطعاً[2] أن الإنسان جسم متغذٍ حساس ناطق فقد اشترك بكل حقيقة (من هذه الأربع الذاتية مع جنس الأجناس. وأن كل حقيقة)[3] على انفرادها ليست هي عين الإنسان، وأن الإنسان عبارة عن مجموعها كذلك اليقين في روحانيته وجسمانيته.

فإذا قلنا العين دخل فيه اليقين وغيره.

فنقول: عين اليقين، لئلا يتخيل السامع أنا نريد عين الشمس، أو عين الميزان، أو عين الذهب، وغير ذلك.

كما تقول جسم الإنسان لئلا يتخيل أنا نريد جسم الحجر أو جسم النبات أو غير ذلك.

وكذلك نقول: علم اليقين[4] في العلم لئلا يتخيل[5] علم النحو، وعلم الأدب، كما نقول نطق اللسان[6] لئلا يتخيل[7] أنا نريد نطق الملك أو نطق الكتاب.

من قوله تعالى[8]: ﴿**هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق**﴾[9].

وكذلك حق اليقين، لئلا يتخيل حق قدره، وحق تقاته، وحق تلاوته، وإذا قلنا حق ولا نضيفه إلى اليقين.

كما نقول: تغذى الإنسان لئلا يتخيل أنّا نريد تغذى الشجر[10] أو غيره. كذلك حقيقة اليقين لئلا يتخيل أنا نريد حقيقة أمر آخر كحقيقة الإيمان، وحقيقة الوجود، فجازت الإضافة قطعاً؛ لأن اليقين هو مجموع هذه الأشياء فجازت.

وكذلك في النشأة الجسمانية[11] نقول: ياء اليقين الصحيحة تحرزاً (من يائه المعتلة[12]، ومن ياء اليوم وغيره).

---

(١) في النسخة (ب): (وأما من جهة الإضافة).
(٢) في النسخة (ب): (فنعم قصعاً).
(٣) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب) وفي النسخة (ج): (فقد اشترك الأجناس وإن كل حقيقة).
(٤) في النسخة (ب): (على اليقين).
(٥) في النسخة (ب): (لئلا يتخيل السامع أنّا نريد العلم نحو أو علم علم النجوم).
(٦) في النسخة (ب): (الإنسان).
(٧) في النسخة (ب): (يتخيل السامع).
(٨) في النسخة (ج): (هذا كتاب ينطق بالحق).
(٩) القرآن الكريم، سورة الجاثية، الآية ٢٩، مكية.
(١٠) في النسخة (ب): (لأننا نقول تغذى الحيوان والنبات كذلك نقول حقيقة اليقين) زائدة.
(١١) في النسخة (ب): (الإنسان).
(١٢) (المطلقة) زائدة في النسخة (ب).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكذلك[1] (قاف اليقين)[2] تحرزاً من القاف المطلقة[3]، ومن قاف الحق، والصدق، والقلم.

وكذلك ياء اليقين المعتلة تحرزاً من ياء التمكين والتكوين وغير ذلك.

وكذلك نون[4] اليقين تحرزاً من النون المطلقة ومن نون الآن[5]، والأنا.

فصحت الإضافة قطعاً، وكنا نناسب بين الأربعة البسائط[6] والمركبات التي هي جسمانية اليقين، لكن غرضنا[7] الإيجاز من أجل ضيق الوقت، فنتبع تجويز الإضافة[8]، التي أنكرت علينا ونتكلم على الثمانية.

فاعلم:

أن اليقين بجملته ثمانية وهي التي ذكرناها.

فأشبه العرش وأشبه ذات الإنسان. قال تعالى[9]: **﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية﴾**[10].

وقال (عليه السلام)[11]: **(وهم اليوم أربعة).**

وذلك لأن الأمر اليوم عندنا غيب إلا من كشف له، وقامت قيامته فإنه يرى الثمانية. فكذلك اليقين ما بأيدي الناس منه اليوم إلا مجرد ذاته الجسمانية ولا يعرفون سوى الياء، والقاف، والياء المعتلة والنون. ولهذا ما تجد أحداً إلا وهو يشك في المعدود. إمّا بعقده، وإما بحالة ضرورة. وأدناها مرتبة هذه الكسرة التي وقع القسم[12] من اللّه عليها أنه ضامنها[13]، ولم يشترط في ذلك إيماناً، ولا كفراً ومع هذا كله لم

---

(1) في النسخة (ب): (نقول) زائدة.
(2) ما بين القوسين سقط من النسخة (ج) واستدرك بخط رفيع فوق السطر.
(3) سقطت من النسخة: (ب).
(4) في النسخة (ب): (نور اليقين).
(5) في النسخة (ب): (الأب).
(6) في الأصل: (البساط).
(7) في النسخة (ب): (لكن غرضنا الآن).
(8) في النسخة (ج): (فلنرجع بعد تحريرنا الإضافة).
(9) في النسخة (ب): (قال اللّه تعالى).
(10) القرآن الكريم، سورة الحاقة، الآية ١٧، مكية.
(11) في النسخة (ب): (ج): جاء بها هكذا دون أن يشير إلى قوله عليه السلام.
(12) في النسخة (ب): (الكسرة وقع السقم).
(13) في النسخة (ب): (بضمانها ولا بد أن يعطيها، ولم يشترط فيها إيماناً والكفر) وكذا (ج).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تثلج صدور[١]، ولا حصل في النفس من اليقين وعلم ولا عين ولا حق ولا حقيقة. فأين أنت يا مسكين؟[٢] فكذلك هم اليوم[٣] جملة اليقين: أربعة أحرف الظاهرة في اللفظ والرقوم[٤] ولا غير. فمن كشف اللّه عين[٥] بصيرته وانحل قفله وحشر[٦] من قبره عاين الثمانية على الكمال وهم قليلون جداً لم يصل إلى[٧] ذلك إلا النادر صاحب الهمة النافذة، فانظر ما أعلى درجة (اليقين ولمن أشبه. لمن هو أكمل الموجودات وهو الإنسان والعالم كله والمحيط بالعلم كله مستوى)[٨] الرحمن[٩] فتحقق ما ذكرناه، فإنك ستقف فيه على أسرار كثيرة والحمد للّه.

فلنقدم الكلام على[١٠] جسمانيته.

فإن التسوية قبل النفخ (وإن فطر السماء قبل وحي أمرها)[١١] فيها الذي[١٢] هو روحها، وإن خلق الأرض قبل تقدير أرواحها التي هي أقواتها وهكذا في كل شيء[١٣] التسوية متقدمة[١٤]، وروحها متولد عنها وعن التوجه عليها فهو مولد أبداً.

فنقول:

* إن الياء الصحيحة، التي في اليقين وهي الأولى في التركيب خصت بالفتحة وهي الرحمانية. ولهذا جاء التنبيه: ﴿**ما يفتح اللّه للناس من رحمة**﴾[١٥].

وكانت الياء. وهي باردة. لأن برد اليقين قد ورد في الخبر عن النبي(عليه السلام) ولها

---

(١) في النسخة (ب): (صدره).
(٢) في النسخة (ب): (من حصول اليقين) زائدة.
(٣) سقط من النسخة (ب).
(٤) في النسخة (ب): (هي الأربعة أحرف الظاهرة في عالم الألفاظ والرقم). وكذا في النسخة (ج).
(٥) في النسخة (ب): (عن عين بصيرته).
(٦) في (ب): (وانحشر).
(٧) سقطت من النسخة (ب).
(٨) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب).
(٩) (وهو العرش): زائدة في النسخة (ب).
(١٠) سقطت من النسخة (ب).
(١١) في النسخة (ب): (فطر السماء وجيء أمرها).
(١٢) في الأصل (التي).
(١٣) سقطت من (ب).
(١٤) في النسخة (ب): (مقدمة).
(١٥) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية ٢، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أول[1] العقد فلها الأحدية في انتشاء العقد وهي المرتبة الثانية من الأربع[2] التي اختص بها العدد وهي:

الآحاد، والعشرات، والمئون، والآلاف[3]. فاشبهت الباء في كونها ثانية هنا. كما أن الباء في المرتبة الثانية من مراتب الوجود المطلق. ولما ظهر عن (الباء جميع الموجودات كذلك ظهر عن هذه)[4] الياء جميع حروف اليقين، وكانت لها البداية، كما كانت الباء. ولهذا أشبهتها[5] في كون نقطتها من أسفل. والنقطة الواحدة لشركتها مع الباء، والنقطة الثانية لتميزها عن الباء بمقام العشرة لها[6] وليس ذلك للباء. فإن الحقائق لا تختلط[7] أصلاً عند المحققين. وحركت لأن[8] أصل الوجود الحركة. (فإن السكون عدم الحركة)[9] ولهذا لا يتصور النطق[10] بساكن ويحتاج إلى همزة الوصل، وحرف متحرك[11]. ثم لها هنا[12] المرتبة الثانية من مراتب الطبائع لأن[13] العشرة ثانية كما قلنا. لأن الحرارة[14] في الطبيعة أولاً[15] ثم البرودة فوقعت على[16] تقسيم الحروف في مرتبة البرودة، وهو كما قلنا: لأن اليقين موصوف بالبرد وهو من صفات السعداء لأنه من الفرح والسرور[17]، وقد جاء برد الأنامل فليكف هذا القدر. (فإن الورق معدوم عندي في هذا الوقت)[18].

* وننتقل إلى القاف فنقول:

---

(١) سقطت من النسخة (ب).
(٢) في النسخة (ب): (من العقد الأربعة).
(٣) في النسخة (ب): (والمئين، والألوف).
(٤) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب).
(٥) في النسخة (ب): (أشبهت) وفي (ج) كذلك.
(٦) في النسخة (ب): (بقامه العشرة التي لها).
(٧) في النسخة (ب): (لا تختلف) وكذا في (ج).
(٨) في النسخة (ب): (وتحركت لأنه).
(٩) ما بين القوسين جاء في النسخة (ب): (فإن عدم محض)، (ج).
(١٠) سقط من (ب).
(١١) في النسخة (ب): (وإلى حرف متحرك).
(١٢) في النسخة (ب): (ثم إن الهاء).
(١٣) في النسخة (ب): (إن).
(١٤) في النسخة (ب): (كما أن الحرارة).
(١٥) في النسخة (ب): (أولى).
(١٦) في النسخة (ب): (عند).
(١٧) في النسخة (ب): (وهو من السعد الذين أعطوا الفرح والسرور).
(١٨) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأمّا القاف: فهو حرف عجيب جمع بين دوائر التقدير برأسه وبين دوائر السعة بما بقي منه، ولكن ظهر منه في الوجود للعين ما ظهر من الفلك نصف الدائرة[١]، ولما كان الفلك يدور فيظهر كله لهذا جاء شكل رأسه دائرة كاملة، لكنها دائرة ضيقة. فإن دائرة جبل قاف إنما هي على الأرض والأرض أول الأجزاء[٢]. فكانت دائرة رأس[٣] القاف من ذلك الحساب[٤] وظهر في سائر نصف الدائرة كما[٥] يظهر في الأرض، نصف الدائرة من الفلك فقد ظهر في حقيقة هذه النشأة نشأة الأرض والفلك.

ثم أعطى الخفض[٦] لشبهه بالسفل. وأعطى النقطة من فوق لشبهه بالعلو، فراعى أهل الشرق مناسبته[٧] مع الياء فنقطوه باثنين لأنهم[٨] رأوا ياء قبله وياء بعده، وراعى أهل الغرب شبهه بالنون لنصف[٩] دائرة الفلك فنقطوه واحدة مثل النون[١٠] وهم أجل في الحكمة من الشرق[١١]، ثم له المائة وهي المرتبة الثالثة[١٢] من العقد والأول في المئين فلها حظ في الوحدانية مثل الياء. فبينه وبين الباء هذه المناسبة وجه[١٣] وهو يابس من أجل الشبه الأرضي الذي فيه[١٤] والتقديس لأن الرطب[١٥] له سيلان في الوجود، واليابس له مقام العزة والمنع، ولهذا كان جبل قاف دون غيره من الحروف[١٦] لأن الجبال أوتاد يابسة ثابتة عزيزة من كل وجه.

* وأمّا الياء[١٧] المعتلة:

---

(١) في النسخة (ب): (فلك وهو نصف الدائرة). وفي (ج): (وللعين ما ظهر من الفلك).
(٢) في النسخة (ب): (أقل من الأجزاء) وفي (ج): (أقل الأجزاء).
(٣) سقطت من النسخة (ب).
(٤) في النسخة (ب): (الجنس) وكذلك في النسخة (ج).
(٥) سقط حرف (كما) من النسخة (ب).
(٦) في النسخة (ب): (الحفظ).
(٧) في النسخة (ب): (فراءها المشرق مناسبة).
(٨) في الأصل: (فإنهم)، وفي (ج): (لأنه).
(٩) في النسخة (ب): (وراثها أهل المغرب لكونها أشبهت النور في نصف دائرة الفلك).
(١٠) في النسخة (ب): (النور).
(١١) في النسخة (ب): (المشرق).
(١٢) في النسخة (ب): (ثم له المرتبة الثانية).
(١٣) في النسخة (ب): (وجه) زائدة وأضيفت منها.
(١٤) في النسخة (ب): (من أجل النسبة التي فيه).
(١٥) سقطت هذه الجملة من (ب) وأضيفت مكانها (لا والرطوبة لها).
(١٦) في (ب): (دون غيره من الجبال أوتاد فهي يابسة...).
(١٧) في (ب): (وأما المعتلة).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهي ألف الميل فقد بان[1] من مراتبها في الياء الأولى ما يغني، وبقي أن نذكر ما تميزت به عن تلك الياء[2] فمنها: السكون، وبه أشبهت القاف، لأن الجبل والوتد وهو ساكن لأن أصل وضعه أن يسكن.

وهي باردة: فتعطي الجمود أكثر من غيرها.

وهي حرف علة: (ومعلولها في العالم الأسفل والأعلى فأشبهت القاف والنون. لأن النون علوية إذ كانت نصف دائرة الفلك فلهذا وقعت بينهما. فأما تأثيرها في السفل: فإنها حرف علة)[3] فعنها ظهرت الأحكام والأمور المقربة إلى[4] السعادة.

وهي حرف الأنبياء (عليهم السلام)

وأما تأثيرها في العالم العلوي فإنها[5] حقيقة الإنسان، ولهذا كانت عشرة لشبهها بالإنسان فصار الفلك يدور بنفسها[6] ولهذا ظهرت (من فلكية فلك القاف وفلك النون، فكانت)[7] كالقطب لهما لسكونهما فيما يدوران[8].

وأمّا النون[9]:

فباردة[10] أيضاً، وقد تقدم في[11] الخبر. قد جاء ببرد اليقين وبرد الأنامل، فعلم العلوم كلها عند هذا البرد فما أعجب هذه الحكمة. كيف اختص اللّه ذات اليقين بهذه الحروف والنون له الخمسون[12]، وهو شطر المائة الذي هو القاف فلذلك كان نصف دائرة (لأنه على نصف القاف)[13].

---

(١) في (ب): (فقد بان لك).
(٢) سقطت من (ب).
(٣) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب).
(٤) سقط حرف (إلى) من النسخة (ب).
(٥) في النسخة (ب): (فإن).
(٦) في النسخة (ب): (لنفسها).
(٧) في النسخة (ب): (بين فلك القاف وبين فلك النور كالقطب) وكذا النسخة (ج).
(٨) في النسخة (ب): (بها) زائدة.
(٩) في النسخة (ب): (وأمّا النور) ولا أدري لماذا يصر ناسخ هذه النسخة، أو صاحب هذه الرواية، على وصف حرف النون دائماً بالنور.
(١٠) في (ب): (فبارد) ويصح على تقدير وأمّا حرف النون.
(١١) في (ب): (أن) بدلاً من (في).
(١٢) في (ب): (والنون والخمسون).
(١٣) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإن القاف مركب[١] من ميم ونون. فهو من حروف التركيب كالواو وغيره. فانظر ما أشرف حروف هذا[٢] اليقين، ثم أعطى الحركات كلها.

وهو الفتح في الياء، والكسر في القاف، والضم في النون ولما وقعت آخر الكلمة قبلت جميع الحركات والسكون بحسب المؤثر المحرك لهذا الفلك، فإن حركه[٣] من كونه فاعلاً أو مبتدأ وما أشبه ذلك رفعه، وكان له الأثر، وإن حركه من كونه منفعلاً لا عن النفس[٤] الكلية فكان مؤثراً فيه نصبه وخفضه[٥]، وإن بقي في الوقفة ينتظر الأمر بما يخرج له من حضرة المؤثر سكن. وهكذا[٦] كل حرف يقبل تغيير الصفات وتناوب أحكامها عليه.

فافهم

ويكفي هذا القدر لما ذكرناه من الضرورة.

فلنرجع إلى الأربعة الأُخر فنقول:

إن عين اليقين به ينظر إلى[٧] الهمم عند تسابقها إليه وتجاريها على براقات الأعمال الصالحة[٨] فيشهدها خارجة من النفوس المسجونة في الهياكل الظلمانية واختراقها عالم الوهم والمثال[٩] الذي هو البحر الخضم الذي تهلك فيه أكثر الهمم وتعاين هذا اليقين بهذه العين المضافة إليه كيف يصور لها[١٠] صاحب مملكة الأوهام ما يناسب طلبتها فيرى بعض الهمم وقعت مع ما نصب لها[١١].

فنقول قد وصلت فنرجع إلى عالم الشهادة وتحمي عن مقامها وتقرب[١٢] وهي تقول إنها في الحاصل في الغاية وما بيدها شيء إلا ظاهر الصورة من جهة المثال كما يتخيل الصاحب أنه قد[١٣] ظفر بدحية، وأنه كلمه وليس بيده من دحية شيء، وإنما كان جبريل

---

(١) في (ب): (مركبة).
(٢) سقط اسم الإشارة من (ب).
(٣) في النسخة (ب): (فإن حركته).
(٤) في النسخة (ب): (مفعلاً عن النفس).
(٥) في النسخة (ب): (نصه وحفظته).
(٦) في النسخة (ب): (ولهذا).
(٧) سقط حرف (إلى) من النسخة (ب).
(٨) في (ب): (الصالحات).
(٩) في (ب): (والمبال).
(١٠) في (ب): (يصورها).
(١١) في (ب): (فترى بعض الهمم مع تصيب).
(١٢) في (ب): (مقاماتها وندب) وكذا (ج).
(١٣) لفظ (قد) سقط من (ب).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(عليه السلام) فهو[١] أعقل غلطه حتى[٢] أقسم أنه رأى دحية، ولم يكن دحية.

فبماذا تقع الثقة؟ وهذه القواطع في الطريق فكيف يطمئن الإنسان إلى عقله ومواد عقله بهذه المثابة؟

وإنما وقع مثل هذا[٣] للعجلة التي فطر الإنسان عليها، ولو لم يعجل لقال حين سئل من رأيت؟

يقول: رأيت شخصاً أقول إنه دحية إن لم يكن روحانياً تجسد، وإذا قال هذا (فلا يقين عنده، وإذا قال إنه دحية)[٤] فلا علم عنده ولا يقين لكن عنده القطع الذي يسميه يقيناً إذا نظر بعينه إلى مثل ما ذكرناه، ورأى رجوع الهمم، يتعجب مما خلقت[٥] عليه العقول من القصور فما أقام[٦] من وثق بعقله أو من قال إنه يعرف ربه بعقله. وإذا وصلت الهمم بالمسابقة إلى اليقين وهو ينظر إليها بعينه أنزلها في حضرته وحصل من صور[٧] الهمم التي[٨] يمتاز بعضها من بعض صورة معقولة لا يمكن للبصر [أن][٩] يدركها عادة؛ لأنها غيب فيسلط علمها[١٠] عليها فهذا هو علم اليقين المضاف إليه.

فعينك إذا لم تغلط من عين اليقين، وإذا غلطت فهو[١١] عين القطع، وعلمك إذا لم يغلط فمن علم اليقين[١٢] وإذا غلط فمن علم القطع.

وهو قوله تعالى: **(كنت سمعه وبصره)**[١٣].

فلا يرى إلا اليقين ولا يسمع[١٤] إلا اليقين، لأن المادة من اليقين. فهذا علم اليقين[١٥]

---

(١) في (ب): (فبهذا).
(٢) لفظ (حتى) مكرر في الأصل، وفي (ب): (حس).
(٣) في (ب): (ذلك).
(٤) ما بين القوسين سقط من (ب).
(٥) في النسخة (ب) وفي الأصل: (مما خلق).
(٦) في (ب): (فما شيئتم).
(٧) سقطت من النسخة (ب).
(٨) في (ب): (الذي).
(٩) في الأصل و(ب): (لا يمكن البصر يدركها) وأضفت حرف (إن) للاقتضاء.
(١٠) في (ب): (عمله).
(١١) في (ب): (فمن).
(١٢) في (ب): سقط (علم اليقين).
(١٣) حديث: **(كنت سمعه وبصره)**. انظر **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني ج١١ ص٢٩٥.
(١٤) في (ب): (ولا يعلم).
(١٥) في (ب): (فهذا علمه).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قد بان أين يتصرف من المواطن وأنه بخلاف عينه كما يخالف جسمية الإنسان تغذية.

وأما حق اليقين:

فهو أن ينطق[١] عندما تميزت له صفات الفصل[٢] بين الهمم في الأمر الذي انبعث عنه، وحكم مزاج صاحب تلك الهمة، وأين محله من عالمه؟

فعلى هذا، ماذا[٣] قامت بنيته حتى يبدو له[٤] ما يعطي امتزاج أخلاطه من القوة فيكون الامتداد[٥] بحسب ذلك؟

وأما حقيقة اليقين[٦]:

فهو أن ينظر في مقامه العلوي المعلوم الذي منه نزل إلى أسفل سافلين، فإنه إلى ذلك ينتهي بعد التكليف والالتحاق بالروحانيات العلا، الذين قالوا: ﴿**وما منا إلا له مقام معلوم**﴾[٧].

ويتخيل[٨] الإنسان أنه في الترقي، وأنه ليس له مقام، وليس الأمر كذلك. فإن اللّه أوجد كل لطيفة إنسانية في مقامها الذي إليه تؤول كالملائكة سواء.

ثم نزلت إلى تدبير[٩] الأبدان كما نزل جبريل بتبليغ[١٠] الرسالة، وغيره من الملائكة، ويرجع إلى مقامه.

فهذا الملك قد ترقى حقاً لا شك من أسفل إلى أعلى، وكذلك الإنسان لا يزال يترقى إلى آخر نفسه الذي يموت عليه، وهو مقامه الذي نزل منه، ولذلك قال: ﴿**وإليه ترجعون**﴾[١١].

ولا يرجع إليه شيء إلا من خرج منه[١٢]. فبذلك المقام تتعلق حقيقة اليقين. وقد ضايقنا الوقت، وعدم الورق فأحضرنا جهدنا والحمد للّه رب العالمين[١٣].

---

(١) في (ب): (أن ينظر).
(٢) في (ب): (الفعل).
(٣) في (ب): (وعلى ماذا).
(٤) سقطت من (ب).
(٥) في (ب): (الأمر).
(٦) في (ب): (وأمّا اليقين).
(٧) **القرآن الكريم**، سورة الصافات، الآية ١٦٤، مكية.
(٨) هنا حرف (في) زائد في الأصل وفي النسخة (ج).
(٩) في (ب) (هذه الأبدان).
(١٠) في (ب): (لتبليغ).
(١١) **القرآن الكريم**، سورة يونس، الآية ٥٦، مكية. وهي متكررة في نهايات عدد من الآيات اخترنا منها هذه الآية.
(١٢) في الأصل: (ولا يرجع إلى شيء إلا من خرج منه).
(١٣) من (ب): (والحمد للّه).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فصل[١]

في ذكر سبب تأليف هذا الكتاب[٢]

كان[٣] سبب إنشائي لهذا الكتاب أني زرت الخليل (عليه السلام).

ثم خرجت من عنده قاصداً زيارة «لوط» (عليه السلام).

أنا وصاحبي الشيخ العارف[٤] الصوفي، صاين[٥] الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك[٦] بن مطوف المرّي[٧] وعفيف الدين أبو مروان عبد الملك بن محمد بن حفاظ القيسي[٨] فمررنا في طريقنا بمسجد اليقين، موضع إبراهيم (عليه السلام) فأقام اللّه في خاطري[٩] أن أضع جزءاً في اليقين في هذا المسجد المعروف باليقين.

فاستخرت[١٠] اللّه تعالى وقيّدت هذه العجالة[١١] بالموضع المذكور في يوم الزيارة، وذلك يوم الأربعاء الرابع عشر من شوال سنة اثنتين وستمائة.

---

(١) سقط من (ب).

(٢) إضافة من النسخة (ب) وزاد عليها (رب العالمين) لا أدري لماذا وهي ساقطة من النسخة (ج).

(٣) في (ب): قال الشيخ المؤلف (رضي اللّه عنه): (كان السبب..) وفي (ج) أيضاً.

(٤) سقطت من (ب).

(٥) في (ب): (الصاين).

(٦) زاد صاحب النسخة (ب): (بن محمد بن حفاظ).

(٧) **الشيخ العارف الصوفي**: صاين الدين، أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مطوف المرّي، لم أقف على ترجمته فيما بين يدي من مراجع.

(٨) **عفيف الدين**، أبو مروان عبد الملك بن محمد بن حفاظ القيسي. لم أقف على ترجمته فيما بين يدي من مراجع.

(٩) في الأصل: (فأقام له بخاطري) ثم عدّلها على الهامش، أو هي مقابلة لأن الخط مختلف. وفي (ب): (بخاطري).

(١٠) في (ب): (واستخرت).

(١١) في (ب): (وقيدت هذا الجزء) وكذلك في (ج).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأسمعته صاحبي بقراءتي، وصلينا الظهر في ذلك[1] اليوم وانصرفنا إلى لوط (عليه السلام).

نفعنا اللّه وإياهما وجميع المسلمين بالعلم آمنين بعزته.

فصل في تسمية الكتاب[2]

وكان السبب الذي لأجله سمي هذا الموضع باليقين[3] أن الخليل إبراهيم (عليه السلام) كانت الملائكة التي بشرته بإسحاق قد تركته بذلك الموضع، وأخبرته أنها تسير[4] إلى لوط (لإهلاك قومه، وأمروه بلزوم ذلك الموضع حتى يأتي إليه لوط (عليه السلام))[5] فلم يزل بذلك الموضع حتى أبصر مدائن قوم لوط في الهواء[6] وسمع ضجيجهم.

وهو قوله تعالى: ﴿**فجعلنا عاليها سافلها**﴾[7].

فعندما أبصر ذلك سجد للّه في هذا الموضع[8] وأثر بروكه[9] في القفف[10] وقال: **أشهد أن هذا هو اليقين**[11].

(فسمي مسجداً لأنه موضع سجوده، وسمي اليقين لقوله: هذا هو اليقين)[12].

وفي موضع سجوده[13] أنشأت هذا الكتاب ولهذا سميته[14] أيضاً: (كتاب اليقين الذي أنشأته بمسجد اليقين)[15]. ورأينا أن نتكلم في هذه[16] الأوراق على حقيقة

---

(١) في (ب): (في تلك).
(٢) سقط من (ب)، (ج).
(٣) في النسخة (ب): (بهذا الموضع مسجد اليقين).
(٤) في (ب): (تيسر).
(٥) ما بين القوسين سقط من (ب).
(٦) في (ب): (بالهوى).
(٧) **القرآن الكريم**، سورة الحجر، الآية ٧٤، مكية.
(٨) في (ب): (سجد في ذلك).
(٩) في (ب): (بركوعه) وما أثبتناه من الأصل أولى، لأن الركوع لا يؤثر السجود. فهو (بروك).
(١٠) في (ب): (القفر)، وكذلك (ج). وما أثبتناه من الأصل أولى، لأنه يقصد هنا البقعة اليابسة التي حدث فيها الأثر. ولا يعني هذا القفر. وإن كان يعني المكان الموحش.
(١١) في (ب): قال (أشهد أنه الحق اليقين) ـ وفي (ج) (أشهد أن هذا هو الحق اليقين).
(١٢) ما بين القوسين سقط من (ب) وفي (ج) (موضع سجدته).
(١٣) لفظ (سجوده) سقط من (ب) وفي (ج): (موضع سجدته).
(١٤) في (ب)، (ج): (سميناه بهذه الاسمية).
(١٥) ما بين القوسين سقط من (ب).
(١٦) في (ب)، (ج): (نتكلم فيه على اليقين).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليقين دون غيره من المقامات للمناسبة التي أعطاها الموضع[1].

والصلاة على محمد وعلى آله. وسلم تسليماً كثيراً.

كمل الكتاب بعون اللّه تعالى.

قوبل على الأصل المكتوب بيد أيوب بن زيد بن منصور في العشرين من شهر رمضان من سنة إحدى وعشرين وستمائة بجامع دمشق بحضرة منشئه وكان معتكفاً فيه، ونقلت هذه من أصله وقرىء عليه بدمشق في الأول من ذي الحجة من سنة إحدى وعشرين وستمائة وعليه خطه. قدّس اللّه سرّه.

صح ما ذكره وكتب المنشي به.

---

(١) نهاية النسخة (ب). للمناسبة التي أعطانا الموضع.
والحمد للّه وحده، وصلى اللّه على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه وسلم أجمعين.
سلام على المرسلين والحمد للّه رب العالمين. تمت.
هذا آخر ما وجد بالنسخة (ب) وكل ما بقي من الأصل الذي اعتمدنا عليه هنا.
ونهاية النسخة (ج):
للمناسبة التي أعطاها الموضع والحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه على سيدنا محمد خاتم النبيين ولا حول ولا قوة إلاّ باللّه العلي العظيم. تمت.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ملاحق ونصوص خاصة بمقام اليقين عند ابن عربي الباب الثاني والعشرون ومائة من كتاب الفتوحات المكية في معرفة مقام اليقين وأسراره

إنَّ اليَقِينَ مَقَرُّ العِلْمِ فِي الخَلَدِ ... فِي كُلِّ حَالٍ بِوَعْدِ الوَاحِدِ الصَّمَدِ
إِنَّ اليَقِينَ الَّذِي التَّحْقِيقُ حَصَّلَهُ ... أُعْكُفْ عَلَيْهِ ولا تَنْظُرْ إِلَى أَحَدِ
فَإِنْ تَزَلْزَلَ عَنْ حُكْمِ الثُّبَاتِ فَمَا ... هُوَ اليَقِينُ الَّذِي يَقْوَى بِهِ خَلَدِي

(اليقين هو ما يكون الإنسان فيه على بصيرة).

واليقين: هو قوله تعالى ـ لنبيه (صلى اللّه عليه وسلم): **﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾**[1].

وحكمه: سكون النفس بالمتيقَّن، أو حركتها إلى المتيقَّن.

وهو ـ أي اليقين ـ ما يكون الإنسان فيه على بصيرة، أي شيء كان، فإذا كان حكم المبتغى في النفس حُكْمَ الحاصل، فذلك هو اليقين. سواء حصل المتيقن أو لم يحصل في الوقت. كقوله تعالى: **﴿أتى أمر اللّه﴾**[2].

وإن كان لم يأت بعد، ولكن تقطع النفس المؤمنة بإتيانه، فلا فرق عندها بين حصوله وبين عدم حصوله، وهو قول من قال: **(لو كُشف الغِطاءُ ما ازْدَدْتُ يقيناً).**

مع أن المتيقين ما حصل في الوجود العيني. فقال اللّه لنبيه، ولكل عبد يكون بمثابته: **﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾**.

(١) **القرآن الكريم**، سورة الحجر، الآية ٩٩ مكية.
(٢) **القرآن الكريم**، سورة النحل، الآية ١ مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإذا أتاك اليقين علمت مَنْ العابد والمعبود، ومَنْ العامل والمعمول به؟ وعلمت ما أثر الظاهر في المظاهر، وما أعطت المظاهر في الظاهر.

(صاحب اليقين وصاحب علم اليقين)

واعلم أن لليقين علماً وعيناً وحقاً: (ولكل حق حقيقة) وسيرد ذلك في باب له مفرد بعد هذا من الكتاب. إن شاء اللّه تعالى، وإنما جعل له علماً وعيناً وحقاً، لأنه قد يكون يقين ما ليس بعلم ولا عين ولا حَقّ؛ ويقطع به من حصل عنده؛ وهو صاحب يقين، لا صاحب علم يقين.

(هل يصح أن يكون يقينٌ أتمّ من يقينٍ؟).

واختلف أصحابنا في اليقين: هل يكون يقين أتم من يقين أم لا؟

فإنه روي عن النبي (صلى اللّه عليه وسلم) أنه قال في عيسى (عليه السلام): **(لو ازداد يقيناً لمشى في الهواء)**[1].

أشار به إلى ليلة الإسراء. وأن باليقين صح له (صلى اللّه عليه وسلم) المشي في الهواء. وهذا التفسير ليس بشيء. فإنه أسرى به ربه **﴿ليريه من آياته﴾**[2]. وبعث إليه بالبراق، فكان محمولاً في إسرائه.

ومثل هذا الحديث لا يصح عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) أنه أشار بذلك إلى نفسه. ومعلوم أنه ليس أحد من البشر يماثله في اليقين. لكنه ما مشى في الهواء بيقينه، وإنما جاءه جبريل (عليه السلام) بدابة دون البغل وفوق الحمار تسمى «البُراق»، فكان محمولاً والبراق هو الذي مشى في الهواء. ثم إنه (صلى اللّه عليه وسلم) لمّا انتهى البراق به إلى الحد الذي أُذن له، نزل عنه وقعد في الرفرف. وعلا به إلى حيث أراد اللّه. وغفل الناس عن هذا كله فما أسرى به (صلى اللّه عليه وسلم) لقوة يقينه بل يقينه في قلبه على ما هو به من التعلق بالمتيقن العام، كان ما كان. لكنه مما فيه سعادته؛ لأنه وصف به في معرض المدح.

(شرف اليقين بشرف موضوعه: وهو الأمر المتيقَّن).

ولنا في اليقين جزء شريف، وضعناه في «مسجد اليقين»[3].

---

(١) «**لو ازداد يقيناً لمشى في الهواء**» انظره في كنز العمال ج٣ ص ٤٣٩ رقم ١٩٤١.

(٢) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ١ مكية.

(٣) طبعاً هذه الإشارة من الفتوحات، والجزء المقصود به للكتاب الذي بين يديك.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسجد إبراهيم الخليل. في زيارتنا لوطاً (عليه السلام) فقد يتيقن الجاهل أنه جاهل، والظانُّ أنه ظانٌّ، والشاكُّ أنه شاك فيما هو فيه شاك.

وكل واحد صاحب يقين قاطع بحاله الذي هو عليه، علماً كان أو غير علم. فإن قلت: فأين شرفه؟

قلنا: شرفه بشرف المتيقن، كالعلم سواء. ولهذا جاء اليقين معرفاً بالألف واللام. في قوله تعالى: ﴿حتى يأتيك اليقين﴾.

يريد متيقناً خاصاً، ما هو يقين يقع المدح به، بل هو يقين معين.

(اليقين المستقل الذي ليس له محل يقوم به)

وقوله تعالى: ﴿وما قتلوه يقيناً﴾(1).

يريد ما هو مقتول في نفس الأمر، لا عندهم. (بل شُبِّه لهم)(2). فهذا يقين مستقل ليس له محل يقوم به. فإنهم متيقنون أنهم قتلوه، والله ليس بمحل لليقين. فلم يبق محل لليقين سوى القتل. وهذا من باب قيام المعنى بالمعنى.

فإن اليقين معنى، والقتل معنى. فالقتل قد تيقن في نفسه أنه ما قام بعيسى (عليه السلام). فالقتل موصوف في هذه الآية: باليقين، وأصدق المعاني ما قام بالمعاني.

وهذه المسألة عندنا من محارات العقول. مما لا نفضي فيها بشيء، وعند بعضنا هي ملحقة بالمحال، وعند بعضهم هي ممكنة واقعة.

(اليقين عزيز الوجود في الأمور الطبيعية المعتادة)

وبالجملة، فاليقين عزيز الوجود في الأمور الطبيعية المعتادة، فإن العادة تسرق الطبع؛ ولا سيما في الأمور التي بها قوام البدن الطبيعي.

فإذا فقد البدن ما به يصل إلى ما به قوامه فإنه يتألم.

والألم لا يقدح في اليقين. فإنه ما يضاده. ولكن قَلَّ أن يتألم ذو ألم إلاَّ ولا بد أن يضطرب ويتحرك في نفسه. ولا سيما ألم الجوع والعطش والبرد والحر. والاضطراب يضادُّ اليقين. فإن اليقين: سكون النفس إلى من بيده هذه الأمور المزيلة لهذه الآلام؛ فيريد من قامت به هذه الآلام سرعة زوالها طبعاً.

---

(1) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية ١٥٧ مدنية.

(2) في القرآن الكريم، سورة النساء، ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾..

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإذا كان هذا الأمر كذلك فنسلك في اليقين طريقة غير ما يتخيلها أهل الطريق. وهو أن الاضطراب لا يقدح في اليقين إذا كان هبوب النفس في إزالة تلك الآلام إلى جناب الحق، لا إلى الأسباب المزيلة في العادة.

فإن شاء الحق إزالتها بتلك الأسباب أزالها، بأن يوجد عنده تلك الأسباب، وإن شاء أزالها بغير ذلك. فصار متعلق اليقين الجناب الإلهي، لا غير. وهذا قد يكون كثيراً في رجال اللّه.

(درجات اليقين عند العارفين)

ودرجات اليقين عند العارفين مائتا درجة ودرجة واحدة؛ وعند الملاميَّة مائة وسبعون درجة.. وهو ملكوتي، جبروتي. له إلى الملكوت نسبة واحدة، وعند العارفين له نسبتان؛ لأنه عند العارفين مركب من ست حقائق، ونشأته عند الملامية من أربع حقائق. وله السكون الميت والحي.

فبالسكون الحي يضطرب صاحبه.

وبالسكون الميت يتعلق باللّه فيما يضطرب صاحبه فيه من غير تعيين مزيل. بما أراد اللّه أن يزيله.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الباب الثالث والعشرون ومائة
في معرفة مقام ترك اليقين وأسراره

إذا وَقَفَ العَبِيدُ مَعَ المُرِيدِ يُزِيلُ يَقِينهُ حُكْمُ الإرَادَة
وَيُعطِي الحَقَّ رُتبَتهُ لِئلاً يُقيِّده فَيقْدَحُ فِي العِبَادَة
فَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ كَمَا يَشَاءُ بِلا جَبرٍ فَلاَ حُكْمٌ لِعادَة
وَقَدْ دَلَّ الدَّلِيلُ بِغَيرِ شكٍّ وَلاَ رَيب عَلَى نَفْيِ الإعادَة
لأنَّ الجَوْهَرَ المَعْلُومَ بَاقٍ عَلَى مَا كَانَ فِي حُكْمِ الشَّهادَة
فَيَخلع مِنهُ وقتاً أو عَلَيهِ بِمِثْلٍ أو بِضِدٍّ لِلإفَادَة

(لا يتكرر شيء في الوجود للاتساع الإلهي).

اعلم ـ وفقك اللّه ـ أني أردت بنفي الإعادة الذي يقول:

«إنه لا يتكرر شيء في الوجود للاتساع الإلهي» وإنما هي أعيان أمثال لا يدركها الحس، إذ لا يدرك التفرقة بينها، أريد لا يدرك الحس التفرقة بين ما انعدم منها وما تجدد، وهو قول المتكلمين: إن العرض لا يبقى زمانين.

(اليقين فيه رائحة من مقاومة القهر الإلهي) كالصبر.

لما كان اليقين فيه رائحة من مقاومة القهر الإلهي مثل الصبر، ترك أهل اللّه الاتصاف به وتعلمه وطلبه من اللّه. فإذا أتى اليقين من عند اللّه، من غير تعمل من العبد، قبِلهُ العبد أدباً مع اللّه ولم يرده على اللّه إذا أراد اللّه أن يصير هذا العبد محلاً لوجود هذا اليقين، ويكون حكمه في هذا المحل التعلق باللّه في دفع الضرر عن هذا العبد. فيكون ذلك سؤال اليقين، وتعلقه بجناب الحق، لا تعلق العبد ولا بسؤاله.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(العبد سبب في ظهور عين اليقين لعدم قيام اليقين بنفسه).

وذلك لما كان العبد سبباً في ظهور عين اليقين، لعدم قيام اليقين بنفسه، كان للمحل عند هذا اليقين يدٌ أراد مكافأتها. فسأل اليقين موجده - تعالى - رفع الضرر عن هذا المحل، إذ اليقين لا يوجد إلاّ لرفع الضرر؛ وأمّا في حال المنفعة فلا حكم له إلاّ في استدامتها، لا فيها فإنها حاصلة.

فإن توهم العبد إزالتها فإن اليقين يطلب من اللّه استمرار وجودها في محله. فبهذا القدر يكون ترك اليقين.

أي العبد لا يعترض على اليقين في سؤاله ربه ما شاء؛ فهو تاركه يفعل ما يريد. فلا يتصف العبد هنا بشيء.

(العبد مضطرب في أصل نشأته، لا يقين له من حيث حقيقته).

ومع هذا التحقيق فالمسألة غامضة، بعيدة التصور، فالعبد في أصله مضطرب، متزلزل المِلْك؛ فلا يقين له من حيث حقيقته، فإنه محل لتجدد الأعراض عليه.

واليقين سكون؛ وهو عَرَضٌ فلا ثبوت له بزمانين، واللّه تعالى يقول: **﴿كل يوم هو في شأن﴾**(١) وأصغر الأيام الزمن الفرد.

فقد أبنت لك أن أهل اللّه في نفوسهم بمعزل عما يطلب اليقين. وأن اليقين هو السائل. ولهذا قال تعالى له: **﴿حتى يأتيك اليقين﴾**(٢). فيكون اليقين هو الذي يسأل ويتعب وأنت مستريح فافهم.

واللّه يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(لا طمأنينة مع المريد إلاّ عن بُشْرَى).

فإن الوقوف مع إرادة اللّه لا يتمكن معها سكون أصلاً، لأنه خروج عن حقيقة النفس. والشيء لا يخرج عن حقيقته، إذ خروج الشيء عن حقيقته محال. فلا طمأنينة مع المريد إلاّ عن بُشرى. فإنه يسكن العبد عند ذلك لصدق القول. وتكون البشرى معينة، مؤقتة، وحينئذٍ يكون له السكون إليها وهو اليقين.

وقد ورد أن الملائكة يخافون من مكر اللّه، ولا يقين مع الخوف. فإن سكن العبد إلى قوله تعالى:

---

(١) القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآية ٢٩ مدنية.

(٢) القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية ٩٩ مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿فعّال لما يريد﴾[1] لا يزول عنه، فذلك السكون قد يسمى يقيناً، ولكن يورث في المحل خلاف ما يطلب من حكم اليقين الذي اصطلح عليه أهل اللّه.

وأمّا نحن فاليقين عندنا موجود في كل أحد من خلق اللّه، وإنما يقع الخلاف بماذا يتعلق اليقين؟

فاليقين صفة شمول، وليست من خصوص طريق اللّه التي فيها السعادة، إلا بحكم متيقن ما.

فهذا تحقيقه. واللّه الموفق لا رب غيره.

(١) القرآن الكريم، سورة هود، الآية ١٠٧ مكية. وسورة البروج، الآية ١٦ مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الباب التاسع والتسعون ومائتان
في معرفة علم اليقين

وهو ما أعطاه الدليل الذي لا يقبل الدخل ولا الشبهة.

ومعرفة عين اليقين..

وهو ما أعطته المشاهدة والكشف.

ومعرفة حق اليقين..

وهو ما حصل في القلب من العلم بما أريد له ذلك الشهود.

عِلْمُ اليَقينِ بِعَيْنه وبِحقِّه ... تَبْدُو دَلائِلُهُ عَلَى الأكْوانِ

لَوْلا وُجُودُ العَيْنِ في مَلَكُوتِهِ ... مَا قَامَ تَوْحِيدٌ عَلَى بُرْهَانِ

فَانْظُر إلى حقِّ اليَقِينِ وَعَيْنِه ... فِي عَالَمِ الأزواحِ والأبْدانِ

تَجِدِ الَّذي عَنْهُ تَكَوَّن سِرُّهُ ... فِي كُلِّ مَا يَبْدُو مِنَ الأعْيانِ

اعلم

أيدنا اللّه وإياك بروح منه. أنّا قد علمنا علماً يقيناً لا تدخله شبهة أن في العالم بيتاً يسمى «الكعبة» ببلدة تسمى «مكة». لا يمكن لأحد الجهل بهذا، ولا أن يدخله شبهة، ولا يقدح في دليله دخل. فاستقر العلم بذلك. فأضيف إلى اليقين؛ الذي هو الاستقرار، أن للّه بيتاً يسمى الكعبة، بقرية تسمى مكة، تحج الناس إليه في كل سنة، ويطوفون به. ثم شوهد هذا البيت عند الوصول إليه بالعين المحسوسة. فاستقر عند النفس بطريق العين. كيفيته وهيئته وحاله، فكان ذلك عين اليقين، الذي كان قبل الشهود علم يقين، وحصل في النفس برؤيته ما لم يكن عندها قبل رؤيته ذوقاً.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم فتح الله عين بصيرته في كون ذلك البيت مضافاً إلى الله، مطافاً به، مقصوداً دون غيره من البيوت المضافة إلى الله. فعلم علة ذلك وسببه بإعلام الله لا بنظره واجتهاده. فكان علمه بذلك حقاً يقيناً مقرراً عنده لا يتزلزل.

فما كلُّ حق له قرار، ولا كل علم، ولا كل عين، فلذلك صحت الإضافة. فلو كان علم اليقين، وعينه، وحقه (في مقام) اليقين ما صحت الإضافة. لأن الشيء الواحد لا يضاف إلى نفسه؛ لأن الإضافة لا تكون إلا بين مضاف ومضاف إليه فتطلب الكثرة حتى يصح وجودها، ومن لم يفرق بين اليقين والعلم، ويقول: إن العلم هو اليقين. وقد ورد في كتاب الله مضافاً، احتاج إلى طلب في ذلك. تصح له به الإضافة ليؤمن بما جاء من عند الله فقال: قد يكون المعنى واحداً ويدل عليه لفظان مختلفان.

فيضاف أحد اللفظين إلى الآخر فإنهما غيران بلا شك في الصور مع أحدية المعنى، ولفظة العلم ما هي لفظة اليقين. فأضيف العلم إلى اليقين لهذا التغاير فصحت الإضافة في الألفاظ لا في المعنى.

وإنما احتال من احتال هذه الحيلة لقصور فهمه عما تدل عليه الألفاظ في الموضوعات من المعاني. فلو علم ذلك لعلم أن مدلول لفظة العلم، غير مدلول لفظة اليقين. وإذ تقرر هذا فقد علمت معنى اليقين وعينه وحقه.

ثم بعد هذا فاعلم أن اليقين في هذه المسألة هو المطلوب. ولهذا أضيفت هذه الثلاثة إليه، وكان مدارها عليه. فمن ثبت له القرار عند الله في الله بالله مع الله، فلا بد له من علامة على ذلك تضاف إلى اليقين؛ لأنها مخصوصة به. ولا تكون علامة إلاَّ عليه. فذلك هو علم اليقين. ولا بد من شهود تلك العلامة وتعلقها باليقين، واختصاصها به، فذلك هو عين اليقين. ولا بد من وجوب حكمة في هذه العين وفي هذا العلم، فلا يتصرف العلم إلا فيما يجب له التصرف فيه، ولا تنظر إلى العين إلا فيما يجب لها النظر إليه، وفيه، فذلك هو حق اليقين، الذي أوجبه على العلم والعين.

وأمَّا اليقين: فهو كل ما ثبت، واستقر، ولم يتزلزل من أي نوع كان، من حق وخلق. فله علم وعين وحق. أي وجوب حكمه، إلا الذات الإلهية فيقينها ما له سوى حق اليقين. وصورة حقها أي الوجوب علينا منها السكوت عنها، وترك الخوض فيها؛ لأنها لا تُعْلم. فما ثم علم يضاف إلى اليقين ولا يُشهد.

فلا تضاف العين إلى اليقين، ولها الحكم على العالم كله بترك الخوض فيها فلها الحق. فأضيف إليها. فلا يضاف إلى اليقين إلا ما يقبله. فإن كان مما تدل عليه علامة أضيف إليه

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العلم. وإن لم يكن فلا يضاف إليه. وإن كان مما يشهد أضيفت إليه العين، وإن لم يكن فلا تضاف إليه. وإن كان ممن له في نفس الأمر حكم واجب على أحد من المخلوقين حتى على نفسه مثل قوله: ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾[1].

أضيف إليه الحق فقيل حق اليقين لوجوبه. وإن لم يكن شيء مما ذكرناه فلا يضاف إلى شيء مما تقدم. فقد أعطيتك أمراً كلياً في هذه المسألة في كل متيقن.

فلك النظر في حقيقة ذلك اليقين.

وهذا القدر كافٍ.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(١) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ٥٤ مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نص كتاب المعرفة

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نصُّ كتاب المعرفة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي حجبنا به عنه. عزَّ أن يُعرف له كنه. بدا نوراً فاستتر عن الأبصار بنوره. وظهر فاحتجب عن البصائر بظهوره. فاندرج النور في النور، وتبطّن[1] الظهور في الظهور. فلا يقع بصر إلاّ عليه، ولا يخرج خارج إلاّ منه، ولا ينتهي قاصد إلاّ إليه. فيا أولي الألباب، أين الغيبة والحجاب، ومن كانت عينه حجاباً عليه، فلا محجوب ولا حجاب.

(١) مسألة في معنى قوله[2]: «سبحان اللّه»

اعلم أن هذا الذكر يفتح للذاكر أن اللّه تعالى وراء كل تنزيه ينزّهه عنه المنزّهون. فمن أراد أن يسبّح اللّه تعالى فليسبّحه[3] بمعنى قوله تعالى[4]: **﴿وإنْ مِن شَيْءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾**[5].

أي: بالثناء الذي أثنى به على نفسه. فإن ذلك تسبيح عن التسبيح. فإن التسبيح تنزيه. ولا تنزهه إلاّ عن[6] كل نعت محدث يتصف به المخلوق. واللّه تعالى وراء كل ثناء لك فيه شوبٌ. ومن المحال أن يكون عندك ثناءٌ على اللّه تعالى مُعَيّنٌ في الدنيا والآخرة، لا يكون لك فيه شوب. فإنه لا يصح لك أن تثني على اللّه تعالى بما لا تعلمه، ومتى علمت شيئاً أو

---

(١) في (س): (بطن).

(٢) في (م): (قوله).

(٣) في (س): (فالسبحه).

(٤) سقط لفظ الثناء من (س).

(٥) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ٤٤، مكية.

(٦) في (م): سقطت (عن).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عقلته كان صفتك ولا بدّ. فلا يصح في الكون، على ما تعطيه الحقائق، التسبيح الذي تتوهمه علماء الرسوم. وإنما يصح التسبيح عن التسبيح، ما دام عبدٌ وربٌ، (ولا زال عبد ورب)[1]. فلا زال الأمر هكذا تسبّح بعد ذلك أو لا تسبّح فأنت مسبّح. إن شئت أو أبيت، أو علمت أو جهلت. ولولا ما هو الأمر على هذا[2] في نفسه ما صحّ أن يظهر في العالم عين شركٍ، ولا مشركٍ. وقد ظهر في الوجود شرك ومشرك[3]. فلا بدّ له من مستند إلهي عنه ظهر هذا الحكم. وليس إلاّ ما ذكرناه من أن العبد له شوبٌ من كل ما يسبّح به ربه من المحامد.

وأعلى المحامد بلا خلاف عقلاً وشرعاً: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[4].

وقد ورد التسبيح مقيداً بلفظ مخصوص، وغير مقيّدٍ. فالمقيّد هو المضاف إلى اسم ظاهر أو إلى ضمير مثل قوله:

«سبحان اللّه» و«سبحانك»، (و«سبحانه»)[5]. فبأي اسم من أسماء اللّه سبَّحُه المسبّح، أو بأي حال ربطه فإن نتيجته تكون مناسبة لذلك الاسم، ومرتبطة بتلك الحال.

وأمّا التسبيح الغير المقيّد فهو مثل قوله[6]، صلى اللّه عليه وسلم: «سبوح قدّوس»[7]. وهذا أكمل تسبيح للعارفين[8]. لأنه كناية عن عين المسبّح، ونتيجته أعظم النتائج. لأنه غاب عن التسبيح بالمسبّح، وعن الاسم بالمسمى.

واللّه أعلم.

(٢) مسألة في معنى قوله: «الحمد للّه»

قال اللّه تعالى آمراً: ﴿**وقل الحمد للّه**﴾[9].

أي عواقب الثناء ـ فإن مرجع الحمد ليس إلاّ إلى اللّه تعالى. فإنه المُثْنِي والمُثْنَى عليه. فمرجع الأمر في الأمرين إليه تعالى.

ولما كان الحمد يعطي المزيد من اللّه تعالى للحامد. علمنا أن الحمد، بكل وجهٍ، شكرٌ.

---

(١) ما بين القوسين سقط من (س).

(٢) في (س): (ذلك).

(٣) في (س): (الشرك والمشرك).

(٤) **القرآن الكريم**، سورة الشورى، الآية ١١، مكية.

(٥) ما بين القوسين سقط من (س).

(٦) في (س): (فمن).

(٧) قول الرسول: سبوح قدوس. لم أهتد إليه فيما بين يدي من كتب الحديث.

(٨) في (س)، (م): (العارفين).

(٩) **القرآن الكريم**، سورة النمل، الآية ٩٣، مكية. ونصُّها: ﴿**وقل الحمد للّه سيريكم آياته فتعرفونها**﴾.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكذلك ما أعطى المزيد من الأذكار فهو شكر. فهو حمدٌ كله. لأنه ثناءٌ على اللّه تعالى. فصاحبُ هجير الحمد المطلق الذي لا يقيّده شيء[١] من الصفات الباعثة عليه يفتح عليه جميع ما يعطيه كل تحميد ما لم يقف على حال (من الأحوال لما يحصل له فيه من الحلاوة. فيقيّده ذلك الاستحلاء. فلا يقف صاحب هذا الذكر مع أمر)[٢] يرد عليه من الحق تعالى[٣] فيقيّده فهو مع كل وارد بحسب ذلك الوارد من غير تعلق بمعية. فمعية مع الوارد معية الحق تعالى مع عباده حيثما كانوا[٤]، لعلمه تعالى أنهم لا يكونون إلاّ بحسب أسمائه الحاكمة عليهم، والمتصرفة فيهم. فهو تعالى مع أسمائه لا معهم. ولكن ما وقع الإخبار إلاّ أن اللّه تعالى معهم أينما كانوا. كذلك الواردات لا تتعين للعبد إلاّ بحسب استعداده الذي أعطاه ذكره. وذكره من فعله فهو في معيةٍ مع الواردات، مع نفسه، كما ذكرنا في معية الحق على السواء.

واللّه أعلم[٥].

(٣) مسألة للغزالي «رضي الله عنه»[٦]

اعلم أن الحق تعالى هو المتفرّد بالأفعال كلها تفرّداً حقيقياً، وهو المستوجب للحمد وحده. إذ لا شركة لأحدٍ معه في فعله، كما لا شركة للقلم مع الكاتب في استحقاق المدحية عند حُسْنِ الخط. ومن سواه ممن يرى منه نعمة. فهو مسخر له كالقلم، فهذا مثال ما ينبهك على تفرّده باستحقاق الحمد.

واللّه أعلم.

---

(١) في (س): (بشيء).

(٢) ما بين القوسين سقط من (س).

(٣) في (س): (سبحانه).

(٤) في (م): (حيث ما كانوا).

(٥) سقطت من (س).

(٦) في (س): (رحمه اللّه تعالى). قال: **والغزالي**: هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي. ولد في مدينة (طوس) ثاني مدينة في خراسان بعد نيسابور. وكان مولده سنة (٤٥٠هـ - ١٠٥٨م) وتوفي سنة (٥٠٥هـ يوم الاثنين الموافق ١٤ جمادى الآخرة، ١٨ ديسمبر سنة ١١١١م) أيضاً بمدينة (طوس) ودفن بظاهر قصبة الطابران. وما بين هذين التاريخين رحلة طويلة عمّقها الغزالي في العلم والمعرفة ورحل إلى بلاد كثيرة وعلّم العلم في مدرسة النظام. وكتب عن العلوم الإسلامية معها وضدها حيناً. حتى استقرّ به المقام متصوفاً. ترك عدداً كبيراً من المؤلفات. أهمها **إحياء علوم الدين، والمستصفى من علم الأصول، والأربعين في أصول الدين، وتهافت الفلاسفة**، وفي التصوف **مكاشفة القلوب**. وغير ذلك كثيراً لكني لا أستطيع أن أغفل كتابه الهامّ **المنقذ من الضلال**، وكذلك **معارج القدس**.
انظر: د. عبد الرحمن بدوي: **مؤلفات الغزالي**، وانظر أيضاً د. سليمان دنيا في كتابه الهام جداً: **الحقيقة في نظر الغزالي**، وإذا كان د. عبد الرحمن بدوي جمع رحلة الغزالي الخارجية وأثره، فإن د. سليمان دنيا اهتم برحلة الغزالي الداخلية (الباطنية) الخاصة.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٤) مسألة في معنى قوله: «لا إله إلاّ اللّه»

اعلم أن الألوهية مرتبةٌ لا تكون إلاّ لواحدٍ وهو اللّه تعالى. وهي التي انتفت عن غير اللّه تعالى. وهي التي تثبت للّه تعالى، والذي انتفت عنه الألوهية ما انتفت عنه بنفي نافٍ، بل نفيها لذاتها. والذي ثبتت له الألوهية لم تثبت له بإثبات مثبت، بل ثبوتها لذاتها. فلا يفتح للذاكر في شهودها سوى العلم بها. وليس معلوم العلم إلاّ نسبٌ. والنِّسَبُ أمورٌ عدمية. والحكم للنسب، والمنسوب، والمنسوب إليه. النسب: هي الألوهية. والمنسوب: هي الذات. والمنسوب إليه: هو المألوه. وبالمجموع يكون الأثر والحكم. ومهما أفردت واحداً من هذه الثلاث[١] دون الباقي لم يكن أثر، ولا صح حكم. فلهذا لإيجاد كان[٢] بالفردية لا بالأحدية.

واللّه أعلم[٣].

(٥) مسألة في معنى قوله: «اللّه أكبر»

اعلم أن هذه الكلمة قد وردت في الأذان، والصلاة، وغيرهما (وهي على وزن أفعل)[٤]، ولفظة «أَفْعَل» تأتي على الأغلب بطريق المفاضلة. ثم المفاضلة في هذه الكلمة تكون في أمرين:

أحدهما: في الأسماء الإلهية.

والثاني: في ذكر الذاكرين.

أمّا المفاضلة بين الأسماء الإلهية فهو معنى قوله[٥]: «اللّه أكبر». أي: أجلّ وأعظم من جميع الأسماء الإلهية. بما يعطيه فهمُ الخلق في كل اسم.

وأما المفاضلة بين ذكر الذاكرين فهو أن ذكر اللّه تعالى نفسه أجلّ وأعظم من ذكر العبد إيّاهُ تعالى. لأن نسبته إلى اللّه تعالى أكبر من نسبته إلى العبد. وإن كان العبد لا يذكر اللّه تعالى، إلاّ به.

ثمّ الذكر على طريق المفاضلة ممنوع عند من يرى أن الذاكر هو عين المذكور. لأن الواحد لا يقبل المفاضلة في نفسه. فمن ذكر اللّه تعالى على هذا الحكم، بهذا الذكر،

---

(١) في (س): (الثلاثة).

(٢) سقطت من (م).

(٣) سقطت من (س): وسأكتفي هنا بهذه الإشارة فسقوطها يتكرر كثيراً.

(٤) ما بين القوسين مضاف من (س).

(٥) سقط من (س).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كشف له ذوقاً يتبين له به أن الحق تعالى عينه، وأنه يستحيل أن يذكر اللّه تعالى غير اللّه[1] أو سمع ذكره إلاّ اللّه[2]. وأن يكون المذكور إلا هو تعالى. ومن ذكر اللّه تعالى (من حيث إنه ذكر)[3] مشروع ولا تخطر له المفاضلة. فتح له ما هو الأمر عليه من غير تقييد.

واللّه أعلم.

(٦) مسألة في جواهر الغزالي[4] في معنى قوله: «اللّه أكبر»

ليس المعنى به أنه أكبر من غيره. إذ ليس معه غيره. وكل من سواه[5] من آثار قدرته. بل معناه أنه أكبر أن يعرفه غيره.

(٧) مسألة في معنى قوله تعالى: ﴿وأفوض أمري إلى اللّه﴾[6]

اعلم أن الأمر قد نزل إلى الخلق جملة واحدة. فقبل كل شخص منه بقدر وسعه. وما زاد على وسعه، وفاض عنه رجع إلى اللّه تعالى. سواء علم به ذلك الشخص أو لم يعلم، ولكن من علم بفيضانه ورجوعه إلى اللّه تعالى بقوله: ﴿وأفوّض أمري إلى اللّه﴾

كان له يدٌ عند اللّه تعالى يجازيه بها. ومن لم يعلم ولم يقل فليس له عند اللّه يدٌ.

واعلم أن العبد القابل لأمر اللّه تعالى لا يقبله إلاّ باسم خاص إلهي. وأن ذلك الاسم لا يتعدى حقيقته. فما عجز العبد ولا فاض عنه شيء. لأنه محلّ ظهور أثر كل اسم إلهي. (فعن الاسم الإلهي)[7] فاض، لا عنه. فلما فوّض بقوله: ﴿وأفوّض أمري إلى اللّه﴾

ما عيّن اسماً بعينه. وإنما فوّض إلى الاسم الجامع فتلقاه منه ما يناسب ذلك الأمر في خلق آخر.

مسألة (٨)

قال اللّه تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون﴾[8].

---

(١) في (س): غيره.
(٢) في (س): (إلاّ هو).
(٣) في (س): (على الحمد المشروع).
(٤) سبقت ترجمة الغزالي. والكتاب: (جواهر القرآن)، نشر في القاهرة مكتبة الجندي بدون تاريخ.
(٥) في (س): (بل كل ما سواه من آثار قدرته).
(٦) القرآن الكريم، سورة غافر، الآية ٤٤، مكية.
(٧) ما بين القوسين سقط من (س).
(٨) القرآن الكريم، سورة الذاريات، الآية ٥٦، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اعلم أن العبادة هي الذلة في اللغة. وهي ذاتية للعبد، لا يحتاج فيها إلى تكليف وقال تعالى: ﴿وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه﴾[1].

فقضاء[2] اللّه لا يُرَد. ولا بد أن يكون الخالق تعالى عين كل صورة يعبدها المخلوق. وكما أنه تعالى عين كل صورة معبودة. فكذا هو عين كل صورةٍ عابدةٍ. لأنه تعالى عين كل مفتقر إليه.

واللّه أعلم.

مسألة (٩)

اعلم أن الأثر إذا ارتبط بين أمرين توقَّف وجوده على هذين الأمرين لا محالة. فلا يصح وجود أصلاً عن أصلين.

الأصل الأول:

الاقتدار: وهو الذي يلي جانب الحق تعالى.

والثاني:

القبول: وهو الذي يلي جانب الممكن.

فلا استقلال من الأصلين بالوجود[3]، ولا بالإيجاد. غير أن الممكن لا يقول في نفسه إنه موجد نفسه، بل يقول:

إن اللّه تعالى أوجده. فلما علم اللّه تعالى أن الممكن آثر ربّه على نفسه بنسبة الإيجاد إليه أعطاه الظهور بصورته جزاءً.

فلا أكمل من العالم إلاّ اللّه تعالى.

مسألة (١٠)

اعلم أن وصف الحق تعالى نفسه بالغنى[4] عن العالمين. إنما هو لمن توهّم أن اللّه تعالى ليس عين العالم. وفرَّق بين الدليل والمدلول. ولم يتحقق[5] بالنظر إذا كان الدليل على الشيء نفسه بلا يضاد نفسه.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ٢٣، مكية.

(٢) في (س): (وقضاء).

(٣) في (س): (في الوجود).

(٤) في (س): (بالغنا).

(٥) سقطت من (س).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالأمر واحد، وإن اختلفت العبارات عليه. فهو العالم والمعلوم والعلم. وهو الدليل والدال والمدلول.

فبالعلم يعلم العلم. فالعلم معلوم العلم. فهو المعلوم وهو العلم. والعلم ذاتي للعالم. وهو قول المتكلم ما هو غيره فقط. وأما قول القائل بعد هذا ما هو هو. فهو لما يرى أنه من مفعول زائدٍ على هو. فينبغي ألاّ[1] يكون هو. وما قدر أن يثبت هو من غير علم يصفه به.

فقال: ما هو غيره، فحار، فنطق بما أعطاه فهمه. فقال: إن صفات الحق تعالى ما هي هو. ولا هي غيره. ولكن إذا قلنا نحن بمثل هذا القول. ما نقوله على حد ما يقوله المتكلم فإنه يعقل الزائد ولا بد. ونحن لا نقول بالزائد فما يزيد المتكلم على من يقول إن اللّه تعالى فقير[2] إلاّ بحسن العبارة[3]. ونعوذ باللّه أن نكون من الجاهلين.

مسألة (١١)

اعلم أن الأسماء والصفات نسب وإضافات ترجع إلى عين واحدة. إذ لا كثرة هناك بوجود أعيان زائدة على الذات المقدسة. كما زعم من لا علم له باللّه تعالى من بعض النظار. فلو كانت أعياناً زائدةً، وما هو إلٰه إلاّ بها، لكان معلولاً بها. (فلا تخلو إلاّ أن تكون هي عينه)[4]. فالشيء لا يكون معلولاً لنفسه أو لا تكون. فالإلٰه لا يكون معلولاً لعلة ليست عينه. لأن ذلك يقتضي افتقاره، وافتقار الإلٰه محال. فكون الأسماء والصفات أعيان[5] زائدة محال.

واللّه أعلم.

مسألة (١٢)

اعلم أن الفرائض عبادة جبرية، والنوافل عبادة اختيارية فيها رائحة ربوبية لأنها تواضع. والتواضع لا يكون إلاّ ممن لهم سهم في السيادة والرفعة. والعبد ليس له نصيب في السيادة ولا في الرفعة. فلهذا نقص فضل النفل عن الفرض. لأن العلم بالأمر على ما هو عليه الأمر على قدر الاعتقاد. وهذا علم شريف يورث لمن قام به سعادة لا تشبهها سعادة.

---

(١) في (س)، (م): (أن لا).

(٢) غير واضحة في (م).

(٣) في (س): (بحسب العبارة).

(٤) (في (س): (فلا يخلو أن تكون عينه).

(٥) في (م): (أعياناً).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإذا التزم العبد النوافل وتحقق بها فتح عليه في معرفة نفسه وربه. واعلم أن اللّه تعالى قد ظهر في صورة ممكن فينبغي للعبد أن يتأدب مع اللّه تعالى وينسب الخير إليه، وينسب الشر[1] إلى نفسه.

واللّه أعلم.

مسألة (١٣)

اعلم أن قول اللّه تعالى: ﴿**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث**﴾[2].

تنبيه لنا على أن كل كلام في العالم كلامه تعالى. لأنه ما أتى من اللّه تعالى إلينا[3] إلاّ كل ذكر محدث بلا شك. وكل شيء من اللّه تعالى حسنٌ. ساءَ ذلك أم سَرَّ. وقد قال: ﴿**فبشّر عباد**[4] **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم اللّه**﴾[5] إلى معرفة الحسن والأحسن. ﴿**وأولئك هم أولو الألباب**﴾[6].

يعني: المستخرجون لُبَّ الأمر المستور بالقشر صيانة له. فإن العين لا تقع إلاّ على الحجاب. وهو الصورة التي يتجلى فيها الحق تعالى، ثم يتحول عنها إلى حجاب آخر. فما ثَمَّ في الحقيقة إلاّ انتقالٌ من حجاب إلى حجاب. لأنه ما تكرر تجلٍّ[7] إلهي قط. فلا بد من اختلاف الصور. والحق تعالى من[8] وراء ذلك كله. فما لنا منه تعالى إلاّ[9] الاسم الظاهر رؤية وحجاباً.

وأما الاسم الباطن فلا يزال باطناً وهو اللب المعقول الذي يدركه أولو الألباب. يعني يعلمون أن ثَمَّ لُبّاً. وهو الاسم الباطن المستور بالاسم الظاهر. وهو المسمى[10] في الحالين. فمن قال بالرؤية صدق. ومن قال بعدم الرؤية صدق. لأن النبي، (صلى اللّه عليه وسلم)، أثبت لنا الرؤية بقوله: (**ترون ربكم**)[11].

---

(١) في (م): (الذنب).
(٢) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ٢، مكية.
(٣) في (س): (لأن ما أتانا من اللّه تعالى إلا كل ذكر).
(٤) في (س): ﴿فبشّر عبادي﴾ وكذلك (م).
(٥) القرآن الكريم، سورة الزمر، الآيتان (١٧، ١٨)، مكية.
(٦) استكمال آية ١٨ من سورة الزمر.
(٧) في (س)، (م): (تجلى).
(٨) سقطت من (س).
(٩) سقطت من (س).
(١٠) في (س): (المسما).
(١١) حديث «ترون ربكم».

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونفى[1] الرؤية لما سُئل: (هل رأيت ربك)[2].

فقال: (نورٌ أنّى أراه).

أي أنه نور فلا أراه لضعف الحدوث. والنور للّه تعالى وصف ذاتي. والحدوث لنا نسبة ذاتية. فنحن لا نزال على ما نحن عليه. وهو تعالى لا يزال على ما هو عليه. فمن قال على اللّه تعالى ظاهر، فما قال على اللّه تعالى إلاّ ما قال اللّه تعالى عن نفسه. ولا فائدة لكون الأمر ظاهراً إلاّ مشاهدته. فهو تعالى مشهود، فرئي من هذا الوجه. ومن قال إن اللّه تعالى باطن، فما قال على اللّه تعالى إلاّ ما قال اللّه تعالى عن نفسه. ولا فائدة لكون الأمر باطناً إلاّ أنه ﴿لا تدركه الأبصار﴾[3]. فهو تعالى لا يشهد ولا يرى من هذا الوجه.

ومثال ذلك صورة الإنسان الظاهرة، وروحه الباطنة المدبرة لصورته للصورة الظاهرة، فمن قال إن الإنسان عبارة عن العين الباطنة المدبرة الظاهرة. قال إنه ما يُرى. ومن قال إن الإنسان هو عبارة عن الصورة الظاهرة فقط، قال إنه يُرى.

ومن قال إن الإنسان هو المجموع فهو الظاهر والباطن قال إنه يُرى وما يُرى - فهو المعنى كقول اللّه تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن اللّه رمى﴾[4].

فأحسن القول إثبات الأمرين على الوجهين.

فَمـا ثَـمَّ مَـشْـهُـودٌ، ولا ثَـمَّ شـاهِـدٌ   سِـوى واحـدٍ والـفَـرْقُ يُـعْـقَـلُ بِـالجَمْـعِ
فَـمَـنْ قَـالَ شَـاهَـدْنَـاهُ يَـصْـدق قـولُـه   وَمَنْ قَالَ لَمْ نَشْهَـدْ فَلِلضَّعفِ وَالصَّدْعِ
عَلَى السَّمْعِ عَوَّلْنَا فَكُنَّا أُولي النُّهَى   وَلا عِـلْـمَ فِـيـمَـا لا يَـكُـونُ عـن الـسـمْـعِ

= انظر: الحديث رقم (١٨٠٢) ص ٢٨٧ حـ٣ من كتاب (اللؤلؤ والمرجان) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللّه (ص): إن اللّه يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة. يقولون: لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك. فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك. قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً. قيل: هو رؤية اللّه.

(١) في (س): (ونفا).

(٢) حديث: «هل رأيت ربك، قال: رأيت نوراً أنّى أراه».

ذكر الحافظ العراقي في تخريجه للأحاديث الواردة في كتاب الإحياء قال: حديث أنه «صلى اللّه عليه وسلم ما رأى ربه. هو قول عائشة ففي الصحيحين أنها قالت: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب». وقال ابن خزيمة مع أن في رواية لأحمد في حديث أبي ذر: «رأيته نوراً أنّى أراه» ورجال إسنادهما صحيح. انظر: هامش الإحياء، حـ٤ ص ٣٠٤ وانظر: اللؤلؤ والمرجان، ص ٤١ حديث رقم ١١١ حـ١ باب وهل رأى النبي ربه؟.

(٣) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ١٠٣، مكية. وهذا نصُّها: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾.

(٤) القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية ١٧، مدنية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إِذَا كـانَ مَـعْـصـومـاً وَقَـالَ بِـقَـوْلِـهِ   هُوَ الحَقُّ لاَ يَـأْتِـيـهِ مَـيـنٌ عَـنِ الـقَـطْـعِ[1]

فَـعَـقْـلٌ وشَـرْعٌ صَـاحِـبَـانِ تَـآلَـفَـا   فَـبُـورِكَ مِـن عَـقْـلٍ وبُـورك مِـن شـرعِ

مسألة (١٤)

اعلم أن الاتِّباع إنما يكون فيما حدّه اللّه تعالى ورسوله، (صلى اللّه عليه وسلم)، فتمشي حيث مشى[2] بك، وتقف حيث وقف بك. فإن الآيات الإلهية وردت متنوعة وتنوع بتنوعها وصف المخاطب.

واللّه أعلم.

مسألة (١٥)

اعلم أن اللّه تعالى أمرنا بتوحيده[3]، ونهانا عن التفكُر في ذاته، فعصاه أهل النظر في ذلك بأجمعهم ممن يزعم أنه من أهل اللّه تعالى. واحتجوا بأمور هي عليهم لا لهم. وبعد استيفاء النظر أقروا بالعجز. فلو كان ثَمَّ علمٌ وإيمان حتى صدقوا لكان ذلك في أول قدم، وتعدوا حدود اللّه التي هي أعظم الحدود، وجعلوا ذلك التعدي قربة إلى اللّه تعالى، ولم يعلموا أن ذلك عين البعد عنه.

مسألة (١٦)

اعلم أن ليس في الوجود من يقبل الأضداد إلاَّ العالم، من حيث ما هو واحدٌ، وفي هذا الواحد ظهرت[4] الأضداد. وما هي إلاَّ أحكام أعيان الممكنات في عين الوجود التي بظهورها علمت الأسماء الإلهية المتضادة، وأمثالها. فإذا علمت ذلك فقل[5] (بعد هذا)[6] ما شئت. إما كثرة الأسماء أظهرت كثرة الأحكام، وإما كثرة الأحكام أظهرت كثرة الأسماء. فإنه لا ينكره عقل ولا شرع، فالوجود يشهد له. وما بقي إلاَّ إلى ما ينسب الحكم للأسماء الإلهية أم للممكنات الكونية وهما مرتبطان[7] محكوم بهما في عين واحدة.

فَـيَـا خَـيْـبَـةَ الجُهَّـالِ مَـاذا يَـفُـوتُـهُـم؟   وَمَـاذا يَـفُـوتُ الـقَـائِـلِـيـنَ لِجَهْـلِـهِـمْ؟

---

(١) هذا البيت سقط من (س).

(٢) في (س): (مشا).

(٣) في (س): (في الألوهية) زائدة.

(٤) في (م): (ظهر).

(٥) الإضافة (ذلك) من (س).

(٦) ما بين القوسين سقط من (س).

(٧) في (م): (مرتبطتان).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من وَحّد فما أنصف، ومن أشرك فما أصاب. هو تعالى واحد لا بتوحيده لنفسه لأنه تعالى واحد لنفسه. فما أحديته تعالى مجعولة ولا واحديته[1] كثرة مجهولة.

والله أعلم.

مسألة (١٧)

فيما يتعلق بمعنى قول الله تعالى: ﴿**ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ**﴾[2].

فنحن وما عندنا عنده، وليس الذي عنده عندنا.

اعلم أنه ليس لنا طريق إلى الوجود إلاّ على وجود الحق[3] لنستفيد[4] الوجود. فتفهّم هذا الترتيب فإنه يعطيك العلم بحكم المواطن، وأنها تحكم بنفسها[5] في كل من ظهر بها[6]. فمن مرّ على موطن انصبغ به. والدليل الواضح في ذلك رؤيتك الحق في النوم. وهذا موطن الخيال. فما ترى الحق فيه في صورة جسدية كانت تلك الصورة ما كانت فهو حكم الموطن، قد حكم عليك في الحق تعالى أنك لا تراه إلاّ هكذا. كما أنك إذا دخلت موطن النظر العقلي، وخرجت من[7] خزانة الخيال وموطنه، لم تدرك الحق تعالى إلاّ منزهاً عن الصورة التي أدركته فيها في موطن الخيال[8].

وإذا كان الحكم للمواطن عرفت أنك إذا رأيت الحق تعالى ما رأيته فاثبت ذلك الحكم للموطن حتى يبقى الحق تعالى لك مجهولاً أبداً، فلا يحصل لك علم به في نفسك إلاّ بتوحيد المرتبة له. وأما أن تعلم ذاته فمحال لأنك لا تخلو عن موطن تكون فيه يحكم عليك ذلك الموطن بأن لا ترى الحق تعالى إلاّ به فإنك تفارق ما أعطاك بعد العلم به في موطن آخر. فتحكم على الحق تعالى في كل موطن بحكم ما هو غير الحكم الذي حكمت به عليه في الموطن الذي فيه، فتعرف عند ذلك أنك ما تعرف الحق تعالى من حيث يعرف نفسه وهذا غايتنا من العلم به تعالى. فما عندنا من العلم به تعالى في موطن ينفد في موطن آخر. وما عند الله تعالى من علمه بنفسه باقٍ لا يتغير، ولا يتبدل، ولا يتنوع بتنوع المواطن.

---

(١) في (س): (ولا أحدية).
(٢) **القرآن الكريم**، سورة النحل، الآية ٩٦، مكية.
(٣) في (س): (الحق تعالى).
(٤) في (س): (لنستفيد منه).
(٥) في (س): (لنفسها).
(٦) سقطت من (س).
(٧) في (س): (عن).
(٨) في (س): (في عالم الخيال).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإن المواطن تنوعها لذاتها ولو لم تتنوع المواطن لكانت موطناً واحداً. كما أن الأسماء الإلهية لو لم تختلف معانيها لكانت اسماً واحداً كما هي من حيث مسمّاها.

والله أعلم.

مسألة (١٨)

قال الله تعالى: ﴿وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه﴾[١].

اعلم أن عندية الحق تعالى ليست بظرف مكان قطعاً[٢]. ولا هي ظرف زمان مختصّ. بل هي ظرف ثالثٌ وهو أمر نسبي لا وجودي.

والنسب أمور عدمية ثابتة الحكم معدومة العين[٣]. ومن المعلوم أن الله تعالى يخلق الأشياء، ويخرجها من العدم إلى الوجود. وإضافة خزائن الأشياء إلى عندية الحق تعالى ظاهرها يقتضي أنه تعالى[٤] يخرج الأشياء من موجود[٥] لم تُدركه إلى وجود ندركه. فما خلّص الأشياء إلى العدم الصرف بل ظاهر الأمر يقتضي أن عدمها من العدم الإضافي. فإن الأشياء في حال عدمها مشهودة لله تعالى، متميزة بأعيانها (بعضها عن بعض)[٦] ما عنده تعالى فيها إجمال، فخزائن الأشياء التي هي أوعيتها المخزونة فيها إنما هي إمكاناتها. لأن الأشياء لا وجود لها في أعيانها، بل لها الثبوت، والذي استفادته من الحق تعالى هو الوجود العيني. وفي حال وجودها لم تخرج من خزائنها. فإن الإمكان ما فارقها حكمه. فمن رأى الأشياء ولم يرَ خزائنها، ولا رأى الحق الذي عنده خزائنها فما رأى الأشياء قط.

فإن الأشياء لم تفارق خزائنها، وخزائن الأشياء لم تفارق عندية الحق تعالى، وعندية الحق تعالى لم تفارق ذات الحق تعالى. فمن شهد واحدة من هذه الأمور الثلاثة فقد شهد المجموع. وما في الكون أحدية إلاّ أحدية المجموع.

وأنت تعلم أن الحق تعالى[٧] له الصفات العُلى، والأسماء الحسنى المختلفة الحقائق والمدلولات فهي الخزائن الإلهية التي فيها خزائن الإمكانات المخزونة فيها الأشياء.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الحِجْر، الآية ٢١، مكية.

(٢) في (س): (أصلاً).

(٣) في (س): (منفية العين).

(٤) سقطت من (س).

(٥) في (س): (وجود) والأولى أفضل فهي تناسب فكرة نظرية وحدة الوجود في أن المعدوم شيء. وبما أنه شيء فهو موجود لكننا لم ندركه. ثم يتحول فيما بعد إلى وجود ندركه بعد أن تفيض عليه الذات من خزائن جودها.

(٦) ما بين القوسين سقط من (س).

(٧) في (س): (سبحانه).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عِــنــديَّــةُ الحَقِّ عَــيْنُ ذاتِــهِ　　فــيــهــا لأَشْــيَــائِــهِ خَــزَائِــنُ
يَــنْــزِلُ مِــنْــهَــا الَّــذي نَــرَاهُ　　فَــهْــوَ لِمَا تَحْــتَــوِيــه صَــائِــنُ[1]
إِنْــزَالُــه لَمْ يُــزِلْــهُ عَــنْــهَــا　　لأَنَّــهُ عَــيْنُ كُــلِّ كَــائِــنْ
فــعــنــديــة الحق مــعــقــولــةٌ　　وعــنــديــةُ الــهُــو فَــلا تُــعْــقَــلُ
وَعِــنْــدِيَّــةُ الــلّــهِ مَــجْــهُــولَــةٌ　　وَعِــنْــدِيَّــةُ الخَلْــقِ لاَ تُجْــهَــلُ
وَلَــيْــسَ هُــمَــا عِــنْــدَ ظَــرْفِــيــهِ　　وَلَــيْــسَ لَــهَــا غَــيْــرُ مــحــمــلُ

مسألة (١٩)

في معنى قوله تعالى: ﴿ومَا قدروا اللّه حق قدره﴾[2].

مَــا قَــدَرَ الــلّــه غَــيْــرَه أحــدٌ　　وَلَــيْــسَ غَــيْــرُ فَــكُــلُّــهُــمْ قَــدرَا
مَــا حَــقُّ قَــدْرِ الإِلٰــهِ عِــنْــدِي سِــوى　　أَنَّــهُ الــلّــهُ فَــاعْــرِفِ الــصُّــورا

اعلم أن الحق تعالى قد وصف نفسه في الصورة الظاهرة باليدين والأعين، وشبه ذلك، مما وردت به الأخبار، والدليل العقلي ينزه الحق تعالى عن حكم الظاهر من ذلك في المحدثات. فحق قدره تعالى إضافة ما أضافه إلى نفسه تعالى. مما ينكر الدليل العقلي إضافته إليه تعالى. فمن أضاف مثل هذا إليه تعالى عقلاً، فذاك الذي ما قدّر اللّه حق قدره. ومن أضافه إليه شرعاً وشهوداً، وكان على بيّنة من ربه، فهو الذي قدر اللّه تعالى حق قدره.

فالإنسان الكامل الذي هو الخليفة، قدّر اللّه تعالى ظاهراً وباطناً، صورة، ومنزلة، ومعنى[3]. فمن كل شيء في الوجود زوجان: فاعل ومنفعل فيه. فالحق تعالى فاعلٌ، والعالم منفعل فيه. لأنه محل ظهور الانفعال بما يتناوب عليه من صور الإمكانات من حركة وسكون، واجتماع وافتراق. ومن صور الأكوان والصفات والنسب.

فالعالم قدر اللّه تعالى وجوداً. وأمّا في الثبوت فهو أظهر بحكم الأزل الذي هو[4]

---

(١) أي أن اللّه يصون كل ما تحتويه هذه العندية ومعلوم لأصحاب مدرسة وحدة الوجود أن العندية هي الصفات التي لا تتناهى في الكثرة. لذا فإن البيت التالي مباشرة يؤكد هذا المعنى في قوله:

إنــزالــه لم يــزلــه عــنــهــا　　لأنــه عــين كــل كــائــن

وأظن أن المعنى هنا قد اتضح.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ٩١، مدنية.

(٣) في (س): (ومنعاً).

(٤) في (م) تقرأ: (تعدى) وفي (س) تقرأ (الذي هو) وصححتها: (الذي هم للممكنات في ثبوتها) كما ترى وقد تأكدت=

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للممكنات في ثبوتها. لأن الإمكان للممكن نعت ذاتي نفسي[١]. ولم يزل[٢] الممكن ممكناً في حال عدمه ووجوده. فكما سبح الحق تعالى نفسه عن التشبيه، سبح الممكن نفسه عن التنزيه[٣]، وما ظفر بالأمر على ما هو عليه إلاّ من جمع بينهما. فقال بالتنزيه من وجه عقلاً وشرعاً. وقال بالتشبيه من وجه شرعاً لا عقلاً.

والشهود يقتضي بما جاءت به الرسل إلى أمها في اللّه تعالى. **﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾**[٤]. فأنا مؤمن بما جاءت به الرسل. فكل واصف فإنما هو واقف مع نعت مخصوص فينزّه اللّه تعالى نفسه عن ذلك النعت من حيث تخصيصه، لا من حيث إنه له. فإن أحديته تعالى أحدية المجموع، لا أحدية كل واحد من المجموع.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٠)

في بيان المعاني المرادة بقوله تعالى: **﴿وما يؤمن أكثرهم باللّه إلاّ وهم مشركون﴾**[٥].

وقوله: **﴿إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾**[٦].

اعلم أن «ما» زائدة. وليس القليل إلاّ من آمن باللّه[٧] فإن الموحّد من وحّد اللّه باللّه. وأمّا من وحّد اللّه بنفسه فهو المشرك في توحيده. وما أخذ اللّه ميثاق الذرّية إلاّ بالتصديق بالوجود وبالملك لا بالتوحيد. فلما عدم التوحيد من الفطرة ظهر الشرك في الأكثر ممن يزعم أنه موحّد.

وما أدّاهم إلى ذلك إلاّ التكليف. فإنه تعالى لما كلفهم تحقق أكثرهم أن اللّه تعالى ما كلفهم إلاّ وقد علم أن لهم اقتداراً نفسياً على إيجاد ما كلفهم به من الأفعال. فلم يخلص لهم توحيد. فلو علموا أن اللّه تعالى ما كلفهم إلاّ لما فيهم من الدعوى من نسبة الأفعال إليهم لتجردوا عنها باللّه تعالى لا بأنفسهم كما فعل أهل الشهود.

= منها في (الباب السادس والتسعين وأربعمائة) من كتاب **الفتوحات المكية**، انظر ص ١٣٢، مجلد ٤، طبعة صادر، بيروت.

(١) في (س): (ذاتي)، وفي (م): (نفسي) والصحيح كما أثبته. انظر: **الفتوحات المكية**، جـ٤، ص ١٣٢، الباب (٤٩٦).

(٢) في (س): (لا يزال).

(٣) في (س) جاءت العكس وهي لا تصح: (فكما سبّح الحق تعالى نفسه عن التنزيه سبّح الممكن نفسه عن التشبيه).

(٤) **القرآن الكريم**، سورة الكهف، الآية ٢٩، مكية.

(٥) **القرآن الكريم**، سورة يوسف، الآية ١٠٦، مكية.

(٦) **القرآن الكريم**، سورة ص، الآية ٢٤، مكية.

(٧) مكررة في (م).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإذا ألزم الذاكر نفسه هذا الذكر فتح له إقامة العذر عند اللّه لعباد اللّه فيما أشركوا فيه عند إيمانهم. فاللّه تعالى أثبت لهم الإيمان به. وهو عناية عظيمة.

واعلم أن من شأن الحق تعالى أنه حيثما[1] تصور كان له وجود في ذلك التصور. ولا يزول وجوده برجوع ذلك المتصور عما تصوره بخلاف المخلوق. فإنه إذا تصورته كان له وجود في تصورك. فإذا تبين لك أنه ليس كذلك زال وجوده بزوال تصورك عما تصورته. وهذا فرقانٌ بين الحق تعالى وبين الخلق. وهو علم شريف دقيق لا يعلمه كثير من الناس. فلهذا أثبت الشرك في العالم. لأن الحق تعالى قابلٌ صورة كل معتقدٍ، ولو لم يكن كذلك ما كان إلهاً.

فإذا سمع السامع الخبر النبوي بوجود اللّه تعالى آمن به على ما يتصوره. فما آمن إلاّ بما تصوره واللّه تعالى موجود عند كل تصور. كما هو موجود في خلاف ذلك التصور بعينه. **﴿وما يؤمن أكثرهم باللّه إلاّ وهم مشركون﴾**[2].

لما يطرأ عليهم في نفوسهم من مزيد اللّه باللّه تعالى، ولهم في كل مزيد تصور. ليس هو عين التصور الأول. وليس إلاّ اللّه تعالى في ذلك كله. فما جاء اللّه تعالى بهذه الآية إلاّ لإقامة عذرهم. ولم يتعرض للتوحيد.

واللّه أعلم.

مسألة (٢١) النور والظلمة[3]

اعلم أن النور يُدرَك ويدرك به. والظلمة تدرك ولا يدرك بها. وقد يعظم النور بحيث أن يدرك ولا يدرك به. ويَقْرُبُ بحيث أن لا يدرك ويدرك به. ولا يكون إدراك النور إلاّ بنور[4] في المدرك والمدرك لا بد من ذلك عقلاً وشرعاً.

فالحق تعالى هو النور المحض. والمحال هو الظلمة المحض[5]. فالظلمة لا تنقلب نوراً أبداً. والنور لا ينقلب ظلمة أبداً. والخلق بين النور والظلمة برزخ. لا يتصف بالنور لذاته، ولا

---

(١) في (م)، (س): (حيث ما).

(٢) القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية ١٠٦، مكية.

(٣) هذا العنوان غير موجود بالنسخة (س).
وهو أيضاً على الهامش الأيسر للنسخة (م). وفضلت إضافته فهو يعبر عن المسألة. وهناك عدد من العناوين تمت إضافتها من هامش النسخة (م) وسأكتفي هنا بهذه الإشارة.

(٤) في (س): (بالنور).

(٥) في النسختين (المحضة). والصحيح ما أثبته.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالظلمة لذاته[١] وهو الممتزج والوسط الذي له من طرفيه حكم. وهو في نفسه لا نور ولا ظلمة. ولا هو موجود ولا هو معدوم. وهو الوسط الذي يمنع النور المحض أن ينفر الظلمة المحض[٢]. ويمنع الظلمة المحض أن تذهب النور المحض. فيتلقى[٣] الطرفين بذاته فيكتسب بهذا التلقي من النور ما يوصف به من الوجود، ومن الظلمة ما يوصف به من العدم. فهو محفوظ من الطرفين، ووقاية للطرفين. فلا يقدر قدر الحق إلاّ اللّه تعالى. فجمع في وصفه بين النفي والإثبات. فلو كان موجوداً لا يتصف بالعدم لكان حقاً. ولو كان معدوماً لا يتصف بالوجود لكان محالاً.

فهو الحافظ المحفوظ. فهذا الحدّ له ثابت لازم لا يخرج، فإن قلت فيه[٤] حق كان قولك صادقاً. وإن قلت فيه باطل فهو باطل. فأما مسمى النور والظلمة في العرف ففي الظاهر الأنوار المدركة في الحس، والظلمة المدركة (في الحس)[٥].

وأمّا الأنوار الباطنة المعنوية فكنور[٦] الإيمان، ونور العقل، ونور العلم. وأمّا الظلمة الباطنة فكظلمة الشرك والجهل وعدم العقل.

وأمّا الذي ليس بنور ولا ظلمة فكالشك، والظن، والحيرة، والنظر. فهذه مجازات حقائق[٧] الواجب والممكن والمحال في عرف الممكنات. فقد جمع الممكن بنفسه حقيقته، وحقيقة طرفيه. وأبين ما يكون ذلك في الممكن[٨] ما يكون فيه من المعاني، والمحسوسات والخيالات. وهذا المجموع لا يكون حكمه في الطرفين أصلاً.

فالعلم بالممكن هو العلم الواسع العظيم الموج، الذي تغرق فيه السفن. فهو بحر لا ساحل له إلاّ طرفيه.

واعلم أنه في مقابلة كل نور ظلمة[٩]، كما أنه في مقابل كل وجود عدم[١٠]. فإن كان الوجود واجباً قابَلَهُ العدم الواجب. وإن كان الوجود ممكناً قابله العدم الممكن. فالمقابل على

---

(١) في (س): عكس (للنور والظلمة).
(٢) راجع الهامش (٥) في الصفحة السابقة.
(٣) في (س): (فيتلقا).
(٤) في (س): ساقطة.
(٥) ما بين القوسين سقط من (س).
(٦) في (س): (فهي نور).
(٧) في (س): (الحقائق).
(٨) في (س): (لك الممكن).
(٩) في (س): (في مقابل كل نور وظلمة).
(١٠) في (س): (في مقابل كل وجود وعدم).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صورة المقابَل. كالظل مع الشخص.

والله أعلم.

مسألة (٢٢) لولا النور

اعلم أنه لولا النور لم يدرك معلوم ولا محسوس ولا متخيل أصلاً. فبالنور أدرك المحال ولذلك ينسحب على كل قسم من أقسام العقل، كما ينسحب على أقسام الوجوب فنقول:

محال على المحال أن يقبل الوجود. ومحال على الواجب أن يقبل العدم. ومحال على الممكن أن يقبل الوجوب لذاته. وواجب على المحال أن لا يقبل الوجود. وواجب على الواجب أن لا يقبل العدم. وواجب للممكن أن يكون العدم والوجود في حقه على السواء. فقد علمت أنه ما تم معلوم في محال وغيره إلاّ وله نسبة ما إلى النور. والله تعالى هو النور. ولولا ذلك النور الذي له إليه نسبة ما صح أن يكون معلوماً. (والله تعالى هو المعلوم)[١]. فلا معلوم إلاّ الله تعالى. وعلى الحقيقة فما يدري أحد[٢] ما نقول، ولا كيف تكون نسبة الأنوار[٣] مع كون تعلقها. والعبارات تقصر عن الإحاطة بها.

والله أعلم.

مسألة (٢٣): الحجب النورانية والظلمانية

اعلم أن الحجب النورانية والظلمانية التي بين الحق تعالى، وبين العالم، إنما هي ما اتصف به الممكن في حقيقته من الظلمة والنور، لكونه وسطاً فهو لا ينظر إلاّ في نفسه. فلا ينظر إلاّ في الحجاب، فلو ارتفعت الحجب عن الممكن ارتفع الإمكان، وارتفع الواجب والمحال. فالحجب لا تزال مسدولة، ولا يمكن إلاّ أن يكون الأمر هكذا.

وانظر إلى قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: **«إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة. لو كشفها لأحرقت سُبُحاتُ وجهه ما أدركه بصره من خلقه»**[٤].

وقد أخبر الله تعالى أن الخلق تراه يوم القيامة ولا تحرق، وسبحات وجهه موجودة، فدل

---

(١) ما بين القوسين سقط من (س).

(٢) في (س): (فما ثم أحد يعرف).

(٣) في (س): (نسبة الأمور).

(٤) حديث: «إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلق».
الحديث: رواه الإمام مسلم، في باب الإيمان ٣٩٣، ٣٩٤ وابن ماجه، في المقدمة (٣).
والإمام أحمد بن حنبل، في مسنده المجلد الرابع ص ٤٠١، ٤٠٥. وله روايات مختلفة انظرها هناك. وانظر هامش كتاب الأزل، تأليف محمد وفا. تحقيق: سعيد عبد الفتاح طبعة أولى دار المتنبي باريس، ص ٢٦.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على أن الحجب لم ترتفع. فالرؤية حجابية ولا بد. والضمير في بصره يعود على «ما». و«ما» هنا عين خلقه. فكأنه يقول في تقدير الكلام ما أدركه بصر خلقه.

فإنّا لا نشك أن الحق تعالى يدركنا اليوم ببصره وسبحات وجهه موجودة. والحجب إن كانت عينه تعالى فإنها لا ترتفع، وإن كانت خلقاً احترقت. فإنها مدركة ببصره من غير حجاب ولو احترقت الحجب احترقنا فلم نكن. ونحن كائنون بلا شك فلو فهم الناس معنى هذا الحديث لعرفوا نفوسهم. ولو عرفوا نفوسهم لعرفوا ربهم. ولو عرفوا ربهم لاكتفوا به من كل شيء، فلم ينظروا في ملكوت السموات والأرض. لأنه تعالى عينها.

والله أعلم.

مسألة (٢٤): العطايا والمنح

اعلم أن المنح والعطايا الذاتية لا تكون إلاّ عن تجلٍ[١] إلهي. والتجلي عن الذات لا يكون أبداً إلاّ بصورة استعداد المتجلي له. غير ذلك لا يكون. فالمتجلَّى له ما رأى سوى صورته في مرآة الحق تعالى[٢]، وما رأى الحق تعالى ولا يمكن أن يراه، مع علمه أنه ما رأى صورته إلاّ فيه، كالمرآة في الشاهد إذا رأيت صورتك فيها لا تراها، مع علمك أنك ما رأيت صورتك إلاّ فيها. فأبرز الله تعالى ذلك مثالاً نصبه[٣] لتجليه الذاتي، ليعلم المتجلَّى له أنه ما رآه، وما ثَمَّ مثال أقرب ولا أشبه بالرؤية والتجلّي منه. وإذا ذقت هذا ذقت الغاية التي ليس فوقها غاية من حق المخلوق.

فلا تطمع ولا تتعب نفسك في أن ترقى أعلى من هذا الدرج. فما هو ثَمَّ أصلاً. وما بعده إلاّ العدم المحض. فالحق تعالى مرآتك في رؤيتك نفسك وغيرك. وذاتك مرآتك لرؤيتك أسمائه. وأنت مرآته تعالى في رؤيته أسمائه[٤]، وظهور أحكامها وليست سوى عينه تعالى.

فاختلط الأمر وانبهم. فمنا من جهل في علمه فقال: «والعجز عن درك الإدراك إدراك». ومنا من علم فلم يقل مثل هذا. بل أعطاه العلم[٥] السكوت. ما أعطاه العجز وهذا هو أعلى عالم بالله تعالى وليس هذا العلم إلاّ لخاتم الرسل، صلى الله عليه وسلم، وخاتم

---

(١) في (م)، (س): (تجلي).

(٢) في (س): ألفاظ الثناء إما «سبحانه» فقط وإما ساقطة.

(٣) سقطت من (س).

(٤) في (م): (أسماه) وفي (س): (أسمائه وصفاته).

(٥) في (س): (علمه).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأولياء[١]. فما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلاّ في مشكاة الرسول الخاتم، صلى اللّه عليه وسلم، ولا يراه أحد من الأولياء إلاّ في مشكاة خاتم الأولياء[٢].

مسألة (٢٥) علم الحق

اعلم أن الحق تعالى له علم. فهو العالم، وكذا باقي الصفات. والملك والإنسان كذلك. وحقيقة العلم واحدة.

فصفات الحق تعالى قديمة، إذ ذاتُه قديمة. وصفات المخلوق كلها حادثة، إذ ذاته حادثة. فانظر إلى ما أحدثته الإضافة من الحكم في هذه الحقيقة المعقولة. وانظر إلى هذا الارتباط بين المعقولات والموجودات العينية. فكما حكم العلم على من قام به أن يقال إنه عالمٌ، حكم الموصوف به على العلم بأنه حادث في حق الحادث، وقديم في حق القديم. فصار كل واحد منهما محكوماً حاكماً عليه. وإذا كان الارتباط بين من له وجود عيني، وبين من ليس له وجود عيني قد ثَبَت. وهي نسب وإضافات عدمية. فارتباط الموجودات بعضها ببعض أقرب أن يعقل لأنه على كل حال بينهما جامع وهي الوجود العيني. ولا شك أن المحدث قد ثبت افتقاره إلى محدث أحدثه لإمكانه لنفسه، فهو مرتبط به ارتباط افتقاره، ولا بد أن يكون المستند إليه واجب الوجود لذاته، غنياً في وجوده بنفسه غير مفتقر، وهو الذي أعطى الوجود لهذا الحادث فانتسب إليه. ولما اقتضاه بذاته كان واجباً به. ولما كان استناده إلى من ظهر عنه لذاته اقتضى أن يكون على صورته فيما ينسب إليه من كل شيء، من اسم وصفة. ما عدا الوجوب الذاتي. فإنه لا يصح في وصف الحدث وإن كان واجب الوجود. إذ وجوده بغيره لا بنفسه.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٦) مسمى العالم[٣]

اعلم أن مسمى العالم بالنسبة إلى اللّه تعالى؛ كالظل بالنسبة إلى الشخص. فهو ظل اللّه تعالى. وما أوجد اللّه تعالى الظلال، وجعلها ساجدة متفيئة[٤] عن اليمين وعن الشمال إلاّ دلائل لك عليك وعليه؛ لتعرف من أنت، ومن هو، وما نسبته إليك، وما نسبتك إليه حتى تعلم من أي حقيقة إلهية اتصف ما سوى اللّه تعالى بالفقر الكلي إليه، وبالفقر النسبي بعضه

---

(١) في (س): (ولخاتم الأولياء).
(٢) في (س): (إلا من مشكاة الخاتم للولاية).
(٣) العنوان هنا من المحقق حاولت به مجاراة النسخة (م) ولكني لم أستكمل العناوين إلا في بعض الإشارات الظاهرة فقط.
(٤) في (م): متفيأة.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى بعض. ومن أي حقيقة اتصف الحق تعالى بالغنى الكلي عن العالمين. ومن أين اتصف العالم، بالغنى بعضه عن بعض. من وجه عين ما افتقر إلى بعضه به.

فإن العالم مفتقر إلى الأسباب افتقاراً ذاتياً. وأعظم الأسباب له سببية الحق تعالى. ولا سببية للحق تعالى يفتقر إليها العالم سوى الأسماء الإلهية. والأسماء الإلهية، كل اسم يفتقر إليه العالم من عالم مثله، أو عين الحق تعالى. فهو اللّه تعالى لا غيره. ولذلك قال اللّه تعالى: ﴿**يا أيّها الناس أنتم الفقراء إلى اللّه واللّه هو الغني الحميد**﴾[١].

ومعلوم[٢] أن لنا افتقاراً من بعضنا إلى بعض. فأسماؤنا أسماؤه تعالى. إذ إليه الافتقار بلا شك. وأعياننا في نفس الأمر ظله لا غيره. فهو تعالى هويتنا لا هويتنا. وقد مهّدنا إليك[٣].

واللّه أعلم.

مسألة (٢٧) الرؤية بحسب العقيدة

اعلم أنه لا بدّ لكل شخص من عقيدة في ربه - يرجع بها إليه، ويطلبه فيها - فإذا تجلّى الحق تعالى في صورة معتقده عرفه فأقرَّ به. وإن تجلّى له في غيرها أنكره ومجّده وتعوّذ منه. وأساء الأدب عليه في نفس الأمر. وهو عند نفسه أنه قد تأدب معه.

فلا يعتقد معتقد إلهاً إلاّ بما جعل في نفسه. فالإله في الاعتقاد بالجعل. فما رأوا إلاّ نفوسهم وما جعلوا فيها. فمراتب الناس في العلم باللّه تعالى في الدنيا هو عين مراتبهم في الرؤية يوم القيامة. وقد أعلمتك بالسبب الموجب لذلك. فإياك أن تتقيد بقيد مخصوص وتكفر بما سواه[٤]، فيفوتك[٥] الأمر على ما هو عليه.

فكن في نفسك هيولى[٦] لصور المعتقدات كلها. فإن الإله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد. فإنه تعالى يقول: ﴿**فأينما تولوا فثم وجه اللّه**﴾[٧].

ووجه الشيء حقيقته. فنبّه بهذا قلوب العارفين لِئَلا تشغلهم عوارض الحياة الدنيا عن

---

(١) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية ١٥، مكية.

(٢) في (م): (ومعلوماً).

(٣) في (س): (وقد مهّدنا لك السبيل فانظر).

(٤) في (س): (تتقيد بعقد مخصوص وتفكر).

(٥) في (س): (فيفوتك العلم بالأمر).

(٦) الهيولى: هي جوهر ووجوده بالفعل إنما يحصل لقبول الصورة الجسمية لقوة فيه قابلة للصور، وليس له في ذاته صورة تخصه إلا معنى القوة.

انظر: الحدود، لابن سينا ضمن ثلاث رسائل في الحدود، دار النهضة العربية، ١٩٧٨.

(٧) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١١٥، مدنية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استحضار مثل هذا. فإن العبد لا يدري في أي وقت يُقْبَض. فلعله يقبض في وقت غفلته.

ثم إن العبد الكامل مع علمه بهذا يلزمه في الصورة الظاهرة والحال المقيدة التوجه إلى شطر المسجد الحرام بالصلاة. ويعتقد أن اللّه تعالى في قبلته حال صلاته. وهو بعض مراتب وجه الحق تعالى من ﴿فأينما تولوا فثم وجه اللّه﴾(١).

فشطر المسجد الحرام منها. ففيه وجه اللّه تعالى. ولكن لا تقل هو هنا فقط. بل قف عندما تركت، والزم الأدب في استقبال المسجد الحرام. وعدم حصر الوجه في تلك الأينية الخاصة. بل هي من جملة أينيات «ما تولوا». فقد بان لك عن اللّه تعالى في أينية كل وجه. وما ثم إلا الاعتقادات. فالكل مصيبٌ، وكل مصيب مأجورٌ. وكل مأجور سعيد مرضي عنه. وإن شقي زماناً في الدار الآخرة. فقد مرض وتألم. في الحياة الدنيا، أهل السعادة. مع علمنا بأنهم أهل حق.

فمن عباد اللّه من تدركهم تلك الآلام في الآخرة في دار تسمى جهنم. ومع هذا لا يقطع أحد من أهل اللّه تعالى أهل العلم؛ الذين كوشفوا الأمر على ما هو عليه أن لا يكون لهم نعيم خاص في تلك الدار. إمّا بفقد ألم كانوا يجدونه فارتفع عنهم فيكون نعيمهم راحتهم عن وجدان ذلك الألم أو يكون نعيمهم زائداً كنعيم أهل الجنان.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٨) تحول الألوهية يوم القيامة(٢)

اعلم أنه قد صحّ فيما خرّجه مسلم، رحمه اللّه تعالى، من تحول الألوهية، وتبدّلها يوم القيامة في صور الاعتقادات والمعارف. وفيه اعتقاد المشبهة وغيرهم، ولا بدّ من إفراد كل طائفة في تلك الدار به تعالى. فلا بدّ من تجلّيه في صور اعتقاداتهم. وذلك راجع إلى الرائي، لا إلى المرئي.

فإن الحقائق الإلهية لا تتبدّل. ولهذا نقص علم من خرج عن طريقتنا في أي حضرة يقع فيها تجلّي الألوهية. ولذلك سمي عالم التمثيل أو التبديل برزخاً، لكونه وسطاً بين حقائق جسمانية وحقائق غير جسمانية. فتعطي هذه الحضرة هذه التجلّيات، وبها ترتبط المعاني بالصور ربطاً محققاً.

واللّه أعلم.

---

(١) في (س): (أينما تولوا فثم وجه اللّه).

(٢) العنوان من المحقق.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٢٩) قلب العارف

اعلم أن قلب العارف باللّه تعالى من رحمة اللّه تعالى. وهو أوسع من رحمة اللّه تعالى فإنه وسع الحق تعالى. ورحمته لا تسعه، لأن الرحمة تقتضي مرحوماً. واللّه تعالى غني عن العالمين. هذا لسان عموم من وجه.

أما لسان الخصوص، من وجه آخر. فاعلم أن الألوهية تطلب المألوه، والربوبية تطلب المربوب. وإلاّ فلا عين لها إلا به وجوداً وتقديراً. والذات المقدسة لها الغنى عن العالمين. والربوبية ما لها هذا الحكم. فبقي الأمر بين ما تطلبه الربوبية وبين ما تستحقه الذات من الغنى عن العالمين.

وليست الربوبية على الحقيقة والإنصاف[1] عين هذه الذات، فلما تعارض الأمر بحكم النسب ورد في الخبر وصف الحق تعالى بالشفقة على عباده. فأول ما نفى عن الربوبية بنفسه المنسوب إلى الرحمن بإيجاده العالم الذي تطلبه الربوبية والألوهية بحقيقتهما. فيثبت على هذا الوجه أن رحمة اللّه تعالى وسعت كل شيء فوسعت فهي أوسع من قلب العارف. أو مساوية له في السعة.

ومعنى وسع قلب العارف للّه تعالى هو أنه إذا تجلّى له لا يمكن أن ينظر مع غيره.

واعلم أنه لا يشهد القلب ولا العين أبداً إلاّ صورة معتقده في الحق تعالى. فلا ترى العين إلاّ الحق الاعتقادي.

ولا خفاء في تنوع الاعتقادات. فمن قيّده أنكره في غير ما قيده به وأقرّ به فيما قيّده به، إذا تجلّى له. ومن أطلقه عن التقييد لم ينكره، وأقرّ به في كل صورة يتجلّى فيها.

وصوّر التجلّيات ما لها نهاية يقف العارف عندها. وكذلك العلم باللّه تعالى ما له غاية في العارفين يقف عندها. بل العارف في كل زمان يطلب الزيادة من العلم: **﴿رب زدني علما﴾**[2].

(١) في (س): (وليست الربوبية إلا عين هذه الذات).
وهذا يناقض ما سبق في قوله: (والذات المقدسة لها الغنى عن العالمين والربوبية ما لها هذا الحكم). والسبب في وجهة نظره:
أن الربوبية تطلب المربوب والذات تستغني عن الكل، فيظل الحكم بالنسبة للربوبية على ما تطلبه. بينما استحقاق الغنى للملذات في أنها لم تطلب هذا المربوب.
وقال تعالى: **﴿واللّه غني عن العالمين﴾**.

(٢) القرآن الكريم، سورة طه، الآية ١١٤، مكية. ونصُّها: **﴿وقل رب زدني علما﴾**.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالأمر لا يتناهى من الطرفين. هذا إذا قلت حق وخلق. فإذا نظرت قوله تعالى: **﴿كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به﴾**[1].

إلى غير ذلك من القوى لم تفرق فقلت الأمر كله حق، أو خلق كله. فهو خلق بنسبة، وهو حق بنسبة والعين واحدة.

فعين صورة ما تجلّى، عين صورة ما قبل ذلك التجلّي. فهو المتجلّي والمتجلّى له. فانظر ما أعجب ما أمر اللّه تعالى من حيث هويته ومن حيث نسبته إلى العالم في حقائق أسمائه الحسنى. واللّه أعلم.

مسألة (٣٠)

في معنى قوله تعالى: **﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾**[2].

إنما سُمّي القلب قلباً لتقلبه في أنواع الصور والصفات، ولم يقل لمن كان له عقل. لأن العقل قيد يحصر الأمر في نعتٍ واحدٍ. والحقيقة تأبى الحصر في نفس الأمر. فما هو ذكرى لمن كان له عقل وهم أصحاب الاعتقادات الذين يكفر بعضهم بعضاً، وما لهم من ناصرين.

فإن إله المعتقد ما له حكم في إله المعتقد الآخر. وصاحب الاعتقاد يذب عن الأمر الذي اعتقده في إلهه وينصره. وذلك الإله الذي اعتقده لا ينصره. وكذلك المنازع له، ما له نصرة من إلهه الذي اعتقده. فما لهم من ناصرين.

فالحق تعالى عند العارف هو المعروف الذي لا يُنْكَر. فلهذا قال من كان له قلب. يعني يعلم تقلب القلب لتقلب الحق تعالى في الصور.

وأمّا أهل الإيمان الذين قلّدوا الرسل، فهم المرادون بقوله تعالى: **﴿أو ألقى السمع﴾**. لما وردت به الأخبار الإلهية. **﴿وهو شهيد﴾**. بيّنه على حضرة الخيال واستعماله. وهو قوله، صلى اللّه عليه وسلم: **(أن تعبد اللّه كأنك تراه)**[3].

---

(١) في (س): **(كنت سمعه وبصره إلى غير ذلك)**.

والحديث: رواه **الإمام البخاري**، جـ٨ ص ١٠٥ **باب التواضع**. وانظر أيضاً **الأحاديث القدسية**، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ص (٨١) حديث رقم (٨١). ونصّه: [**من عادى لي ولياً فقد أذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب مما افترضته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت له سمعاً**.....]الخ.

(٢) **القرآن الكريم**، سورة ق، الآية ٣٧، مكية.

(٣) الحديث أول كتاب الإيمان. باب **الإيمان** ما هو وبيان خصاله (١) حديث رقم (٥). ص ٢ جـ١ ـ من كتاب **اللؤلؤ والمرجان**، وضع محمد فؤاد عبد الباقي وقال: أخرجه **البخاري**، كتاب **الإيمان**، باب سؤال جبريل للنبي (ص) عن الإيمان والإسلام.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقوله: (إن الله في قبلة المصلى)[١].

فلذلك هو شهيد.

والله أعلم.

مسألة (٣١) حق العالم[٢]

وانظر ما أحسن ما قاله الله تعالى في حق العالم، وتبدله مع الأنفاس: ﴿**بل هم في لبس من خلق جديد**﴾[٣] في عين واحدة فلا يعرف أكثر الناس تجدد الأمر مع الأنفاس. لكن عثرت عليه الأشاعرة[٤] في الأعراض. وعثرت عليه الجبائية[٥] في العالم كله. وجهله أهل النظر بأجمعهم. ولكن أخطأ الفريقان.

أما الجبائية فبكونهم ما عثروا على أحدية عين الجوهر المعقول الذي قبل هذه الصورة.

وأمّا الأشاعرة فما علموا أن العالم كله مجموع أعراض تتبدل مع الأنفاس، إذ العرض لا يبقى زمانين. ويظهر ذلك في الحدود للأشياء، كالتحيز في حد الجواهر القائم بنفسه وقبوله. فالتحيز والقبول عرضان ليسا بزائدين على عين الجوهر المحدود. لأن الحدود الذاتية هي عين الحدود. فقد صار ما لا يبقى زمانين وأزمنة. وعاد ما لا يقوم بنفسه يقوم بنفسه. فالمنكرون لذلك هم في لبس من خلق جديد.

وأمّا أهل الكشف فإنهم يرون أن الله تعالى يتجلّى في كل نفس ولا يكرر ذلك التجلّي. ويرون، أيضاً، شهوداً أنه في كل تجلٍ يعطي خلقاً ويذهب بخلق. وإنما إذهابه الإفناء، وإعطاؤه الإيجاد الآخر.

والله أعلم.

---

(١) قال مالك في الموطأ: حدّثنا نافع عن ابن عمر، أن رسول الله (ص) رأى بصاقاً في قبلة المسجد، فحكّه. ثم أقبل على الناس فقال: «**إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قِبَل وجهه، فإن الله قِبَلَ وجهه إذا صلّى**».
انظر: موطأ الإمام مالك، ط٣، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٨٧.

(٢) العنوان من المحقق.

(٣) القرآن الكريم، سورة ق، الآية ١٥، مكية.

(٤) **الأشاعرة**: ينسب أصحاب هذا المذهب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: «علي بن إسماعيل الأشعري» المتوفى سنة ٣٣٠هـ. ومن أهم كتبه: **(مقالات الإسلاميين)**، نشر بالقاهرة على جزأين بتحقيق محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٩٥٠م.

(٥) في (س): (الحسبانية) وهو خطأ. ولكنه كما ذكرت.
والجبائية: هي فرقة من الفرق الكلامية المعروفة وهم أتباع أبي علي: محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد الجبائي. وقد تحاور الجبائي مع أبي حسن الأشعري عن معنى الطاعة. وكفره فيها الأشعري. انظر: **الفرق بين الفِرق**، للبغدادي، ص ١٩٤ ط مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٣٢) في المعرفة والهمّة

إن المعرفة لا تترك للهمّة تصرفاً، وذلك لوجهين:

أحدهما: لتحققه بمقام العبودية، ونظره إلى أصل خلقه الطبيعي.

والآخر: أحدية المتصرف والمتصرف فيه، فلا يرى على من يرسل همته.

وفي هذا المشهد يرى أن المانع له ما عدل عن حقيقته التي هو عليها في حال ثبوت عينه، وفي حال عدمه. فما تعدى حقيقته.

فهذا وأمثاله يمنع العارف من التصرف في العالم. ولأن الهمة لا تعقل إلاّ بالجمعية التي لا متسع لصاحبها إلى غير ما اجتمع عليه. والمعرفة تفرقه عن هذه الجمعية.

فيظهر أن العارف (التابع) المعرفة (يعاني)[١] الضعف والعجز. وفي مثل هذا المقام،قال عليه الصلاة والسلام، عن أمر الله تعالى له بذلك: **﴿ما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلاّ ما يوحى إليّ﴾**[٢].

فالرسول لا يحكم إلاّ بما يوحى إليه، ما عنده غير ذلك. فإن أوحي إليه بالتصرف تصرف، أو بالمنع امتنع. فإن خُيّر اختار ترك التصرف.

ولا شك أن مقام الرسالة يطلب التصرف بظهور ما يصدقه عند أمته على ما جاء به، ليظهر دين الله تعالى. والولي ليس كذلك. ومع هذا فلا يطلبه الرسول في الظاهر. لأن له الشفقة على أمته. فلا يريد أن يبالغ في ظهور الحجة عليهم. فإن في ذلك هلاكهم. كما قال الله تعالى في حق أكمل الرسل، وأعلم الخلق وأصدقهم في الحال: **﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾**[٣].

ولو كان للهمة أثر، ولا بد، لم يكن أحد أكمل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أعلى، ولا أقوى همّة منه.

ومعلوم أنها ما أثرت في إسلام عمه «أبي طالب» وفيه نزلت الآية المذكورة. ولذلك قال في حقه: إنه ما عليه إلاّ البلاغ. قال تعالى: **﴿ليس عليك هداهم﴾**[٤] إلى قوله **﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾**.

---

(١) ما بين القوسين غير واضح في (م). وتمّ التأكد منه في (س).

(٢) القرآن الكريم، سورة الأحقاف، الآية ٩، مكية.

(٣) القرآن الكريم، سورة القصص، الآية ٥٦، مكية.

(٤) القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي بالذين أعطوه العلم بهداهم في حال عدمهم. فأثبت أن العلم تابع للمعلوم. فمن كان مؤمناً في حال عدمه. ظهر بتلك الصورة في حال وجوده. وقد علم اللّه منه أنه هكذا يكون.

ثم قال تعالى: ﴿**ما يبدل القول لديّ**﴾[1]. لأن قولي على حد علمي في خلقي.

﴿**وما أنا بظلاّم للعبيد**﴾[1]. أي ما قدرت عليهم الكفر إلاّ بشقيهم. ثم طالبتهم بما ليس في وسعهم أن يأتوا به. بل ما عاملناهم إلاّ بما أعطونا من نفوسهم مما هم عليه. فما حكمنا عليهم إلاّ بهم. فإن كان ظلماً، فهم الظالمون لأنفسهم.

واللّه أعلم.

مسألة (٣٣) القضاء والقدر[2]

اعلم أن القضاء هو حكم اللّه تعالى في الأشياء. وحكم اللّه تعالى في الأشياء على حدّ علمه بها وفيها. وعلم اللّه تعالى بالأشياء على ما أعطته المعلومات مما هي عليه في نفسها.

والقدر ترتيب ما هي عليه الأشياء في عينها من غير مزيد، فما حكم القضاء على الأشياء إلاّ بها. فهذا عين سر القدر ﴿**لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾[3].

فللّه الحجة البالغة. فالحاكم في التحقيق تابع لعين المسألة يحكم فيها بما تقتضيه ذاتها. والمحكوم عليه بما هو فيه حاكم على الحاكم أن يحكم عليه بذلك، فكل حاكم محكوم عليه أن يحكم بما حكم به وفيه، كان الحاكم من كان. فتحقق هذه المسألة. فإن القدر ما جُهِل إلاّ لشدة ظهوره. فلم يعرف وكثر فيه الطلب.

فائدة:

إذا قال قائل: القضاء ما هو؟

فيقال له: هو ما أثبته اللّه تعالى في اللّوح المحفوظ.

ويقال أيضاً: القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل.

والقدر: هو جزئيات ذلك الحكم، وتفاصيله التي تقع فيما لا يزال. أي: وتفاصيله في المخلوقات.

واللّه أعلم.

---

(١) القرآن الكريم، سورة (ق)، الآية ٢٩، مكية.

(٢) العنوان من المحقق.

(٣) القرآن الكريم، سورة (ق)، الآية ٣٧، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٣٤) الولاية

إن الولاية هي الفلك المحيط بالعالم. ولهذا لم تنقطع، ولها الإنباء العام. وأما نبوّة التشريع ورسالته فمنقطعة. وبسيدنا محمد، صلى اللّه عليه وسلم انقطعت. فلا نبي بعده، ولا رسول مشرِّع ولا مشرَّع له. فلم يبق اسم خاص يختص به العبد دون الحق تعالى بانقطاع النبوة والرسالة.

إلاّ أن اللّه تعالى لطف بعباده؛ فأبقى لهم النبوة العامة، التي لا تشريع فيها. وأبقى لهم التشريع في الاجتهاد، وفي ثبوت الأحكام، وأبقى لهم الوراثة في التشريع، فالعلماء ورثة الأنبياء. وما تمّ ميراث في ذلك إلاّ فيما اجتهدوا فيه من الأحكام فشرّعوه.

فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع فذلك هو من حيث هو وليٌّ وعارف. ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتمّ وأكمل من مقامه من حيث هو نبيٌّ ورسول، وذو تشريع وشرع.

فإذا سمعت أحداً من أهل اللّه تعالى يقول إن الولاية أعلى من النبوة. أو يقول إن الوليّ فوق النبي والرسول، فإنه يعني بذلك في شخص واحد. وهو أن الرسول من حيث هو وليّ، أتمّ وأكمل من حيث هو نبيٌّ ورسول. فمرجع النبي والرسول المشرع إلى الولاية والعلم. ألا ترى أن اللّه تعالى قد أمره، صلى اللّه عليه وسلم، بطلب الزيادة من العلم، لا من غيره، من النبوة والرسالة.

فقال تعالى: ﴿وقل رب زدني علماً﴾.

وذلك أنك تعلم أن الشرع تكليف بأعمال مخصوصة، ونهي عن أعمال مخصوصة، ومحلها هذه الدار فهي منقطعة. والولاية ليست كذلك.

واللّه أعلم.

مسألة (٣٥) حدّ الصبر[١]

اعلم أن حدّ الصبر عندنا إنما هو حبس النفس عن الشكوى إلى غير اللّه تعالى. لا إلى اللّه تعالى، فحجب الطائفة نظرهم في أن الشكوى تقدح في الرضا بالقضاء. وليس الأمر كذلك. فإن الرضا بالقضاء أن لا يقدح فيه الشكوى إلى اللّه تعالى، ولا إلى غير اللّه تعالى. وإنما تقدح الشكوى في المقضي به. ونحن ما خوطبنا إلاّ بالرضا بالقضاء لا بالرضا بالمقضي

(١) العنوان من المحقق.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

به. والضر هو المقضي به، ما هو عين القضاء. فأعلم أيوب، عليه السلام، أن في حبس النفس عن الشكوى إلى اللّه تعالى في رفع الضر عنه، مقاومته للقهر الإلهي. شكى إلى اللّه تعالى في رفع الضر عنه. فرفعه عنه، وأثنى عليه، ووصفه بالصبر. فينبغي للعارف أن يتضرّع إلى اللّه تعالى في رفع الضرّ عنه. فإنَّ رفعه عنه إزالته عن جناب الحق تعالى. إذ هو صورته الظاهرة.

كما جاع بعض العارفين، فبكى. فعاتبه من لا ذوق له في هذا الفن. فقال العارف:

ـ إنما جوعني لأبكي.

بقوله: إنما ابتلاني لأشكو إليه.

وذلك لا يقدح في كونه صابراً. لأن الصبر إنما هو حبس النفس عن الشكوى إلى غير اللّه تعالى. وأعني بالغير وجهاً خاصاً من وجوه اللّه تعالى.

وقد عيّن لنا تعالى وجهاً خاصاً من وجوهه تعالى وهو المسمى بالهوية لندعوه منه إذا لم يرفع الضر. لا من الوجوه الأخر المسماة أسباباً. وليست إلاّ هو من حيث تفصيل الأمر في نفسه. فالعارف لا يحجبه سؤاله هوية الحق تعالى في رفع الضر عنه، عن أن يكون جميع الأسباب عينه تعالى من حيثية خاصة. وهذا لا يلزم طريقته إلاّ الأدباء من عباد اللّه الأمناء على أسراره. وقد نصحناك فاعمل. واللّه فاسأل.

واللّه أعلم.

مسألة (٣٦) تقسيم الأمر[١]

اعلم أن الأمر ينقسم إلى مؤثر ومؤثر فيه. وهما عبارتان. فالمؤثر بكل وجه، وعلى كل حال. وفي كل حضرة هو اللّه تعالى.

والمؤثر فيه بكل وجه، وعلى كل حال، وفي كل حضرة هو العالم. فإذا ورد فألحق كل شيء بأصله الذي يناسبه. فإن الوارد أبداً، لا بد أن يكون فرعاً عن أصل. لذلك كانت المحبة الإلهية عن النوافل من العبد فهذا أثر بين مؤثر ومؤثر فيه. وعلى هذا كان الحق تعالى شأنه سمع العبد، وبصره. وقواه عن هذه المحبة.

فهذا أثرٌ مقرر لا يقدر على إنكاره لثبوته شرعاً إن كنت مؤمناً.

واللّه تعالى أعلم.

(١) العنوان من المحقق.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٣٧)

في معنى قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾[١].

ولا يكون مستجيباً إلاّ إذا كان من يدعوه غيره، وإن كان عين الدّاعي، عين المجيب. فلا خلاف في اختلاف الصور. فهما صورتان بلا شك.

وتلك الصور كلها كالأعضاء لزيد مثلاً. فحقيقة زيد واحدة شخصية ولكن صورة يده ليست صورة عينه، ولا رأسه، ولا رجله، فهو كثير بالصور واحدٌ بالعين.

وكالإنسان مثلاً. واحد بالعين بلا شك. لا شك أن عَمْراً ما هو زيد، ولا خالد، فهو وإن كان واحداً بالعين فهو كثير بالصور، والأشخاص.

وقد علمت قطعاً، إن كنت مؤمناً، أن الحق تعالى يتجلّى عينه يوم القيامة في صورة فيعرف. ثم يتحول في صورة فينكر. وهو المتجلّي في كل صورة ليس غيره. ومعلوم أن الصورة الأولى ما هي الصورة الأخرى. فكأن العين الواحدة قامت مقام المرآة. فإذا نظر الناظر فيها إلى صورة معتقده في اللّه تعالى عرفه فأقرَّ به. وإذا رأى فيها معتقد غيره أنكره كما يرى في المرآة صورته مصورة غيره. والمرآة عين واحدة، والصور التي تُرى فيها كثيرة في عين الرائي. وليس في المرآة صورة منها.

ثم إن المرآة لها أثر في الصورة بوجه، وهو أنها تردُّ الصور متغيرة الشكل من الصغر والكبر، والطول والعرض، وذلك لاختلاف مقادير المرآتي. فانظر في المثال مرآة واحدة.

فالحق تعالى من حيث كونه ذاتاً غني عن العالمين. ومن حيث الأسماء الإلهية فهو مثلاً كالمرآة. فأي اسم إلهي نظر فيه من نظر فإنما يظهر في الناظر حقيقة هذا الاسم. فهكذا هو الأمر. إن فهمت فلا تجزع، ولا تخف. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن اللّه رمى﴾[٢].

والعين ما أدركت إلاّ الصورة المحمدية التي ثبت لها الرمي في الحس. وهي التي نفى اللّه تعالى الرمي عنها أولاً. ثم أثبته لها وسطاً ثم عاد بالاستدراك؛ أن اللّه تعالى هو الرامي في الصورة المحمدية ولا بد من الإيمان بها. فانظر إلى هذا المؤثر عين أنزل الحق تعالى في صورة محمدية. فهذا إخبار من اللّه تعالى لعباده، وخبره صدق. والإيمان به واجب. سواء أدركت ذلك أو لم تدرك. فأنا بحمد اللّه تعالى عالم بذلك مؤمن مسلم.

---

(١) في (س): (عزّ وجل): والآية هي رقم (٦٠) من سورة غافر، مكية.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية ٢٧، مدنية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومما يدلُّك على ضعف النظر العقلي من حيث فكره كون العقل يحكم على العلة أنها لا تكون معلولة لمن هي علة له. وهذا الحكم العقلي لا خفاء به. وأمّا في علم التجلّيات فإن العلّة تكون معلولة لمن هي علّة له.

واللّه أعلم.

قالت الأشاعرة: إن العالم كله متماثل بالجوهر فهو جوهر واحد. وهو عين قولنا العين واحدة.

ثم قالت: ويختلف[1] بالأعراض.

وهو عين قولنا. ويختلف ويتكثر بالصور والنسب حتى يتميز. فيقال: ليس هذا عين هذا من حيث صورته أو عرضه أو مزاجه وهذا عين هذا من حيث وجوده[2].

واللّه أعلم.

مسألة (٣٨)

أنّى للمقيّد بمعرفة المطلق وذاته لا تقتضيه. أم كيف يمكن أن يصل الممكن إلى معرفة الواجب بالذات وما فيه من وجه للممكن إلاّ ويجوز عليه العدم والافتقار. فلو جمع بين الواجب بذاته وبين الممكن بوجه لجاز على الواجب ما جاز على الممكن من ذلك الوجه من العثور والافتقار. وذلك في حق الواجب بذاته محال.

فإثبات وجه جامع بين الواجب والممكن محال. فافهم.

مسألة (٣٩)

القول بما أعطاه الكشف الاعتصامي أن اللّه تعالى كان ولا شيء معه. إلى هنا انتهى لفظه، صلى اللّه عليه وسلم، وما أتى بعد هذا فهو مندرج فيه. وهو قولهم:

وهو الآن على ما كان عليه. كان يريد الحكم فالآن. وكان أمران عائدان علينا إذ بنا ظهرا وأمثالهما. وقد انتفت المناسبة والمعقول عليه.

كان اللّه ولا شيء معه إنما هو الألوهية لا الذات.

واللّه أعلم.

---

(١) في (م): (ويختفي).

(٢) في (س): (من حيث التحقيق).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٤٠)

اعلم أن المخلوق لا قدرة له أصلاً عندنا، وعند المحققين من أصحابنا. لأنا ما أمكنا إثبات القدرة الإلهية إلا بظهور أثرها. والقدرة الحادثة عند مثبتيها لا أثر لها، فلا تعلق لها. فمن أين للمخلوق قدرة. ولا أثر لها. وإنما له التمكن من قبول الأثر الإلهي والكسب معناه إرادة العبد بفعل ما دون غيره فيوجد الاقتدار الإلهي ذلك الفعل عند هذا التعلق فتسمى كسباً للعبد.

والله أعلم.

مسألة (٤١)

إن المتوجه على إيجاد ما سوى الله تعالى إنما هي الألوهية ونسبها، وإضافاتها المعبر عنها بالأسماء والصفات. والوصف الخاص العام لجميع المقدورات كونها قادرة. وتعلق حكم القدرة بالمقدور لا يعلم البتة، لا كشفاً ولا بالدليل. وما عدا هذا الوصف الخاص فمعلوم بلا كشف وبالدليل.

والله أعلم.

مسألة (٤٢)

اعلم أن الألوهية مرتبةٌ للذات لا يستحقها إلاّ الله تعالى. فطلب مستحقها ما هو طلبها. والمألوه يطلبها، وهي تطلبه. والذات غنية عن كل شيء. فلو ظهر هذا السر الرابط لما ذكرنا لبطلت الألوهية ولم يبطل كمال الذات. وظهر بمعنى ارتفع. كما يقال: ظهر القوم عن البلد. أي ارتفعوا عنه.

وهو قول الإمام: إن للألوهية سراً وهو أنت. يخاطب كل موجود لو ظهر لبطلت الألوهية. فإن المألوه لا وجود له إلاّ بإلهه فالمألوه موجود أبداً. فالألوهية موجودة أبداً. لا ترتفع.

والله أعلم.

مسألة (٤٣)

اعلم أن الإله اسم للذات الأقدس باعتبار نسبها إلى الأعيان الثابتة. وهو مَنْشَأ أسماء الألوهية كالقادر، والمريد. والرب اسم للذات أيضاً باعتبار نسبها إلى الأعيان الخارجية. ونسبتها إلى الأعيان الخارجية هو منشأ أسماء الربوبية كالحافظ والرازق.

والله أعلم.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٤٤)

اعلم أن الأحدية موطن الأحد، عليها حجاب العزّة لا يرفع أبداً. فلا يراه في أحديته سواه. لأن الحقائق تأبى ذلك.

والإنسان الكامل الذي هو أكمل النسخ وأتمّ النشأة مخلوق على الوحدانية، لا على الأحدية. لأن الأحدية لها الغنى على الإطلاق. ولا يصح هذا المعنى على الإنسان وهو واحد. فالوحدانية لا تقوى قوة الأحدية فكذلك الواحد، لا يناهض الأحد. ولأن الأحدية ذاتية للذات الهوية. والوحدانية اسم لها سمتها به التثنية. ولهذا جاء الأحد في نسب الرب، ولم يجيء الواحد، وجاءت معه أوصاف التنزيه. ثم إن الأحدية قد انطلقت على كل موجود فصارت الأحدية سارية في كل موجود. وإنما عممت جميع المخلوقات للسريان الإلهي الذي لا يشعر به خلق إلاّ من شاء اللّه تعالى.

وهو قوله تعالى: ﴿وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه﴾(١).

فقضاء اللّه لا سبيل إلى ردّه. فما عبد عابد غير اللّه تعالى فإذاً الشرك هو الأحد. وليس المعبود هو الشخص المنصوب وإنما هو السر المطلوب، وهو سر الأحدية. وإنما يعبد الرب. واللّه تعالى الجامع. ولهذا أشار إلى الأفهام بقوله تعالى: ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾(٢).

فإن الأحد لا يقبل الشرك، وليست له العبادة، وإنما هي للرب. فنبه تعالى على توفية مقام الربوبية. وأبقى الأحدية على التنزيه الذي أشرنا إليه. فالأحد عزيز منيع الحمى لم يزل في العماء. لا يصح به تجلٍ أبداً، فإن حقيقته تمنع. وهو الوجه الذي له السبحات المحرقة فكيف فلا تطمع في رفع الحجاب أصلاً وأبداً.

واللّه أعلم.

مسألة (٤٥)

اعلم أن العلم لا يتغير بتغير المعلوم. لكن التعلق يتغير بتغير المعلوم. والتعلق نسبة إلى معلوم ما، ولا يلزم من تغير التعلق تغير العلم. وكذلك لا يلزم من تغير المسموع والمرئي تغير الرؤية والسمع. وكما أنه قد ثبت أن العلم لا يتغير فالمعلوم أيضاً لا يتغير. فإن معلوم العلم إنما هو نسبة لأمرين معلومين محققين. فالجسم معلوم لا يتغير أبداً. والقيام معلوم لا يتغير. ونسبة القيام إلى الجسم هي المعلومة التي ألحق بها التغير.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ٢٣، مكية.

(٢) القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية ١١٠، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والنسبة أيضاً لا تتغير. وهذه النسبة الشخصية أيضاً لا تكون لغير هذا الشخص. فلا تتغير، وما ثم معلوم أصلاً سوى هذه الأربعة. وهي النسبة والمنسوب إليه. والمنسوب والنسبة الشخصية.

والله أعلم.

مسألة (٤٦)

اعلم أن وصف العلم بالإحاطة للمعلومات يقتضي تناهيها. وتناهيها محال. فالإحاطة محال، لكن يقال العلم محيط بحقيقة كل معلوم من جميع وجوهه.

والله تعالى أعلم.

مسألة (٤٧)

اعلم أن كل موجود قائم بنفسه غير متحيز، وهو ممكن. لا تجري مع وجوده الأزمنة، ولا تطلبه الأمكنة.

والله أعلم.

مسألة (٤٨)

اعلم أنه كما يقال: إن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء.

كذلك يقال: إنه لا يريدها لكنه قضاها وقدّرها.

وبيان ذلك هو أن كونها فاحشة ليس هو عينها. بل هو حكم الله تعالى فيها. وحكم الله تعالى في الأشياء غير مخلوق، وما لم يجر عليه الخلق لا يكون مراداً. فإن التزمناه في الطاعة التزمناه وقلنا الإرادة تثبت سمعاً لا عقلاً.

والله أعلم.

مسألة (٤٩)

اعلم أن البقاء هو استمرار الوجود. لا صفة زائدة على ذاته تعالى. واعلم أن الكلام من حيث ما هو كلام واحد والنسبة في المتكلم به لا في الكلام. فالأمر والنهي، والخبر والاستخبار والطلب واحد في الكلام.

والله أعلم.

مسألة (٥٠)

اعلم أن الممكن منحصر في أحد قسمين: في ستر أو تجلٍ.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقد وجد على أقصى غاياته وأكملها، فلا أكمل منه. ولو كان الأكمل لا يتناهى لما تصور خلق الكمال. وقد وجد مطابقاً لحضرة الكمالية. فقد كمل.

واعلم أن وصف الحق تعالى بالجنس محال. فليس في الإمكان أبدع مما كان. أي: أبدع من العالم، من حيث حصر الأجناس. فليس في الإمكان جنس زائد. لأن اللّه تعالى قد نصبه دليلاً عليه. فلا بدّ أن يكون الدليل كامل الإمكان. فما بقي إلاّ الأمثال والمثال مثل في الحقيقة.

واللّه أعلم.

مسألة (٥١)

دلّ العقل على أن الإيجاد متعلّق القدرة. ودلّ الشرع على أن الوجود يقع عن الأمر الإلهي[١]. فلا بدّ أن ننظر في متعلق الأمر ما هو؟ وما هو متعلق القدرة؟[٢] حتى نجمع بين العقل والسمع.

فنقول: الامتثال قد وقع بقوله: «كن».

والمأمور به إنما هو الوجود.

فتعلقت الإرادة بتخصيص أحد الممكنين وهو الوجود.

وتعلقت القدرة بالممكن فأثرت فيه الإيجاد. وهو حالة معقولة بين العدم والوجود. فتعلق الخطاب بالأمر لهذه العين المخصصة بأن تكون فامتثلت فكانت.

واللّه أعلم.

مسألة (٥٢)

اعلم أن متعلق رؤيتنا الحق تعالى ذاته. ومتعلق علمنا به تعالى إثباته إلٰهاً بالإضافات والسلوب فاختلفا. فلا يقال في الرؤية إنها مزيد وضوح في العلم لاختلاف المتعلق وإن كان وجود الحق تعالى عين ماهيته. فلا ننكر أن معقولية الذات غير معقولية كونها موجودة.

واللّه أعلم.

مسألة (٥٣)

اعلم أن فعل اللّه تعالى للأشياء ليس بممكن بالنظر إليه. ولا بالإيجاب موجب. فلا يقال: إن اللّه تعالى جائز له أن يوجد أمراً ما. وجائز أن لا يوجده.

---

(١) في (م): (الاهي).

(٢) علامات الاستفهام من المحقق. وكذا كل علامات الترقيم وسأكتفي بهذه الإشارة.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولكن يقال ذلك الأمر جائز أن يوجد، وجائز أن لايوجد فيفتقر إلى مرجع وهو اللّه تعالى. فالذي نقول في اللّه تعالى إنه يجب له كذا ويستحيل عليه كذا. ولا نقول يجوز عليه كذا. فهذه عقيدة أهل الاختصاص من اللّه تعالى. (وأما عقيدة خاصة الخاصة في اللّه تعالى)[1] فأمر فوق هذا جعلناه مبدأً في هذا الكتاب لكون أكثر العقول المحجوبة بأفكارها تقصر عن إدراكه لعدم تجردها.

واللّه أعلم.

مسألة (٥٤)

اعلم أن اللّه تعالى شأنه قد جعل للإنسان ظاهراً وباطناً. فهو يدرك بظاهره أموراً تسمى أعياناً. ويدرك بباطنه أموراً تسمى علوماً. واللّه تعالى هو الظاهر والباطن. فبه تعالى وقع الإدراك. وكل تجلٍ وقع في الوجود من اللّه تعالى لعباده سواء كان من عالم الغيب أو الشهادة، إنما هو من اسمه الظاهر. وأما اسمه الباطن فمن حقيقة هذه النسبة إلاّ أنه لا يقع فيها تجلٍ أبداً. لا في الدنيا ولا في الآخرة. إذ التجلي عبارة عن ظهور لمن تجلى له.

واللّه أعلم.

مسألة (٥٥)

اعلم أن أولية العلم وآخريته إضافية. أما في الوجود فله آخر في كل زمان في ذواته عند أرباب الكشف. (ووافقتهم الجبائية على ذلك)[2] ووافقتهم الأشاعرة[3] على أن الأعراض لا تبقى زمانين.

فالأول من العالم بالنسبة إلى ما يخلق بعده أول. والآخر بالنسبة إلى ما يخلق قبله آخر. وليس كذلك معقولية الاسم «اللّه» والأول والآخر والظاهر والباطن. فإن العالم يتعدد والحق تعالى واحد لا يتعدد، ولا يصح أن يكون أولاً لنا. لأن رتبته لا تناسب رتبتنا ولا تقبل رتبتنا أوليته تعالى. ولو قبلت رتبتنا أوليته لاستحال علينا اسم الأولية، بل كان ينطبق علينا اسم الثاني لأوليته. ولسنا بثانٍ له تعالى عن ذلك. فلهذا كان أوليته عين آخريته. وهذا المدرك عزيز المنال يتعذر تصوره على من لا أنس له بالعلوم الإلٰهية. ولهذا قال «أبو سعيد الخراز»[4]:

---

(١) ما بين القوسين من الهامش أيمن للصفحة ٦٢ من المخطوط (م).

(٢) ما بين القوسين من الهامش أيضاً. وكما يتضح لي أنه سهو من الناسخ لا مقابلة. لأن الخط ونوع الحبر واحد من النسخة (م).

(٣) سبقت الإشارة إلى الجبائية والأشاعرة.

(٤) أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز: من أئمة الصوفية المشهورين ولد في أوائل القرن الثالث تقريباً. أول من تكلم في=

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

«عرفت اللّه تعالى بجمعه بين الضدين. ثم تلا: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾».

فالأول نعت سلبي.

والأبد نفى الآخرية.

واللّه تعالى أعلم.

مسألة (٥٦)

رأيت ذا النون المصري[١] في بعض التجلّيات. فقلت له:

ـ يا أخي يا ذا النون عجبت من قولك. وقول من قال بقولك: «إن الحق تعالى بخلاف ما يُتصوَّر، ويُتَمَثَّل».

ـ يا أخي يا ذا النون كيف تختلي الكون منه، والكون لا يقوم إلاّ به. أم كيف يكون هو عين الكون. وقد كان ولا كون.

ـ يا أخي يا ذا النون إني شفيق عليك لا تجعل معبودك عين ما تصورته ولا تختلي ما تصورته منه. وانفِ وأثبت وقل: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[٢].

ليس هو عين ما تصورته، ولا يخلو ما تصورته منه.

فقال ذو النون: «هذا علم فاتني، وقد قبضت على ما قبضت». فقلت: هذا علم لا يتقيد بوقت ولا بمكان، ولا بنشأة.

فقال لي: جزاك اللّه خيراً. قد تبيّن لي ما لم يكن عندي وفتح باب الترقي.

مسألة (٥٧)

اعلم أن كل شيء فيه كل شيء. وإن لم تعرفه، فإن التوحيد لم تعرفه، لولا ما في الواحد عين الاثنين، والثلاثة، والأربعة إلى ما لا يتناهى، ما صحّ أن يوجد به، أو يكون عينها. وهذا مثال على التقريب. فافهمه.

واللّه أعلم.

= الفناء. ترجم له صاحب **طبقات الصوفية، والطبقات الكبرى**، وغير ذلك. انظر: **كتاب الصدق**، من تأليف وتحقيق د. عبد الحليم محمود وانظر مقولته.

(١) **ذو النون المصري**: هو أبو الفيض: ثوبان بن إبراهيم المصري المعروف بـ [ذي النون المصري] أحد رجال الطريقة المشهورين، وله كرامات باهرة وسلوك لا ينكر. لم يخل مصدره من ذكره. ومن أقواله: (إذا صحت المناجاة بالقلوب استراحت الجوارح) توفي عام ٢٤٥هـ.

انظر: كتاب [**المكنون في مناقب ذي النون**]، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الرحمن حسن محمود.

(٢) **القرآن الكريم**، سورة الشورى، الآية ١١، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٥٨)

إذا تفرغت لأمر بالكلية فإنك تقف معه. وذلك الوقوف هو حجابك، فتخيل أن الموقوف معه حجبك. وليس الأمر كذلك. فالوقوف مع الحق تعالى حجابك عن الخلق. والوقوف مع الخلق حجابك عن الحق تعالى. وهذا من باب التوسع والإيناس، بما ورد في الكتاب والسنّة من ذكر الحجب النورانية والظلمانية على هذا بنيت الحجب.

مسألة (٥٩)

اعلم أن الحق تعالى قد أضاف العمل إلينا وقتاً، ووقتاً إليه، فلهذا قلنا فيه رائحة الاشتراك. فهذه مسألة لا يتخلص فيها توحيد في العقل أصلاً. لا من جهة الكشف، ولا من جهة الشرع. فالأمر الصحيح فيها أن العمل مربوط بين الحق تعالى. وبين الخلق غير مخلّص لأحد الجانبين. فإنه أعلى ما يكون من النسب الإلهية أن يكون الحق تعالى هو عين الوجود الذي استفادته الممكنات. فما ثم الوجود عين الحق تعالى لا غيره. والتغيرات الظاهرة في هذا العين، هي أحكام أعيان الممكنات. فلولا العين ما ظهر الحكم. ولولا الممكن ما ظهر التغيير. فلا بدّ في الأفعال من حقٍ وخلقٍ.

فمذهب الأشعرية: «أن العبد محل ظهور أفعال اللّه تعالى، وموضع جريانها. فلا يشهدها الحس إلا من الأكوان، ولا يشهدها البصر إلا من اللّه تعالى من وراء حجاب هذا الذي ظهرت على يديه المريد لها. المختار فيها فهو لها مكتسب باختياره».

ومذهب المعتزلة[1]: «أن الفعل للعبد حقيقة».

ومع هذا فربط الفعل عندهم بين الحق تعالى وبين الخلق لا يزال. فإنهم يقولون:

«إن القدرة الحادثة في العبد الذي يكون بها الفعل أن اللّه تعالى خلقها».

فهؤلاء الثلاث فرق أصحابنا[2]، والأشاعرة، والمعتزلة.

ما زال منهم وقوع الاشتراك في الفعل. وهكذا حكم مثبتي العلل. وأما الطبيعيون، والدهريون، فغاية ما يؤول إليه أمرهم أن الذي تقول فيه إن الإله يقول الدهريون فيه إنه الدهر. والطبيعيون إنه الطبيعة. فما زال وقوع الاشتراك في كل نحلة وملة. وما ثم إلاّ

---

(١) المعتزلة: تنسب هذه الفرقة إلى «واصل بن عطاء» شيخ المعتزلة الأول، وهو من أعظم شخصيات الإسلام ويعتبرونه من أكثر شخصيات العرب بلاغة أو من أكثر بلغاء العرب، لإضافة عقائده الكلامية المعروفة التي أسسها عندما اعتزل مجلس (الحسن البصري) فقيل: اعتزل واصل مجلسنا، وقتها التف حوله كثيرون وأطلق عليهم هذا الاسم:المعتزلة. انظر: **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، تأليف د. علي سامي النشار، ١٩٨١م، طبعة دار المعارف الثامنة.

(٢) يقصد أصحاب مدرسة وحدة الوجود.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كشف وشرع وعقل. وهذا الثلاثة فما خلصت العقل إلى أحد الجانبين. ولا تخلصه أبداً دنيا وأخرى.

فالنقرة على ما قرره اللّه تعالى ورسوله. وهذا هو الشرك الخفي والجلي، وموضع الحيرة.

ثم إن المتكلمين في هذا الشأن على قسمين: أحدهما: أضاف الأفعال كلها إلى الأكوان. فقال لسان الغيرة الإلهية: **﴿قل كل من عند اللّه فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾**[1].

أي حادثاً.

والقسم الآخر: أضاف الأفعال الحسنة كلها إلى اللّه تعالى، وأضاف القبيحة إلى الأكوان. فقال لسان الجود الإلهي: **﴿قل كل من عند اللّه﴾**.

لا تكذيباً لهم بل ثناء عليهم جميلاً.

واللّه أعلم.

مسألة (٦٠)

كل ما[2] يدرك ويشهد فهو حق ظاهر في صورة خلق متوهم، وهي الصورة الظلية. فالظاهر هو الحق لا غير. وجميع العقلاء يدعون تنزيه اللّه تعالى مع كونهم مقيدين. لأن العقل لا يقول إلاّ بالتقيد. ويثبتن الحدوث، وينفونه عن الحق سبحانه وينزهون عنه.

وأمّا العرفاء المحققون فلا يثبتون الحدوث رأساً فإن شهود التوحيد ينفيه عن أصله، ثم يثبته بعد نفيه بالحق. بمعنى تجلّي الحق تعالى مع الإثبات بوجهه في الصور المختلفة بالتجلّيات المتعاقبة غير المتكررة. فافهم.

واللّه أعلم.

مسألة (٦١)

اعلم أن الممكنات لم تزل عند اللّه تعالى، من حيث أعيانهم، موصوفين بالعدم، ومن حيث أحكامهم موصوفين بالوجود. وقد قال تعالى: **﴿كنت سمعه وبصره﴾**.

فأثبت العين للممكن، وجهل نفسه صفته التي هي عين وجوده. فعين الممكن ثابتة غير موجودة. والصفة ثابتة موجودة. وهي عين واحدة. ولو تكثرت بنسبها فهي سمع وبصر

---

(١) **القرآن الكريم**، سورة النساء، الآية ٧٨، مدنية.

(٢) في (م): (كلما).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وباقي الصفات إلى جميع ما في العالم؛ من ملك، وبشر، وجن، وحيوان، ومعدن، ونبات، وزمان، ومكان، ومعقول، ومحسوس، ومتخيل. وما ثم إلاّ هذا. فافهم.

واللّه أعلم.

مسألة (٦٢)

اعلم أن الحق تعالى ما جمع لأحدٍ بين مشاهدته وكلامه في حالة واحدة. فإنه لا سبيل إلى ذلك. إلاّ أن يكون التجلّي الإلهي في صورة مثالية. فحينئذٍ يجمع بين المشاهدة والكلام.

ألا ترى قول «السياري»[(١)] رحمه اللّه تعالى إنه ما التذ عاقل بمشاهدة قط. ثم فسَّر فقال: «لأن مشاهدة الحق تعالى فناء. والفناء ليس فيه خطاب والخطاب في حال الفناء لا يصح. لأن فائدة الخطاب أن يعقل».

ولذلك قال اللّه تعالى: **﴿وما كان لبشر أن يكلمه اللّه إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾**[(٢)]. كموسى، (عليه السلام)، والحجاب عين الصورة التي يناديه منها وما يزول حكم البشر عن بشريته، وإن فني عن شهودها فعين وجودها لا يزول. والحد يصحبها. فافهم.

مسألة (٦٣)

اعلم أن الإيمان لا يقبل الزوال. فإنه نور إلهي ما هو كوكبي يطلع ثم يغرب فيعقبه ظلام شك أو غيره. فمن عرف ما قلته عرف مرتبة العلم من جهة الإيمان، ومرتبة العلم من جهة الدليل. فإن الحق تعالى ما علم الأشياء بالدليل، إنما علمها بنفسه.

والإنسان الكامل مخلوق على صورته فعلمه باللّه تعالى إيمان، ونور، وكشف. ولذلك يصفه بما لا تقبله الأدلة. وفي هذا المنزل صمت العبد، إذا كلّمه اللّه تعالى. والحق يكلمه على الدوام. فهو مصغ على الدوام، صامت على الدوام. فالعبد المفتوح السمع لكلام الحق تعالى لا يزال يسمع أمر الحق تعالى بالتكوين فيما يتكون فيه من الحالات، والهيئات. ولا

---

(١) **السياري**: هو أبو العباس السياري، اسمه: القاسم بن القاسم. من مرو. صحب الواسطي وانتمى إليه في علوم الطائفة وكان عالماً. مات سنة ٣٤٢هـ. ومن قوله: ما التذ عاقل بمشاهدة الحق قط لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة. وانظر: **الرسالة القشيرية**، ص ٣٠، ط ١٩٥٩.

(٢) **القرآن الكريم**، سورة الشورى، الآية ٥١، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يخلو هذا العبد والعالم نفساً واحداً من وجود التكوين فيه. فلا يزال سامعاً، فلا يزال صامتاً. ولا يمكن أن يدخل معه في كلامه. فإذا سمعتم العبد يتكلم فذلك تكوين الحق تعالى فيه، وهو صامت على أصله، فافهم هذا فإنه من لباب المعرفة التي لا تحصل إلاّ لأهل الكشف والشهود.

فما ثَمَّ إلاّ الصَّمت والحقُّ ناطقٌ ... وما ثَمَّ إلاّ اللّهُ لا غيرَ خالقُ
فَمَشهدُنا تكوينُه في وُجودِنا ... تَدُلُّ عليهِ في الوجودِ الحقائقُ
فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤمِن وَمَنْ شاء فَلْيَقُلْ ... خلاف الّذي قُلْناه واللّهُ صادقُ

شعر آخر:

اللّهُ قال على لسانِ عَبيدِهِ ... الصَّمتُ في الأكْوانِ نَعتٌ لازِمُ
ما ثَمَّ إلاّ مَنْ يُكَلِّمُ نَفسَهُ ... فَهوَ السَّميعُ كَلامُه والعالِمُ
وَهُوَ الوجُودُ فَلَيسَ إلاّ عَينُه ... هَذا هُوَ الحقُّ الصَّريحُ الحاكِمُ

مسألة (٦٤)

اعلم أن الخضوع عند تجلي الحق تعالى ومناجاته هو المحمود. وما سواه مذموم إلاّ في حق من يرى الحق تعالى في الأشياء كلها، من حيث الوجه الإلهي الذي لها، ولكن على ميزان محقق لا يتعداه، وهو الميزان الذي وضعه الحق تعالى لعباده. فالعبد وإن شهد الحق تعالى في كل شيء فما يريد الحق تعالى منه أن يعامله بمعاملة واحدة في كل شيء. بل يريد منه أن يحمده في المواطن التي يطلب منه المحامد فيها، ويقبل عليه، ويأخذ منه، ويعرض عنه في المواطن التي يطلب منه الإعراض عنه فيها. فلا يتعدى الميزان. وهذا المشهد فيه مكر خفي، ولا مزيل له إلاّ العلم بالميزان الشرعي الإلهي. فمن عرفه وقف عنده وتأدب بآداب اللّه التي أدَّب بها رسول اللّه، (صلى اللّه عليه وسلم). فقد فاز، وحاز درجة العلم باللّه والعرفان به.

لِلشَّرعِ نورٌ ولِلأَلْبابِ مِيزَانُ ... والشَّرعُ لِلْعَقْلِ تأْييدٌ وَسُلْطَانُ
والكَشْفُ نُورٌ وَلكِنْ لَيسَ يُدرِكُهُ ... إلاّ عُقُولٌ لَها في الوزْنِ رُجْحَانُ

آخر:

لِرُؤيَتِنا النَّعتِ الإلَهيّ حَيرَان ... إذا ظَهَرتْ فيهِ لِذي العَينِ أَلْوَانُ
يُعَامِلُه الحَبرُ اللَّبيبُ بِمَا أَتَى ... بِهِ عن رَسُولِ اللّهِ شَرعٌ وقُرآنُ
فَذاكَ هُوَ الإسلامُ فاعْمَل بِحُكْمِهِ ... كَمَا هوَ إيمانٌ كَمَا هُو إحْسَانُ

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٦٥)

إن الأعيان القائمة بأنفسها قابلة للحفظ بخلاف ما لا يقوم بنفسه. فإنه لا يقبل الحفظ. ويقبل الوجود، ولا يقبل البقاء. فليس له من الوجود غير زمان وجوده ثم ينعدم.

ومتعلق الحفظ إنما هو الزمان الثاني الذي يلي زمان وجوده فما زاد. فكل موجود حادث له بقاء في وجوده، فلا بد من حافظ كياني يحفظ عليه وجوده. وذلك الحافظ خلقُ اللّه تعالى، وهو غذاء. فلا تزال عينه محفوظة ما دام اللّه تعالى يغذيه بما فيه بقاؤه من لطيف وكثيف. مما يدرك ومما لا يدرك. فالسعيد من الحافظين من يرى أنه مجهول للحفظ.

قال تعالى: ﴿**ويرسل عليكم حفظة**﴾[١].

فنكّر فدخل تحت هذا الحفظ حفظة الأفعال، وحفظة الوجود.

مسألة (٦٦)

اعلم أن القلم واللوح أول عالم التدوين والتسطير وحقيقتهما سارية في جميع الموجودات علواً وسفلاً، معنى وحساً. وبهما حفظ اللّه تعالى العلم على العالم والكتبة، الضم.

وبانضمام الزوجين وقع النكاح في المعاني والأجسام فظهرت النتائج في الأعيان. فمن حفظ عليهما هذا الضم الخاص أفادته علوم[٢] لم تكن عنده. ومن لم يحفظ هذا الضم الخاص المفيد للعلم لم يحصل على طائل[٣].

وكان كلامه غير مفيد.

واللّه أعلم.

مسألة (٦٧)

اعلم أنه لا بد من رجوعك إلى اللّه تعالى كارهاً كنت أو مختاراً. فارجع إليه مختاراً فإنه إنما يلقاك بصفتك لا يزيدك عليها، فانظر لنفسك.

قال رسول اللّه، (صلى اللّه عليه وسلم): (**من أحب لقاء اللّه أحب اللّه لقاءه**)[٤] الحديث.

---

(١) **القرآن الكريم**، سورة الأنعام، الآية ٦١، مكية.

(٢) في (م): (علوماً).

(٣) غير واضحة في (م) وبمراجعتها على الفتوحات، جـ٣، ص ٢٢١، تمّ تصحيحها. وتمت مراجعتها أيضاً على النسخة (س).

(٤) في الأصل: (لقائه).

والحديث: «**من أحب لقاء اللّه أحب اللّه لقاءه، ومن كره لقاء اللّه كره اللّه لقاءه**».

انظر: الحديث في **اللؤلؤ والمرجان**، باب من أحب لقاء اللّه حديث رقم (١٧١٩) ص ٢٢٢، جـ٣. وقال صاحب اللؤلؤ ذكره البخاري في ٨١ من **كتاب الرقائق**، بنفس الباب.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأخبرنا في الكشف بالإخبار الإلهي أنه من استحيى من لقاء اللّه تعالى آنسه اللّه، وأزال خجله. لأن العبد ما يجعله يستحيي إلاّ ما ظهر منه من المخالفة والتقصير في حق الاستطاعة. فأنس اللّه تعالى أن يقول له: يا عبدي إنما كان ذلك بقضائي وقدري. فأنت موضع جريان حكمي. فيأنس العبد بهذا القول، فلو قال العبد هذا القول للّه تعالى أساء الأدب معه ولم يسمع منه.

قال رسول اللّه، (صلى اللّه عليه وسلم:) (**الحياء لا يأتي إلاّ بخير**)[1].

وأي خير أعظم من أن يقيم الحق تعالى حجة عبد أُنساً له، ومباسطة، وإزالة لخجله. فسبحان اللطيف الخبير.

إنَّ الرجُوعَ هو المطلوبُ لِلّهِ ... إلَيهِ في كُلِّ كَوْنٍ فيه باللّهِ

فَكُنْ مَعَ اللّهِ في الأَحْوَالِ أجْمَعِها ... وَلا تَكُنْ عَن شُهُودِ اللّهِ باللاّهي

مسألة (٦٨)

اعلم أنه من شهد نفسه شهود حقيقة رآها ظلاً أزلياً لمن هي على صورته. فلم تقم مقامه. لأن المنفعل لا يقوم مقام فاعله. وكل فاعل أعلى من منفعله في الرتبة، فلا فخر بالذات إلاّ للّه تعالى. فإذا كان الفخر فينا للرتب. والرتب نسب عدمية فما افتخرنا إلاّ بالعدم. وناهيك ممن فخره بالعدم.

واعلم أنه إذا أضيف حكم من أحكام الوجود إلى غير اللّه تعالى أنكره أهل الشهود. وهم الذين لا يشهدون شيئاً، ولا يرونه إلاّ ويرون اللّه تعالى قبله.

وأما العلماء باللّه فهم في هذا المقام مع حكم اللّه تعالى فيه لا مع ما يشهدونه فينكرون النكرة، ويعرفون المعرفة. إذ كان الوجود مبناه على المعرفة. وهي الأصل.

واللّه أعلم.

---

(١) حديث: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**».
انظر: **اللؤلؤ والمرجان**، ص ٩ جـ١، حديث (٢٣). وذكر الطبراني في **معجمه الصغير**، حديث رقم ٢٢٣ ص ١٠٧.
عن عمران بن الحصين قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم): «**الحياء كله خير**».
وللحديث روايات أخرى كثيرة.
انظر: **معجم الطبراني الصغير**.
وانظر: **البخاري ومسلم**.
في رواية: ما كان الحياء في شيء إلاّ ذاته... الخ، ورواية: دعه فإن الحياء من الإيمان، ورواية: الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان. وانظر: **اللؤلؤ والمرجان**، جـ١، ص٨، ص٩.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٦٩)

أوقف اللّه تعالى من عباده من شاء بين يديه وخاطبه مخبراً بما لَهُ وما عَلَيْه. فقال له: (**إن لم تتق اللّه جهلته، وإن اتقيته كنت به أجهل. ولا بدّ لك من إحدى الخصلتين. فلهذا خلقت لك الغفلة حتى تتعرى عن حكم الضدين. لأنه بدون الغفلة يظهر حكم أحدهما. فاشكر اللّه تعالى على الغفلة والنسيان**).

مسألة (٧٠)

إن العالِم عند اللّه تعالى من عَلِمَ الظاهر والباطن. ومن لم يجمع بينهما فليس بعالم خصوصي، ولا مصطفى. وسبب ذلك أن حقيقة العلم تمنع صاحبها أن يقوم في أحواله بما يخالف علمه، فكل من ادّعى العلم، وعمل بخلافه في الحال الذي يجب عليه عقلاً وشرعاً العمل به، فليس بعالم. ولا ظاهر بصورة عالم فلا تغالط نفسك. فإن وبال ذلك لا يعود إلاّ عليك. ولهذا قال رسول اللّه، (صلى اللّه عليه وسلم): (**إن اللّه تعالى إذا أراد إمضاء قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم**)[١].

وليس سوى ذهاب العلم عنهم. ثم قال: (**حتى إذا أمضى فيهم قضاءه وقدره ردَّه عليهم ليعتبروا**).

والاعتبار عمل أوعية العلم. فهذا عين ما ذهبنا إليه. فإذا رأيت من يدّعي الإيمان ويذكر، فلا يقع نفع، بما ذكرته به علمت أنه في الحال ليس بمؤمن أصلاً.

فإن اللّه تعالى قد أخبر أن المؤمن ينتفع بالذكرى. وإنما نبهناك على هذا لتعلم حظك من الإيمان.

فقد قال رسول اللّه، (صلى اللّه عليه وسلم): (**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**)[٢].

أي: مصدق بالعقاب عليه. فإنه يجوز أن اللّه تعالى قد يغفر [له][٣]. فإن الإيمان إذا لم يعط الكشف الذي يعطيه العلم فليس بإيمان.

---

(١) حديث: «**إن اللّه إذا أراد إمضاء قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم. حتى إذا مضى عليهم قضاءه وقدره ردّه عليهم ليعتبروا**».

انظر كشف **الخفاء العجلوني** ج٢ ص٧٩. دار الكتب العلمية وتذكرة الموضوعات، **الفتني** ص ١٢ و**مسند الشهاب** ج٢ ص ٣٠١ تحقيق: حمدي عبد المحسن السلفي. ط. مؤسسة الرسالة العربية.

(٢) حديث: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**».

انظر: الحديث رقم (٣٦) من الجزء الأول من كتاب **اللؤلؤ والمرجان**، باب: بيان أن الدين النصيحة ص ١٢، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

(٣) إضافة من المحقق ليستقيم السياق.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فاعلم أن العلم يعطي العمل من وراء حجاب رقيق. فلا تغفل عن هذا القدر الذي نبهناك عليه.

واعلم أن من شاهد المقدر عليه علماً بطريق الكشف الشهودي أتى المخالفة بحكم التقدير لا بحكم الانتهاك. فكان عاملاً بما علم فلا يضر ذلك العمل بل هو مغفور له.

والله أعلم.

مسألة (٧١)

الأحد والأحدية، والوتر والوترية أسماء للذات المقدسة باعتبار انتفاء الأسماء والصفات والنسب والإضافات، والواحد والواحدية والشفع والشفعية أسماء للذات باعتبار إثبات الأسماء والصفات والنسب والإضافات.

والله أعلم.

مسألة (٧٢)

اعلم أن كلمة الحضرة الإلهية[١] هي الكلمة الفهوانية، وهي كلمة «كن»، وهي صورة الإرادة، وهي أحدية واحدية التعلق، وهي منسحبة على كل مكون. وليس لها معنى الإيجاد.

والله أعلم.

مسألة (٧٣)

اعلم أن الحق تعالى والخلق معان في الثبوت وليسا معان في الوجود. فمن حيث ثناء الخلق وجود الحق تعالى. لا من حيث الثبوت. وإنما ثناء الخلق وجود الحق تعالى. لأن كل حقيقة تعقل للحق تعالى لا تعقل مجردة عن تعقل الخلق. فهي تطلب الخلق لذاتها. فلا بد من معقولية حق وخلق لأن تلك الحقائق الإلهية من المحال أن يكون لها تعلق أثري بذات الله تعالى. ومن المحال أن تبقى معطلة الحكم، لأن الحكم لها ذاتي، فلا بد من تعقل حق وخلق سواء اتصف المخلوق بالوجود أو العدم[٢]، فلما كان الأمر في الثبوت على السواء أعطيناه صورة الاعتدال وعدم الميل إلى أحد الجانبين. وهذه هي المنزلة الرفيعة. (المنار)[٣] العامة الآثار.

---

(١) في (م): (إلهية).

(٢) في (م): (للعدم).

(٣) غير واضحة في (م). وروجعت على الفتوحات، جـ٣ ص ٢٨٦. وهي صحيحة. وكذا روجعت على النسخة (س).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٧٤)

كيف تريد أن تعرف بعقلك من عين مشاهدته عين كلامه. وعين كلامه عين مشاهدته. ومع هذا إذا أشهدك لم يكلمك. وإذا كلمك لم يشهدك بالله.

تدري ما أقول لا بالله ولا أنا أدري ما أقول كيف يدري من يقبل الأضداد في وصفه أو تشبيهه في نعته. هيهات لا يعرفه غيره، وهذا وراء طور العقل. لأن العقل لا يدري ما أقول. فإن الحق تعالى لا يصح عليه أن يكون من مدركات العقول. لأنه لو كان من مدركات العقول لدخل تحت أحكامها.

والله أعلم.

مسألة (٧٥)

ثُبُوتُ العَيْنِ في الإِمْكَانِ بذرٌ ... وَلَوْلا البِذْرُ لَمْ يَكُ قَطُّ نَبْتُ[(١)]

ظُهُورِي عَنْ ثُبُوتِي دُونَ أمرِ ... إِلَهِيّ مُحَالِ حَيْثُ كُنْتُ

فإذاً ليس في العلم إلاّ الشفع، وهو تثنية الجمع. فإن الحقائق الإلهية كثيرة، والمحققات على قدرها أيضاً. فثنت المحققات الحقائق في العلم. وإن لم يتصور بالوجود العيني.

وفي معناه قيل:

فَلَوْلاَ ثُبُوتُ العَيْنِ مَا كَانَ مَشْهوداً ... ولا قال كُنْ كَوْناً ولا كانَ مَقْصُودا

فَما زَالَ حُكْم العَيْنِ لِلّه عَابِداً ... وَمَا زَالَ كَوْنُ الحَقّ لِلْعَيْنِ مَعْبُودا

فَلَمَّا كَسَاهُ الحَقُّ حُلَّةَ كَوْنِهِ ... وَقَدْ كَانَ قَبلَ الكَوْنِ وَالكَوْن مَفْقُودا

تَكَوَّنَتِ الأَكْوَان فِيهِ بِكَوْنِهِ ... فَمَا زَالَ سَجَّاداً فَقِيداً وَمَوْجُودا

شعر آخر:

رَأَيْتُ رَبِّي بِعَيْنِ قَلْبِي ... فَقُلْتُ لا شَكَّ أَنْتَ أَنْتَ[(٢)]

أَنْتَ الّذِي حُزْتَ كُلّ أَيْنِ ... فَحَيْثُ لا أَيْنَ كُنْتَ أَنْتَ

فَلَيْسَ لِلْوَهْمِ فِيكَ وَهْمٌ ... فَيَعْلَمُ الوَهْمُ حَيْثُ أَنْتَ

فَفِي فَنَائِي فَنَا فَنَائِي ... وَفِي فَنَائِي ظَهَرْتَ أَنْتَ

---

(١) في (م): (البزر) بزاي. وهي مكررة.

(٢) في (م): (أنتا) وكل القافية هكذا.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٧٦)

اعلم أن وجه الحق تعالى هو [أن](١) يكون به الحق حقاً. إذ لا حقيقة لشيء إلاّ بالحق تعالى، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾(٢).

فوجه الله هو عينه المقيمة للأشياء. فمن رأى قيومية الحق للأشياء فهو الذي يرى وجه الحق في كل شيء. فافهم.

وفّقك الله لرؤياه.

مسألة (٧٧)

اعلم أن كل ما ظهر في الأكوان فهو صورة لاسم خاص رباني يربيه الحق تعالى به. فمنه يأخذ، وبه يفعل، وإليه يرجع في كل ما يحتاج إليه.

والله أعلم.

مسألة (٧٨)

للإمام حجة الإسلام «أبي حامد الغزالي»، تغمّده الله برحمته.

فإن قيل: كيف الجمع بين التوحيد والتشريع.

التوحيد: هو أن لا فاعل إلاّ الله.

والشرع: قد ورد بإضافة الفعل إلى العبد.

وإذا كان الله فاعلاً، فكيف يكون العبد فاعلاً؟

وإذا كان العبد فاعلاً، فكيف يكون الله فاعلاً؟

وصدور الفعل من فاعلين غير معقول. فنقول: صدقت إذا كان صدور الفعل من فاعلين بمعنى واحد فهو غير معقول. وإذا كان صدور الفعل من فاعلين بمعنيين فهو معقول. فنقول: معنى كون الحق تعالى فاعلاً هو أنه الخالق المخترع. ومعنى كون العبد فاعلاً أنه محل لإيجاد قدرة، بعد إيجاد إرادة، بعد إيجاد علم. وارتبطت الحركة بالقدرة، والقدرة بالإرادة، والإرادة بالعلم ارتباط المشروط بالشرط. ومن المحال وجود المشروط قبل وجود شرطه وارتبط المجموع بالقدرة الإلهية ارتباط المخترع بالمخترع.

والله أعلم.

---

(١) من المحقق للسياق.

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١١٥، مدنية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٧٩)

اعلم أنه لا بد من ارتباط الكثرة في العين الواحدة. وإثبات أحدية الكثرة على كل حال عند كل قابل إمّا بأسماء، أو بصفات، أو بنسب. فلولاه تعالى لما وُجِدْنا، ولولانا لما تكثر عزّ وجلّ بما نسب إلى ذاته المقدسة من الأسماء والصفات الإلهية. فأحدية الكثرة اعتبارها من حيث هي من غير إثبات ولا نفي. بحيث يندرج فيها جميع ما في الحضرة الواحدية.

واللّه أعلم.

مسألة (٨٠)

اعلم أنه لما كان اللّه تعالى كل يوم هو في شأن. فلذلك لا يثبت العالم قط على حالة نفساً فرداً. لأنه لو ثبت على حالة واحدة نفسية لا تصف بالغنى عن اللّه. وذلك محال.

واللّه أعلم.

مسألة (٨١)

الحق في مقابله الباطل. وكل ما يخبر عنه فإمّا حق مطلق وإمّا باطل مطلق، وإمّا حق من وجه باطل من وجه.

فالواجب لذاته: هو الحق مطلقاً. والمستحيل لذاته: هو الباطل مطلقاً.

وممكن بذاته: هو حق من وجه باطل من وجه. لأنه من حيث ذاته لا وجود له. فهو باطل من هذا الوجه. ومن حيث موجده موجود فهو حق من هذا الوجه.

فإذا أطلق الحق على الوجود في الأعيان، وعلى الوجود في الأذهان وعلى الوجود في اللسان، فأحق الأشياء بأن يكون حقاً هو الذي يكون وجوده ثابتاً لذاته أزلاً وأبداً.

فافهم.

مسألة (٨٢)

لحجة الإسلام. قال، رحمه اللّه تعالى: «إن كل ما في السموات وما في الأرض حادث على ترتيب واجب، وحق لازم لا يتصور حدوثه إلا كما حدث، وعلى الترتيب الذي عليه وجد. فما تأخر متأخر إلا لانتظار شرطه. ووجود المشروط قبل وجود شرطه محال. وكل ذلك على المنهاج الحق، والترتيب الواجب. وليس في شيء من ذلك لعب ولا اتفاق. بل كل ذلك لتدبير وحكمة».

واللّه أعلم.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٨٣)

اعلم أن المراتب ست[1]، والمجالي خمسة، والعروش خمسة.

أمّا المراتب: فالأول مرتبة حضرة الأحدية. ثم مرتبة حضرة الواحدية ثم مرتبة عالم الأرواح المجردة. ثم مرتبة عالم النفوس وهو عالم المثال. ثم مرتبة عالم الأجسام وهو عالم الملك. ثم مرتبة الإنسان الكامل.

وأمّا المجالي: فالأول مجلى الحضرة الواحدية، ثم مجلى عالم الأرواح، ثم مجلى عالم النفوس، ثم مجلى عالم الأجسام، ثم مجلى عالم الإنسان الكامل. الذي هو مجلى المجالي.

وأمّا العروش: فالأول عرش الحياة وهو عرش الهوية، ثم عرش الرحمانية، ثم العرش الكريم، ثم العرش العظيم، ثم العرش المجيد.

والله أعلم.

مسألة (٨٤)

اعلم أن المخالفة التي وقعت من الخليفة عليه السلام لم تقع منه من حيث ذاته، ولا من حيث مرتبته. وإنما وقعت منه من حيث إنه كان حاملاً للموافق والمخالف. فتحرك منه النسب المخالف. لأن الجنة ليست موطنه، ولأنه يتضرر بها. فكانت مخالفة حكمة لنهي حكمة لا مخالفة حكم لنهي حكم.

والله أعلم.

مسألة (٨٥)

اعلم أن لله تعالى مجالس مع عباده، وعددها بعدد قسمي الأوامر وعدد قسمي المناهي، وعدد ما أوجبوه على أنفسهم بطريق النظر، وبعدد ما أمرهم به أولو الأمر منهم، في غير محرم.

فلما سوّاها دعاهم إليه ليجالسوه. فمن تخلّف عن مجالسته فيها فقد عصى دعوته. ولله تعالى مجالس تسمى مجالس الإيمان. وعددها بعدد ما أباح لهم في الشرع أن يتصرفوا فيه مما لا أجر فيه ولا وزر. فإذا فعلوا المباح من حيث إن الله تعالى أباحه لهم مؤمنين بذلك حضر معهم بالإيمان.

---

(١) في (م)، (س): (ستة).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولله تعالى مع عباده مجالس تسمى مجالس السنن الكتابية وهو قوله، (صلى الله عليه وسلم): (**من سن سنة حسنة**)(١) الحديث.

وعددها بعدد ما سن من ذلك، وعدد من عمل بها من حيث لا يشعر إلاّ أن يكشف الله تعالى له في سره بمجالسته إياه. فيرى مجالسة غريبة وهو غير عامل بها في الوقت. فيقال له: إن فلاناً عمل الخير الذي سننته فجالسناه فيه فجالسناك فاحمد الله تعالى واشكره. وقد قرن الله تعالى محبته العالية الحسنى لأهل مجالس الفرائض. وقرن محبة أخرى دونها عدد مجالس النوافل. ولا تكون نافل إلاّ ما كان مثل من الفرائض. ولكل مجلس باب يدخل منه إليه. وعلى كل باب بواب وهو الإيمان.

ومن المجالس ما يكون عليها بوابان: الإيمان والنية. والباب ما هو عين الشرع في ذلك العمل. بل هو الحال الذي يكون عليه في أول الشروع.

قال الله تعالى: ﴿**الذين هم على صلاتهم دائمون**﴾(٢).

فالمصلي يناجي ربه تعالى. والمناجاة ذكر. والحق تعالى جليس من ذكره. والدوام على مناجاته تعالى هو أن يكون العبد في جميع أحواله وتصرفاته مع الله تعالى كما هو في صلاته يناجيه في كل عين. وسبب ذلك كونه لا بد أن يكون العبد على حال من الأحوال. ولا بد أن يكون لله تعالى في ذلك الحال حكم شرعي. وهو تعالى مع أحكامه حاضر حيث كانت. والمراقب يناجيه تعالى في كل حال محظور وغير محظور. لأن أفعال العبد وتركه هي التي تعلقت أحكام الحق تعالى به فهذا هو الدوام على الصلاة.

والله أعلم.

مسألة (٨٦)

اعلم أنه ليس في الوجود شيء، من جماد وغيره، إلاّ عارفاً بوحدانية خالصة له تعالى. ولولا سر الألوهية الذي تخيله المشرك في معبوده، ما عبده أصلاً فقام له سر الألوهية مقام الأمر لنا. غير أن الحق تعالى قرن السعادة بأمر المشيئة. وقرن الشقاوة بإرادة المشيئة. فما ثم مشرع غير الله تعالى. فإذا المعبود بكل لسان في حال وزمان. إنما هو الله الواحد، والعابد من كل عابد. إنما هو الله الواحد. فما ثم إلاّ الواحد. والاثنان إنما هما واحد. كذلك الثلاثة، والأربعة، والعشرة، والمائة، والألف إلى ما لا يتناهى. ما تجد إلاّ الواحد.

---

(١) حديث: «**من سن سنة حسنة**». أخرجه الإمام **مالك في الموطأ** ج١ ص٢١٨ ط دار إحياء التراث العربي، **ومسلم في صحيحه** كتاب **العلم** باب ٦ حديث ١٦. **والهيثمي في مجمع الزوائد** ج١ ص ١٦٧ ط. دار الكتب العلمية.

(٢) **القرآن الكريم**، سورة المعارج، الآية ٢٣، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليس أمراً زائداً فإن الواحد ظهر في مرتبتين معقولتين فسمي اثنين. وهكذا سائر الأعداد.

فكما أنه أنشأ العدد فكذلك يفنيه بزواله. فتكون الخمسة مثلاً موجودة. فإذا عدم الواحد منها عدمت، وإذا ظهر الواحد ظهرت. وهكذا في كل شيء. فهكذا وحدانية الحق تعالى فبوجوده ظهرنا، فلو لم يكن لما ظهرنا. ولا يلزم من عدم كوننا أنه لم يكن كما لا يلزم من عدم الخمسة عدم الواحد. فإن الأعداد تكون عن الواحد، ولا يكون الواحد عنها. فلهذا تظهر به، ولا يعدم بعدمها. وهكذا فيما تناله من المراتب. إن لم يكن هو في المرتبة المعقولة لم تكن فتفطن لهذا الواحد والتوحيد. واحذر من الاتحاد في هذا الموضوع.

فإن الاتحاد لا يصح. فإن الذاتين لا تكون واحدة، وإنما هما واحدان. فهو الواحد في مرتبتين. ولهذا إذا ضربت الواحد في الواحد لا يتضعف، ولم يتولد منهما كثرة. فالوحدانية سارية. فما ثم غيرها. فالتثنية مثل الحال لا موجودة. فإن الحقيقة تنفيها أو تأباها ولا معدومة فإن الحق تعالى يثبتها. وملخص ذلك أنك إذا قلت عشرة فكأنك قلت إن الواحد قد مشى عشرة منازل وقس على هذا النمط فاعرف الواحد.

والله أعلم.

مسألة (٨٧)

اعلم أن منزلة القوى الحسية الحيوانية أتم من منزلة القوى الروحانية. لأنها لها الاسم الوهّاب، لأنها هي التي تهب للقوى الروحانية ما تتصرف فيه، وما يكون به حياتها العلمية من قوة خيال وفكر وحفظ وتصور ووهم وعقل. فكل هذه القوى من مدد القوى الحسية. ولهذا قال تعالى في الذي أحبه: **(كنت سمعه وبصره)** الحديث.

فذكر الصورة الحسية، وما ذكر من القوى الروحانية شيئاً، ولا أنزل نفسه منزلتها، لأن منزلتها منزلة الافتقار إلى الحواس. ومنزلة القوى الحسية منزلة الافتقار إلى الله تعالى. فلذلك لم ينزل نفسه منزلة من يفتقر إلى غيره. بل أنزل نفسه منزلة من يفتقر إليه سبحانه. فأعطى القوى الحسية الغنى عن القوى الروحانية. لأن القوى الروحانية تأخذ من القوى الحسية. والقوى الحسية لا تأخذ منها، وإنما تأخذ من الله تعالى. فاعرف شرف الحس وقدره، وأنه عين الحق تعالى. ولهذا لا تكمل النشأة الآخرة إلاّ بوجود الحس والمحسوس. لأنها ما تكمل إلاّ بالحق تعالى. فالقوى الحسية هم الخلفاء على الحقيقة في أرض هذه النشأة عن الله تعالى. ألا تراه سبحانه كيف وصف نفسه بكونه حياً عالماً قادراً، وباقي الصفات وهذه كلها لها أثر في المحسوسات. ويحس الإنسان من نفسه قوام هذه القوى به. ولم يصف الحق تعالى نفسه بأنه عاقل ولا مفكر ولا متخيل. وما أبقى من القوى الروحانية إلاّ ما للحس مشاركة فيه.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو الحافظ والمصور. فلولا الاشتراك ما وصف تعالى نفسه بهما. **فهما** صفتان روحانية وحسية. فتنبه لما نبهناك عليه.

واعلم أن الشرف كله في الحس. وأنك جهلت أمرك وقدرك. فلو علمت نفسك علمت ربك. كما أن ربك علمك وعلم العالم بعلمه لنفسه. وأنك صورته فلا بد أن تشاركه تعالى في هذا العلم فتعلمه من علمك بنفسك. وهذه نكتة ظهرت من رسول اللّه، (صلى اللّه عليه وسلم). حيث قال: (**من عرف نفسه فقد عرف ربه**)[1].

إذ كان الأمر في علم الحق تعالى علمه بنفسه. وهذا نظير قوله تعالى:﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم**﴾[2].

فذكر النشأتين: نشأة صورة العالم بالآفاق. ونشأة روحه بقوله: ﴿**في أنفسهم**﴾.

فهو إنسان واحد ذو نشأتين ﴿**حتى يتبيَّن لهم**﴾. أي: للرائين. ﴿**أنه الحق**﴾. أي أن الرائي فيما رآه أنه الحق لا غير.

فانظر يا ولي ما ألطف رسول اللّه، (صلى اللّه عليه وسلم)، بأمته. وما أحسن ما طرق لهم فنعم المطرق والمدبر. جعلنا ممن مشى على مدرجته حتى التحق بدرجته آمين بعونه وكرمه. وإن كنت ذا فطنة أومأنا إليك ما هو الأمر عليه. بل صرّحنا لك بذلك. وتحمّلنا في ذلك ما يُنْسَبُ إلينا من ينكر ما أشرنا به في هذه المسألة من العمي، الذين ﴿**يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾[3].

ووالله لولا هذا القول الإلهي لحكمنا عليهم بالعمى في ظاهر الحياة الدنيا والآخرة. كما حكم اللّه تعالى عليهم بعدم السمع مع سماعهم في قوله تعالى: ﴿**ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون**﴾[4].

---

(١) حديث: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**».
قال **ابن تيمية**: حديث موضوع. وقال **النووي**:ليس بثابت. وقال أبو المظفر السمعاني في القواطع: إنه لا يعرف مرفوعاً وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي أنه قال: كتب الصوفية مشحونة به. يسوقونه مساق الحديث.
والحافظ السيوطي له كتاب لطيف أسماه [**القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه**.] وقال النجم وقع في أدب الدنيا والدين للماوردي أنه عن عائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنها قالت: «**من أعرف الناس بربه**»، قال: أعرفهم بنفسه. انظر: **كشف الخفاء**، جـ٢ ص ٢٦٢، حديث رقم ٢٥٣٢. وانظر: **المعجم الصوفي**، د. سعاد الحكيم، ص ١٢٦١. وانظر: **كتاب الأزل**، لمحمد وفا، بتحقيق سعيد عبد الفتاح، ص ١١٥، دار المتنبي، باريس ،ط١.

(٢) **القرآن الكريم**، سورة فصلت، الآية ٥٣، مكية.

(٣) **القرآن الكريم**، سورة الروم، الآية ٧، مكية.

(٤) **القرآن الكريم**، سورة الأنفال، الآية ٢١، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهكذا علم هؤلاء بظاهر الحياة الدنيا بما تدركه حواسهم من الأمور المحسوسة لا غير. لأن الحق تعالى ليس سمعهم، ولا بصرهم، فاعرف يا ولي منزلتك من هذه الصورة الإنسانية التي سيدنا محمد، (صلى اللّه عليه وسلم)، روحها، ونفسها الناطقة، هل أنت من قواها، أو من محل قواها.

فإن كنت من قواها فمن أنت من قواها. هل أنت بصرها أم سمعها أم شمها أم ذوقها أم لمسها. فإني واللّه قد علمت أي قوة أنا من هذه الصورة.

فللّه الحمد على ذلك، وعلى كل حال.

واللّه أعلم.

مسألة (٨٨)

اختلف الناس في النسخ. فأنكر النسخ الإلهي في الأمور والشرائع لتوهم البدء على الحق تعالى خلق كثير. وجوزه لا على جهة البدء خلق كثير. ونحن سلكنا فيه طريقاً بين طريقين فلم نقل بالبدء ولا نفينا النسخ. بل جعلناه انتهاء مدة الحكم في علم اللّه تعالى. إذ لم يرد من اللّه تعالى حكم ذكر فيه أنه مؤبّدٌ[1] أو جار إلى أجل معين. ثم رفعه قبل وصول ذلك الأجل فلهذا سلكنا فيه هذه الطريقة.

واللّه أعلم.

مسألة (٨٩)

اعلم أن الأرواح النارية والنورانية إذا تبدّت لأبصار البشر تجسدت فلا تقع الرؤية إلاّ على أجساد تشبه الأجسام، والأرواح باقية على حالها لا تتغير.

واللّه أعلم.

مسألة (٩٠)

اعلم أن الأفعال الصادرة عن القدرة الإلهية تنقسم إلى ما لا ينساق إلى النهاية التي هي غاية حكمتها فيستعار لهذا القسم لفظ المحبوب والمرضي. وإلى ما يقصر عن بلوغ الغاية فيستعار له لفظ المكروه والمبغوض. لكل منهما نسبة إلى المشيئة الأزلية. وليس شيء من ذلك باتفاق ولا لبخت. بل لإرادة أزلية وحكم حق، وأمر جزم استعير له لفظ القضاء. فغاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الأزلي. واستعير لترتيب المقدورات بعضها على

---

(١) في (م): (مؤبداً).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعض لفظ القدر، فكان لفظ القضاء بإزاء الأمر الكلي. وكان لفظ القدر بإزاء الأمر الجزئي التفصيلي المتمادي إلى غير النهاية.

والله أعلم.

مسألة (٩١)

اعلم أن الأعيان باقية على أصلها من العدم. غير خارجة من الحضرة العلمية. فما شمّت رائحة الوجود. وليس لها وجود في الخارج إلا وجود الحق متلبساً بصور أحوال الممكنات. فلا يتلذذ بتجلياته، ولا يتألم منها سواه.

واعلم أن التألم والتلذذ من صفات الكون. فاستنادهما إليه إنما هو باعتبارين:

أحدهما: اتصافه بصفات الكون في مقام التنزل.

وثانيهما: رجوع الكون وصفاته إليه.

وأمّا باعتبار الأحدية فالكل مستهلك فيها. فلا التذاذ ولا تألم فهذا السر فوق سر القدر. لأنه سر الأحدية المستعلية عن الكثرة.

والله أعلم.

مسألة غامضة (٩٢)

بقاء الأعيان الثابتة على عدمها مع تجلي الحق تعالى باسمه النور. أي الوجود الظاهر في صور المخلوقات، وظهوره بأحكامها. وهذا علم كشفي ذوقي ينبو عنه الفهم، ويأباه العقل.

والله أعلم.

مسألة (٩٣)

اعلم أن لكل ذكر من الأذكار نتيجة لا تكون للذكر الآخر. فأول فتح للذكر قبول القلب لذلك الذكر. فإن القلب لا يقبل من الأذكار إلا ما يعطيه استعداد الذاكر. ثم لا يزال مواظباً عليه مع الأنفاس. فلا يخرج من نفس في يقظة ولا في نوم إلاّ به لاجتهاده فيه. وهذه حقيقة الهجير، ومتى لم يكن حال الذاكر على هذا النمط فليس هو بصاحب هجير.

والله أعلم.

مسألة (٩٤)

واعلم أنه إذا كان الاتحاد يصيّر الذاتين ذاتاً واحدة فهو محال. وإن كان بمعنى ظهور

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الواحد في مراتب العدد فيظهر العدد. فقد يصح الاتحاد من هذا الوجه. ويكون الدليل مخالفاً للحس. فيكون على وجهين، كالكتابة عن حركة يد الكاتب حساً.

وبالدليل أن اللّه تعالى خالقها، وأنها أثر القدرة القديمة لا الحادثة. وقد يكون الاتحاد عندنا بمعنى حصول العبد في مقام الانفعال عنه بهمه، وتوجه إرادته من غير مباشرة ولا معالجة فظهوره بصفةٍ هي للحق تعالى حقيقة سمي ذلك اتحاداً. لظهور حق في صورة عبد. وظهور عبد في صورة حق. وقد يطلق الاتحاد في طريقنا على تداخل الأوصاف بين الحق تعالى وبين العبد. فإن الحق تعالى قد وصف العبد بما هو وصف للعبد الحياة والعلم وغيرهما. ووصف نفسه بما هو وصف للعبد من اليدين والأعين والغضب والرضا، وشبه ذلك.

فلما تداخلت الأوصاف بين الحق تعالى وبين العبد سمي ذلك اتحاداً لظهوره بنا، وظهورنا به تعالى. فلهذا يصح قول من قال: «أنا من أهوى ومن أهوى أنا».

وفي معناه قيل:

الحَقُّ عَـيْنُ الخَلْـقِ إنْ كُـنْـتَ ذَا عَـيْنٍ ... والخَلْـقُ عَـيْنُ الحَقِّ إنْ كُـنْـتَ ذَا عَـقْـلِ

وَإِنْ كُـنْـتَ ذَا عَـيْنٍ وَعَـقْـلٍ فَـمَـا تَـرَى ... سِـوَى عَـيْنِ شَـيْءٍ واحـدٍ فِـيـه بـالْـكُـلِّ

مسألة (٩٥)

الكون حجاب. والناظر إليه محجوب يتمنى أنه لم يوجد. كما قيل:

وَلَمَّا بَـدا الْـكَـوْنُ الْـغَـرِيـبُ لِـنَـاظِـري ... حَـنَـنْـتُ إلـى الأَوْطَـانِ حَـنَّ الـرَّكَـائِـبِ

لأن الكون غريب عن وطنه، ووطنه العدم فهو وطنه الأصلي. والوجود له مستعار. واللّه أعلم.

مسألة (٩٦)

اعلم أن الحقائق أعطت لمن وقف عليها أنه لا يتقيد وجود الحق تعالى مع وجود العالم بقبلية، ولا بعدية، ولا معية. فإن التقدم الزماني والمكلف في حق اللّه تعالى قد رمت به الحقائق في وجه القائل به. إلاّ أن يقوله من باب التوصيل إلى أفهام المخاطبين كما قال رسول اللّه، (صلى اللّه عليه وسلم). ونطق الكتاب العزيز به. إذ ليس كل أحد يقوى على كشف هذه الحقائق. فلم يبق لنا إلاّ أن نقول:

«إن اللّه تعالى موجود بذاته، مطلق الوجود، غير مقيد بغيره، ولا معلول بشيء، ولا علة لشيء، بل هو خالق المعلولات والعلل».

ونقول: «إن العالم موجود باللّه تعالى، لا بذاته. مقيد بوجود الحق تعالى، وإذ انتفى

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الزمان عن وجود الحق تعالى وعن وجود بدء العالم فقد وجد العالم في غير زمان. فلا نقول من جهة الحقائق إن اللّه تعالى موجود قبل العالم، لأن القبلية من صيغ الزمان، ولا زمان في وصف اللّه تعالى. ولا نقول إن العالم موجود بعد وجود اللّه تعالى، إذ لا بعدية في وصف اللّه تعالى. ولا نقول إنه موجود مع وجود الحق تعالى، فإن الحق تعالى هو الذي أوجده ولم يكن شيئاً.

ولكن نقول: الحق تعالى موجود بذاته. والعالم موجود بالحق تعالى. فإن سأل متوهم متى كان وجود العالم من وجود الحق تعالى. قلنا: متى سؤال عن زمان، والزمان من عالم النسب. وهو المخلوق للّه تعالى. فهذا سؤال باطل حجبت أدوات التوصيل إلى الأفهام هذا السائل عن تحقيق هذه المعاني.

فلم يبق إلاّ وجود صرف خالص، لا عن عدم. وهو الوجود الحق تعالى. ووجود عن عدم، وهو وجود العالم. ولا بينية بين الوجودين، ولا امتداد إلاّ التوهم الذي يحيله العلم، ولا يبقى منه شيء. ولكن يقال وجود مطلق. ووجود مقيد. ووجود فاعل. ووجود مفعول هكذا أعطته الحقائق».

واللّه أعلم.

مسألة (٩٧)

إن الاختراع لا يصح حقيقة إلاّ في حق العبد، وأمّا الرب تعالى. فلا يصح حقيقة الاختراع في حقه. وذلك أن المخترع على الحقيقة لا بدّ أن يخترع أولاً في نفسه مثل ما يريد إبراز عينه. ثم بعد ذلك يبرز عينه على صورة ما اخترعه في نفسه. والرب تعالى لم يزل عالماً بالعالم أزلاً وأبداً. فما اخترع في نفسه شيئاً لم يكن عالماً به. فإذا الرب مخترع للعالم بالفعل. لا أنه مخترع مثاله في نفسه الذي هو صورة علمه تعالى أزلي ليس بمخترع. فحقق ما قلناه. وقلّ بعد ذلك ما شئت. فإن شئت أن تصفه بالاختراع وعدم المثال فصفه. وإن شئت نفي هذا فانفه. ولكن بعد فهم ما علمتك به من الحقائق. فتحقق هذه المسألة. فإنها من أغمض المسائل.

واللّه أعلم.

مسألة (٩٨)

اعلم أنه لما شاء الحق تعالى من حيث أسمائه[1] الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء أن يرى

---

(١) في (م): (أسماؤه).

أعيانها في كون جامع لجميع حقائق الأشياء. لكونه متصفاً بالوجود ويظهر به سره إليه. فإن رؤية الشيء نفسه بنفسه ما هي مثل رؤيته نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة. فإنه تظهر له نفسه في صورة يعطيها المحل المنظور فيه، مما لم تكن تظهر له من غير وجود هذا المحل، ولا تجليه له.

وقد كان الحق تعالى أوجد العالم كله وجود شبح مسوّى لا روح فيه. فكان كمرآة غير مجلوة. ومن شأن الحكم الإلهي أنه ما سوى محلاً إلاّ ولا بدّ أن يقبل روحاً إلهياً عبّر عنه بالنفخ فيه. فاقتضى الأمر جلاء مرآة العالم فكان آدم عين جلاء تلك المرآة، وروح صورة العالم، المعبر عنه في اصطلاح القوم بالإنسان الكبير.

فكانت الملائكة كالقوى الروحانية والحسية، التي في النشأة الإنسانية. فسمى آدم عليه السلام إنساناً لعموم نشأته. وحصر الحقائق كلها. لأنه للحق تعالى بمنزلة إنسان العين من العين الذي به يكون النظر. فيه نظر الحق تعالى إلى العالم فرحمهم. وسمّاه خليفة لأنه استخلفه في حفظ العالم ما دام فيه. كالختم على خزانة الدنيا. وانتقل الأمر إلى الآخرة فكان ختماً أبدياً والله أعلم..

إلهي كيف أوحدك ولا وجود لي في عين الأحدية، وكيف لا أوحدك والتوحيد محض العبودية. سبحانك. ما وحدك سواك. ولا عرفك إلاّ بإياك. بطنت وظهرت. لا عنك بطنت، ولا لغيرك ظهرت.

والله أعلم.

مسألة (٩٩)

اعلم أن الوجود من حيث هو هو عين الوجود الخارجي، غير مقيد بالإطلاق والتقييد. ولا هو كلي ولا هو جزئي. ولا عام ولا خاص. ولا هو واحد بالوحدة الزائدة على ذاته ولا كثير. بل تلزمه هذه الأشياء بحسب مراتبه ومقاماته. المنبه عليها بقوله تعالى ﴿**رفيع الدرجات**﴾[1] فيصير مطلقاً ومقيداً. وكلياً وجزئياً. وعاماً وخاصاً. وواحداً وكثيراً. من غير تغير في ذاته وحقيقته. وهو أظهر من كل شيء تحققاً وذاتية، وأخفى من جميع الأشياء ماهية وحقيقة ولا يتحقق شيء في العقل ولا في الخارج إلاّ به.

إذ هو الذي يتجلى في مراتبه، ويظهر بصورها وحقائقها في العلم والعين، فيسمى بالماهية والأعيان الثابتة. وذلك لأن للأسماء الإلهية صوراً ثابتة في علمه تعالى. لأنه عالم

---

(١) القرآن الكريم، سورة غافر، الآية ١٥، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بذاته وأسمائه وصفاته. وتلك الصور العلمية من حيث إنها عين الذات بيقين خاص ونسبة متعينة. هي المسماة بالأعيان الثابتة. سواء كانت جزئية، أو كلية في اصطلاح أهل الله تعالى. وتسمى كلياتها بالماهيات والحقائق، وجزئياتها بالهويات. وتلك الصور فائضة من الذات الإلهية بالفيض الأقدس، والتجلي الأول. بواسطة الحب الذاتي. وطلب مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلاّ هو، ظهورها وكمالها فإن الفيض الإلهي ينقسم إلى الفيض الأقدس. وإلى الفيض المقدس. فبالفيض الأقدس تحصل الأعيان واستعداداتها الأصلية في العلم الإلهي.

وبالفيض المقدس تحصل تلك الأعيان في الخارج مع لوازمها وتوابعها. وذلك الطلب مستند[1] أولاً، إلى الاسم الأول الباطن ثم بهما إلى الاسم الآخر والظاهر. لأن الأولية والباطنية ثابتة الوجود العلمي. والآخرية والظاهرية ثابتة الوجود العيني. وقد نبّه سبحانه وتعالى أنه عين كل شيء بقوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾[2].

فكونه عين كل شيء فبظهوره في ملابس أسمائه وصفاته في عالمي علمه وعينه. وكونه غيرها فباختفائه في ذاته، واستعلائه بصفاته عن مشابهة خلقه. وتنزهه عن الحصر والتعين، وإيجاده للأشياء، واختفائه فيها مع إظهاره إياها.

واعلم أن الماهيات صور كمالات الحق تعالى، ومظاهر أسمائه وصفاته. ظهر أولاً في العلم ثم في العين. فتكثر بحسب الصور وهو على وحدته الحقيقية، وكمالاته السرمدية، وهو يدرك حقائق الأشياء، بما يدرك حقيقة ذاته. لا بأمر آخر كالعقل الأول وغيره. لأن تلك الحقائق عين ذاته حقيقة وإن كانت غيرها تعيناً، ولا يدركه غيره. فإذا علمت أن الوجود هو الحق تعالى علمت سر قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[3]. ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾[4]. ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[5].

وكذلك: «كنت سمعه وبصره»[6].

وأمثال ذلك من الأسرار المنبهة للتوحيد بلسان الإشارة.

والله أعلم.

---

(١) في (م): (مستنداً).
(٢) القرآن الكريم، سورة الحديد، الآية ٣، مدنية.
(٣) القرآن الكريم، سورة الحديد، الآية ٤، مدنية.
(٤) القرآن الكريم، سورة (ق)، الآية ١٦، مكية.
(٥) القرآن الكريم، سورة الذاريات، الآية ٢١، مكية.
(٦) سبقت الإشارة للحديث.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (١٠٠)

اعلم أن الحق تعالى بحسب كونه ﴿كل يوم هو في شأن﴾[١]. له شؤون وتجليات في مراتب إلهية. وله أيضاً بحسب شؤونه ومراتبه الإلهية أسماء وصفات إيجابية أو سلبية. وكل منها نوع من الوجود، سواء كانت إيجابية أو سلبية. وليست إلاّ تجليات ذاته بحسب مراتبه الإلهية. وهي أول كثرة وقعت في الوجود. وهي برزخ بين الحضرة الأحدية الذاتية، وبين المظاهر الخلقية. لأن ذاته تعالى اقتضت بذاته بحسب مراتب الألوهية والربوبية صفات[٢] متعددة، متقابلة، متخالفة. كاللطف والقهر، والرحمة والغضب، والرضى والسخط، وغيرها. وتجمعها النعوت الجمالية والجلالية.

والله أعلم.

مسألة (١٠١)

اعلم أن الصفات تنقسم إلى ما له الحيطة التامة الكلية، وإلى ما لا كون له الحيطة الكلية. وإن كانت هي أيضاً محيطة بأكثر الأشياء. فالأول هي الأمهات للصفات، المسماة بالأئمة السبعة، وهي الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة. وباقي الصفات السبع[٣].

وهذه الصفات السبع[٤] وإن كانت أصولاً لغيرها من الصفات لكن بعضها أيضاً مشروط بالبعض الآخر في تحققه. أو العلم مشروط بالحياة والقدرة والإرادة مشروطان بهما. والثلاثة الباقية مشروطة بالأربعة المذكورة.

والأسماء أيضاً تنقسم بنوع من القسمة إلى أربعة أسماء هي الأمهات. وهي الأول والآخر والظاهر والباطن، ويجمعها الاسم الجامع وهو الله الرحمن.

والله أعلم.

مسألة (١٠٢)

اعلم أن رتب الأسماء ثلاث: ذاتية، ووصفية، وفعلية.

لأن الإله إنما يطلق على الذات باعتبار نسبة وتعين. ذلك الاعتبار إما أمر عدمي نسبي محض، كالغنى والأول والآخر. وإما غير نسبي كالقدوس والسلام.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآية ٢٩، مدنية.

(٢) في (م): (صفاة).

(٣) في (م)، (س): (السبعة).

(٤) في (م)، (س): (السبعة).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويسمى هذا القسم أسماء الذات.

وأما معنى وجودي يعتبره العقل. من غير أن يكون زائداً على الذات فإنه محال. وهو إما أن يتوقف على وجود الغير كالحي والواجب، وإما أن يتوقف على تعقل الغير دون وجوده كالعالم والقادر، وتسمى هذه الأسماء الصفات.

وإما أن يتوقف على وجوده كالخالق والرازق. وتسمى هذه أسماء الأفعال.

والله أعلم.

مسألة (١٠٣)

في إزاحة إنكار الأدباء على المتكلمين في استعمال لفظة الذات. حيث إن الذات تأنيث. والتأنيث لا يليق ذاته ولا معناه بجلال الله تعالى. والذي يزيح شبهتهم أن المتكلمين عن المعنى اللغوي العرفي بمعزل فلا يتوجه عليهم إنكار اصطلاحهم. إذ التعبير عن الذات منقول عن السلف الصالح منه قول خير الأمة: **(تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله فإنكم لم تقدروا قدره)**[1].

فما من شيء إلاّ وله حقيقة، ومعناها هو المتبادر من لفظ ذاته، أو نفسه، أو عينه، أو وجهه، أو اسمه، أو حدّه، أو نحو ذلك.

والله أعلم.

مسألة (١٠٤)

للأشعرية: في حد المثلين والغيرين.

أمّا المثلان: فهما الموجودان اللذان يجب لكل واحد منهما ما يجب للآخر من صفات النفس.

وقيل: هما اللذان يشتركان فيما يجوز ويستحيل.

وقيل: هما اللذان يسد كل واحد منهما مسد الآخر.

وأمّا الغيران: فهما الموجودان اللذان يجوز مفارقة أحدهما للآخر بزمان، أو مكان، أو وجود، أو عدم.

والله أعلم.

---

(١) حديث: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله فإنكم لم تقدروا قدره».
أخرجه عبدالله بن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ج٧ ص٩٥ ط. دار الفكر.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقلت:

فَالعِلْمُ أَشْرَفُ ما تُؤْتِيهِ مِن مِنَحٍ   والشَّرْعُ أَعْظَمُ مِنْهَاجٍ وَأَوْضَحُهُ
فَإِنْ سَأَلْتَ إِلٰهَ الخَلْقِ فِي طَلَبٍ   فَاسْأَلْهُ كَشْفاً فَإِنَّ اللّهَ يَمْنَحُهُ
وَازِمِنِ الطَّرْقَ إِنَّ البَابَ أَغْلَقَهُ   دَعْوَى الكِيَانِ وُجودُ اللّهِ يَفْتَحُهُ

مسألة (١٠٥)

اعلم أن من استوهب من الواهب المواهب وهب على كل حال. ومن استوهب من غيره فإنه مستوهب من محال.

مسألة (١٠٦)

فأنت للحق تعالى بمنزلة الجد لك. والحق تعالى بمنزلة الروح المدبرة لجدك.

والله أعلم.

مسألة (١٠٧)

اعلم أن الأصل في العالم قبول أوامر التكوين فيما يراد تكوينه فيه ومنه. والعصيان أمر عارض. وفي الحقيقة ما أطاع الله أحد، ولا عصاه أحد. بل الأمر كله لله.

قال: ﴿وإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّه﴾(١).

والله أعلم.

مسألة (١٠٨)

في بيان معنى التوحيد الموتي.

اعلم أن الموت ينكشف به الغطاء، ويتبين الحق لكل أحد. ولكن ذلك الكشف في ذلك الوقت في العموم لا يعطي سعادة، إلاّ لمن كان من العامة عالماً به.

ثم إن الناس في دار الدنيا ثلاثة أصناف:

- صنف علموا الحق علماً، وهم العامة.
- وصنف علموا الحق عيناً، وهم أصحاب الكشف.
- وصنف عموا عن الحق بالكلية.

فإذا انكشف الغطاء بالموت انتقل أهل العلم من العلم إلى العين، وانتقل أهل العين من

---

(١) القرآن الكريم، سورة هود، الآية ١٢٣، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العين إلى الحق، وانتقل أهل العمى من العمى إلى الإبصار. لا عن تقدم علم فلا بد من مزيد لكل طائفة عند كشف الغطاء.

ولهذا الاعتبار يصحّ قول من قال: **«لو كُشِفَ الغطاء ما ازددت يقيناً»**[1].

بمعنى من علمه إن كان ذا علم، أو من عينه إن كان ذا عين، لا أنه لا يزيد عند كشف الغطاء أمرٌ لم يكن عنده. لأنه لو كان كذلك لكان كشف الغطاء في حق من هذه صفته عبثاً معرّى عن الفائدة. فما كان الغطاء إلا وراءه أمر وجودي لا عدمي.

واللّه أعلم.

مسألة (١٠٩)

اعلم أن كلمات الحق تعالى ليست سوى أعيان الممكنات الموجودة. فينسب إليها القدم من حيث وجودها وثبوتها في العلم القديم. وينسب إليها الحدوث من حيث وجودها في الخارج.

ولذلك قال اللّه تعالى في كلامه العزيز مع أنه قديم: **﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾**[2].

واللّه أعلم.

مسألة (١١٠)

اعلم أن المختار هو الذي يفعل فعلاً ما إن شاء، ويترك إن شاء. وسبق العلم بالفعل أو الترك، يخيل وقوع ما لم يسبق به العلم، وإذا المضطر هو المجبور على الفعل. فإذاً لا اضطرار ولا جبر ولا اختيار.

فتفهم هذه المسألة فإنها غامضة. وقلّ من يفهمها.

واللّه أعلم.

مسألة (١١١)

اعلم أن اليقين له، باعتبار نشأته الكاملة، أربع مراتب. فأولها: مرتبة العلم. ثم مرتبة العين. ثم مرتبة الحق. ثم مرتبة الحقيقة.

---

(١) هذا قول لأبي يزيد البسطامي مشهور في كل كتب التصوف. ولكن ابن عربي كثيراً ما يورده في جل كتبه ومواضع كثيرة من الفتوحات.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ٢، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فعلمه، وعينه، وحقه كتابية. وحقيقته سنية.

فاليقين من أول مراتبه: اسم جامع بين العلم والطمأنينة. وقد يشتق من يقن الماء في الإناء، إذا استقر فيه. فاليقين بهذا الاعتبار استقرار الإيمان في قلب المؤمن. ومن المعلوم أن اليقين الذي هو في مرتبة العلم بقدرة اللّه تعالى على إحياء الموتى، كان مستقراً في قلب خليل الرحمن، عليه السلام، حين سأل[1] ربه كيفية إحياء الموتى. وإنما كان مطلوبه الطمأنينة، التي تعطيها مرتبة العين. ولأن السكون الذي هو الطمأنينة أمر زائدٌ على العلم، فينبغي أن يطلب لأنه لم يكن أحد أثبت قلباً في اليقين من سيدنا محمد، صلى اللّه عليه وسلم. ومع هذا فقد أخبر أنه كان يتعلم اليقين. وقد أمره اللّه تعالى بطلب الزيادة من العلم. وقال له ربه سبحانه: ﴿**وقل رب زدني علما**﴾[2].

والعلم على كل حال لا بد أن يستند إلى اليقين. لأن اليقين روح العلم والطمأنينة حياته. فكان، (صلى اللّه عليه وسلم)، لا يزال يطلب الزيادة من العلم. فكان لا يزال يتعلم اليقين لارتباطه به. فينبغي للعاقل أن لا يزال يسأل اللّه تعالى الزيادة من العلم المرتبط باليقين.

واعلم أنه لما كان فلك اليقين متسعاً عالياً فكذلك لا يظهر له أثر ظاهر، إلا عند القليل من المتروحنين من البشر بعلو هممهم. فإن هممهم حازت عليه في فلكه.

واعلم أن الحق تعالى لا يمكن أن يوصف باليقين للحوقه بالنشأة. بخلاف العلم فإنه يوصف به.

واعلم أن اسم العلم مشترك، وكذلك اسم العين، وكذلك اسم الحق فلأجل ذلك. أضيفت كل واحدة منها إلى اليقين ليتميز به من غيره.

واعلم أنه ليس بأيدي الناس اليوم منه اليقين لاسمه إلاّ الأفراد منهم. ولذلك لا تجد أحوالاً وهو يشك في المقدور إمّا بعقده، وإمّا بحالة ضرورة. وأدناه مرتبة الشك في الرزق. الذي وقع القسم من المولى تعالى بضمانه. ولم يشترط في إعطائه إيماناً ولا طاعة. ومع هذا القسم والضمان لم يحصل في النفس من اليقين لا حقيقة، ولا حق، ولا عين، ولا علم. فإنا للّه وإنا إليه راجعون في هذه المصيبة التي عمت الكافة إلاّ القليل.

واللّه أعلم.

---

(١) في (م): (سأله).

(٢) القرآن الكريم، سورة طه، الآية ١١٤، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (١١٢)

اعلم أن حقيقة العبودية تقتضي طاعة المعبود ومحبته. فلما علم اللّه تعالى أن الخلق لا يصلون إلى الصافي من طاعته ومحبته أوجد لهم بشراً من جنسهم وأقام طاعته مقام طاعته. فقال تعالى: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع اللّه**﴾[١].

وأقام متابعته مقام متابعته. ومحبته مقام محبته فقال تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبون اللّه فاتبعوني يحببكم اللّه ويغفر لكم ذنوبكم واللّه غفور رحيم**﴾[٢].

اعلم أن الحق تعالى من حيث أحديته لا اسم له ولا نعت ولا صفة. كما قال «علي»، كرّم اللّه وجهه: (كمال الإخلاص نفي الصفات عن الحق تعالى).

وأما عند التجلّي فإنه يتجلّى لكل أحد بصورة معتقده. ولذلك أجاب الإمام «أبو القاسم الجنيد»[٣]، رحمه اللّه تعالى حين سُئل عن المعرفة باللّه، والعارف به، فقال: «لون الماء لون إنائه».

أي أن الحق تعالى لا يتجلّى بصورة المعرفة إلاّ بحسب استعداد المتجلّى له. وهو جواب محكم مطابق لما في نفس الأمر. لأن الماء لا لون له ويتلوّن بلون أوعيته الشفافة. فكذلك الحق تعالى لا تعين له يحصره ويتعين بحسب الاستعدادات والقابليات. فمن عرف أن الحق تعالى هو المتجلّي في صور الأعيان وصور الأذهان بحسب استعداداتها وقابلياتها، سلم لكل ذي اعتقاد اعتقاده وعرف أن اللّه تعالى هو الظاهر بها، وآمن به فيها، وكان من أصحاب السعادة العظمى. فالمعتقد بالاعتقاد الخاص ظانّ، وليس بعالم. إذ لو كان عالماً عارفاً لعرف اللّه تعالى في جميع الصور والاعتقادات. ولذلك قال اللّه تعالى: (**أنا عند ظن عبدي بي**)[٤].

أي لا أظهر له إلاّ بصورة معتقده. فإن شاء أطلق وعبد الإله المطلق، الذي يظهر بكل

---

(١) **القرآن الكريم**، سورة النساء، الآية ٨٠، مدنية.

(٢) **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، الآية ٣١، مدنية.

(٣) **أبو القاسم الجنيد**: أصله من نهاوند. ولد ونشأ بالعراق، أبوه كان يبيع الزجاج لذا فإنه يلقب أحياناً بالقواريري. وهو ابن عشرين سنة صاحب الزاهد الكبير (السري السقطي) خاله. وكذلك صحب الحارث المحاسبي، ومحمد بن علي القصاب فتركوا فيه أثراً كبيراً جعله فيما بعد من أئمة القوم. وقد توفي سنة ٢٩٧هـ.

انظر: **الرسالة القشيرية**، ص ٢٠، الطبعة الثانية ١٩٥٩، القاهرة.

(٤) حديث: «**أنا عند ظن عبدي بي**» أخرجه **ابن حزم** في المحلى عن **الطبراني والحاكم** ج١ ص٧٢ ط. دار الفكر ـ بيروت والدارمي في سننه ج٢ ص٣٠٥ ط. مطبعة الاعتدال ـ دمشق. **والبخاري** في صحيحه ج٨ ص١٧١ عن **الأعمش** عن **أبي صالح** عن **أبي هريرة** ط. دار الفكر العربي.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المظاهر والمجالي. وإن شاء فيه بصورة معينة يعطيها استعداده. فإله المعتقدات تأخذه الحدود لأنه معين مقيد. وهو الإله الذي وسعه قلب عبده.

والإله المطلق لا يسعه شيء. لأنه عين كل شيء، وعين نفسه. والشيء لا يقال فيه يسع نفسه ولا يسعها.

واعلم أن القلب معين مكتنف بعوارض[1] تعيينية، وحدود شخصية. فلذلك لا يدرك إلا مثله. ولا يسع إلا ما هو معين مقيد مثله. والإله المطلق جلّ عن الحدود، وعزّ عن الإحاطة. فلا يسعه شيء وكيف يسعه شيء وهو عين الأشياء، ولا شيء غيره، فافهم ترشد.

ولا يقال: هذا يناقض القول بأن العارف يسع الحق. لأن كون قلب العارف يسع الحق تعالى إنما هو بحسب التجلي. والتجلّي لا يكون أبداً إلاّ بصورة اعتقاد المتجلّي له. والمتجلي له عين مقيدة، فلا يمكن أن يتجلّى له الحق تعالى بجميع أسمائه وصفاته دفعة.

وإن كان قلب الكامل قابلاً لجميع التجلّيات الأسمائية. لكن لا يتجلّى له الحق تعالى بجميعها دفعة، ولا له قابلية لذلك.

واللّه أعلم.

مسألة (١١٣)

اعلم أن من استرسل مع إطلاق التوحيد، ولم يتقيد بظواهر الشريعة فقد قذف به في بحر الزندقة. ولكن الشأن أن تكون بالحقيقة مؤيداً وبالشريعة مقيداً.

واعلم أنه لا يدل على علم العبد كثرة عمله، ولا مداومته على ورده، وإنما يدل عليه رجوعه إلى ربه، بقلبه. وتحرزه من رق الطمع، وتحليه بحلية الورع.

ولذلك قال «الحسن البصري»[2]: «ملاك الدين الورع، وفساد الدين الطمع».

واللّه أعلم.

مسألة (١١٤)

اعلم أن من وقف عند الإضافات والنسب عثر على الأمر على ما هو عليه.

---

(١) في (م): (بعواض).

(٢) **الحسن البصري**: هو أبو سعيد الحسن البصري. غلب عليه الخوف حتى كأن النار لم تخلق إلاّ له. كما يقول الشعراني في طبقاته. وكان البصري يقول: لسان الحكيم من وراء قلبه، وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه كل ما أتى على لسانه تكلم به. ومن أقواله أيضاً: المحب سكران لا يفيق إلا عند مشاهدة محبوبه.

انظر ترجمته في **طبقات الشعراني**، ص ٢٥، جـ١، المكتبة التوفيقية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واعلم أن السعادة في الإيمان لا في العلم. والكمال في العلم، فإن جمعت بينهما، فأنت إذاً أنت. ما فوقك غاية.

والله أعلم.

مسألة (١١٥)

اعلم أن الابتلاء أصله الدعوى. فمن لا دعوى له لا ابتلاء يتوجه عليه. ولهذا ما كلفنا الله تعالى حتى قال لنا: ﴿ألست بربكم﴾[١].

فقلنا: «بلى». فأقررنا بربوبيته لنا، وعبوديتنا له. والعبودية تطلب بذاتها طاعة السيد. فلما ادعينا ذلك كلفنا حينئذٍ ليبتلي صدقنا فيما ادعيناه.

والله أعلم.

مسألة (١١٦)

اعلم أن الهوية الإلهية هي المتجلّية بالصفات الحياتية لا غيرها. فظهرت أولاً في النفس الرحماني. ثم بواسطته في كل شيء. ولأجل سريان هذه الحياة الذاتية في الماء، جعل الله منه كل شيء حي. وهذا الماء الذي هو أصل كل شيء إنما هو النفس الرحماني المسمى بالهيولى الكلي، والجوهر الأصلي. الذي كان عرش الله تعالى عليه. لا الماء المتعارف. وإنما أطلق على النفس الرحماني اسم الماء مجازاً، لأنه مظهره فلذلك اتصف[٢] بصفاته. فصار مادة لجميع ما في العالم الجسماني من نبات وحيوان.

والله أعلم.

مسألة (١١٧)

قال الله تعالى: ﴿فلله الحجة البالغة﴾[٣].

أي: التامة القوية على خلقه فيما يعطيهم من الطاعة، والإيمان، والكفر، والعصيان. لا لخلقه عليه حجة. إذ ما يعطيهم إلاّ ما طلبوا منه بلسان استعداداتهم، وقابلياتهم. فما قدر

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ١٧٢، مكية، ونصُّها: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين﴾.

(٢) في (م): (التصف).

(٣) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ١٤٩، مكية، ونصُّها: ﴿قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾. وهي في الأصل جاءت، ولله الحجة البالغة، ولولا أن ابن عربي سبقها بـ (قال الله تعالى) لتركتها ولاحتسبتها من نص حديثه خوفاً من اللبس.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على الكافر الكفر ولا على العاصي المعصية إلاّ باقتضاء أعيانهما بذلك. وطلبهما بلسان استعدادهما أن يجعلهما على ما برزا عليه من كفر أو معصية. كما طلبت عين الكلب صورته، والحكم عليه بالنجاسة العينية. باقتضاء ذاته ذلك.

فإن قلت الأعيان الثابتة واستعداداتها حصلت في العلم بالفيض الأقدس. فالحق تعالى جعلها كذلك. قلت:

الأعيان الثابتة ليست مجعولة، بل هي صور علمية للأسماء الإلهية التي لا تأخر لها عن الحق تعالى إلاّ بالذات لا بالزمان. وهي أزلية أبدية.

واللّه أعلم.

مسألة (١١٨)

اعلم أن الرسل من حيث إنهم رسل لا يعطون من العلم لأممهم إلاّ على قدر استعداداتهم وقابلياتهم. لا يمكن أن يكون زائداً عليه، ولا ناقصاً منه. لأنهم مبلغون مبيّنون لأممهم، أحكام أفعالهم المتعلقة بمصالح دنياهم وأخراهم.

وأمّا من حيث إنهم أولياء ففانون في اللّه تعالى. وأما من حيث إنهم أنبياء وعارفون فعلومهم بحسب استعداداتهم وقابلياتهم. (صلى اللّه عليهم وسلم).

واللّه أعلم.

مسألة (١١٩)

اعلم أن الحق تعالى رحم الأعيان الطالبة لظهورها، ولوازمها، وتوابعها، وأحكامها. فأوجدها في الخارج كما أوجدها أولاً في العلم. فالرحمة سابقة على كل شيء، ومحيطة بكل شيء. فالوجود عين الرحمة الشاملة بجميع الموجودات. ومن جملة الأعيان عين الغضب. وما يترتب عليه من الآلام والمحن وأمثالها. مما لا يلائم الطباع. فوسعت الرحمة له كما وسعت لغيره. فعين الغضب من رحمة اللّه تعالى. فنسبة الغضب ولوازمه ناشئة من عدم قابلية بعض الأعيان للكمال المطلق، والرحمة التامة. فتسمى شراً ونقمة. وإليه أشار رسول اللّه، (صلى اللّه عليه وسلم)، بقوله: (**الشرّ ليس إليك**)[1].

ومن أمعن النظر في لوازم الغضب من الآلام والمحن، والفقر، والجهل، والموت، وجدها

---

(١) حديث: «**الشر ليس إليك**». انظره في **فقه السنة**. الشيخ سيد سابق ج١ ص١٤٦ ط. دار الكتاب العربي - بيروت وفي **شرح الأسماء الحسنى** للملا هادي السبزواري ج٢ ص٧٨. ط. مكتبة بصيرتي.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كلها أموراً عدمية. فالرحمة ذاتية للحق تعالى ولوازم الغضب أمور عرضية نشأت عن أسباب أمور عدمية.

والله أعلم.

مسألة (١٢٠)

يقول الشيخ رحمه الله تعالى: «فلما حيرتني هذه الحقيقة الإلهية أنشدت بحكم الطريقة للخليقة».

الـربُ حـقٌ والـعـبـدُ حـقٌ ... يـا لَـيـتَ شِـعـري مَـن المُكَـلَّـف
إنْ قُـلْـتَ: عـبـدٌ فَـذاكَ مَـيْـتٌ ... أوْ قُـلْـتَ: رَبٌّ أنّـى يُـكَـلَّـف

اعلم أن بالتكليف ظهر الاسم المعبود وبوجود حقيقته، لا حول ولا قوة إلاّ بالله، ظهرت حقيقة الجود. وإلاّ إذا جعلت الجنة خزانة لما عملت فأين حقيقة الجود الإلهي الذي عقلت.

وإذا كان ما تطلب به الجزاء ليس إليك فكيف ترى عقلك؟

والله أعلم.

مسألة (١٢١)

اعلم أن الإحسان أعلى درجة في الإيمان. وأعلى الإحسان المشاهدة، وأدناه المراقبة. والمحسن من تحقق الصدق في دعوى قوله: ﴿**إيّاك نعبد وإيّاك نستعين**﴾[١].

والصدق في هذه الدعوى إنما يكون بإخلاص لله تعالى وحده. فقولنا: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ خطاب لموجود يشهد مع العبادة، ويراقب مع الاستعانة. لأنّا مع المشاهدة نرى أفعال الله تعالى فينا، وفي غيرنا. ومع المراقبة نعلم أنه هو الذي أسمعنا ما نسمعه من أنفسنا، ومن غيرنا. وهو الذي أوجد حركاتنا وسكناتنا. وحركات غيرنا وسكناتهم.

فالمشاهدة على هذه الحالة رؤية تقع موقع العيان. والمراقبة: رؤية قلب.

ولا تتحقق العبادة ولا الاستعانة إلاّ ممن يعرف المشاهدة والمراقبة.

فمن أسلم، وآمن، وأحسن، فقد عرف معالم الدين الذي نزل به جبريل (عليه السلام) على رسول الله، (صلى الله عليه وسلم)، ليعلّم الأمة معالم دينهم، ودنياهم. ولا يظفر بهذه الصفة إلاّ من أسلم وجهه لله وهو محسن.

والله أعلم.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الفاتحة، الآية ٥، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (١٣٢)

إن قول اللّه تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾[١].

فيه تنبيه على أن الشرك منتفٍ في نفس الأمر. إذ العين الواحدة الأحدية هي الظاهرة في كل من الصور. فجعل إحدى الصورتين شريكاً للأخرى. إشراك للشيء مع نفسه. وهو ظلم عظيم، فإن من شأن الشركة اتحاد العين المشترك فيها فيكون لكل واحد الحكم فيها على السواء وإلاّ فليس بشريك مطلقاً. وهذا الشريك الذي أثبته الشقي، لم يتوارد مع اللّه تعالى على أمر فيه الاشتراك، فليس بشرك على الحقيقة، بخلاف المؤمن السعيد فإن أشرك الاسم الرحمن مع الاسم اللّه وبالأسماء كلها في الدلالة على الذات، وفي الجامعية للأسماء والصفات فكان أقوى من الشرك الأول.

- فإن الأول أثبت شريكاً بدعوى كاذبة.

- وهذا أثبت شريكاً بدعوى صادقة.

فغفر لهذا المؤمن السعيد بصدقه في دعواه. ولم يغفر لذلك الشقي بكذبه في دعواه.

واللّه أعلم.

مسألة (١٣٣)

قال اللّه تعالى: ﴿الذي أعطى كل شيء خلقه﴾[٢].

أي: مقتضى خلقه وعينه دفعة واحدة. ثم جعله وديعة في ذلك الشي، إلى أن يظهر في الحس. ثم ينزله في كل حين بقدر ما يشاء. وما يشاء إلا بما علم فحكم به. وما علم إلا بما أعطاه المعلوم من نفسه بحسب استعداده وقابليته. فالتوقيت في الأصل للمعلوم وللعلم. والقضاء والمشيئة. والإرادة تبع للقدر. يعني أن تعيين كل حال من أحوال الأعيان بوقت معين وزمان خاص، إنما هو في الحقيقة مقتضى الأعيان. فإنها باستعداداتها طالبة لذلك التوقيت.

فالعلم بسر القدر من أشرف العلوم وما يُفهّمه اللّه تعالى إلاّ لمن اختصه بالمعرفة التامة.

واللّه أعلم.

---

(١) القرآن الكريم، سورة لقمان، الآية ١٣، مكية.

(٢) القرآن الكريم، سورة طه، الآية ٥٠، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (١٢٤)

اعلم أن لا يخفى على العقلاء أن البارئ سبحانه وتعالى منزّهٌ عن قيام الأصوات والحروف بذاته. بل هو متكلم على الإطلاق بكلام القديم. هو صفة معنى اتصف به ذاته. لا يقال هو هو، ولا هو غيره، كعلمه وسائر صفاته تنزه، وكلامه تعالى عن الصوت والحروف، والتقدم والتأخر. وكل كلام ظهر في الوجود محدث، وأنه خلق له، إذ هو القائل: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾(١).

وكلامنا من أعمالنا فهو خلق له. يخاطبنا بكلامه، ويرد على نفسه بكلامه، من غير توهم تقدم وتأخر.

مثال ذلك أن يقول: ﴿أقم الصلاة﴾(٢).

ولا بد لنا من الجواب، ولا قدرة لنا عليه ما لم يخلق الكلام لنا. فإذا أراد أن يجيب نفسه بفعله، خلق الكلام في قلوبنا ثم خلق العبارة عنه في ألسنتنا. فنقول عند ذلك: ﴿سمعنا وأطعنا﴾(٣).

فيكون قد ردّ على نفسه الجواب بفعله. فيطلق عليه من قوله: ﴿أقم الصلاة﴾. إنه تكلم.

ويطلق عليه من قولنا: ﴿سمعنا وأطعنا﴾. إنه خالق الكلام لنا.

وقد توسع العبارة، ويسمى كلام الله تعالى ما دل على كلامه تعالى كقوله تعالى: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾(٤).

فالكلام الذي صدر عن رسول الله، (صلى الله عليه وسلم)، ووقع في سمع الأعرابي من فعل الله تعالى، خلقه في قلب النبي، (صلى الله عليه وسلم)، ثم خلق العبارة عنه في لسانه. ففهم الأعرابي كلام الله القديم القائم بذاته سبحانه وتعالى، الذي هو صفته. والله أعلم.

مسألة (١٢٥)

اعلم أن النفس الناطقة مسماة بالكلية الرحمانية. وهو جوهر مجرد عن المادة متعلق

---

(١) القرآن الكريم، سورة الصافات، الآية ٩٦، مكية.
(٢) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ٧٨، مدنية.
(٣) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٢٨٥، مدنية.
(٤) القرآن الكريم،سورة التوبة، الآية ٦، مدنية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالبدن تعلق التدبير. من شأنه إدراك العلوم والمعارف. وسبب تعلقها بالبدن لكون كمالاتها موقوفة على تعلقها به. ولا يمكن وصولها إلى ذلك إلاّ بواسطة الروح الحيواني، لأنها نور محض. والبدن كثيف مظلم. ولا مناسبة بين النور والظلمة. فاقتضى الجود الإلهي إفاضة جوهر بخاري حار لطيف متوسط بينهما. مناسب للنفس بما فيه من اللطافة. ومناسب للبدن لما فيه من قبول الصور والأشكال يسمى روحاً حيوانياً، متكون في تجويف القلب الجسماني من ألطف[1] أجزاء الأغذية. وهو أول ما يكون من المني. لأن بواسطته يحصل الحس والحركة لسائر الأعضاء. وهو أول متعلق النفس الناطقة. فتفيض عليه قوة تسري بسريانه إلى جميع أجزاء البدن وأعماقه. فتنتشر بواسطته في كل عضو من أعضاء البدن قوى تليق به ويكمل به نفعه. كل ذلك تقدير العزيز العليم.

مسألة (١٢٦)

قال اللّه تعالى: ﴿**سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون**﴾[2].

لأنهم ما يصفون إلاّ بما تعطيه عقولهم فنزّه نفسه تعالى عن تنزيه العقول. إذ حدوده بذلك التنزيه. لأن المميز عن جميع الأشياء محدود بتميزه عنها. وذلك لقصور العقول الغير المنورة عن إدراك الحقائق الإلهية وشؤونها. وإنما استفادت العقول المنوّرة هذه المعاني بإعلام اللّه تعالى إيّاها لا بنفسها.

وإنما يظهر سرّ حقيقة ما قلناه وذكرناه لمن عرف سرّ معنى قول اللّه تعالى: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون اللّه يد اللّه فوق أيديهم**﴾[3]. ﴿**ومن يطع الرسول فقد أطاع اللّه**﴾[4].

وأمثال ذلك.

فإذا كان الحق تعالى عين هوية الرسول، (صلى اللّه عليه وسلم)، كان التشبيه الذي في هوية الرسول، (صلى اللّه عليه وسلم)، ثابتاً للتنزيه الذي في هوية الحق تعالى. وكان التنزيه الذي في هوية الحق تعالى ثابتاً للتشبيه الذي في هوية الرسول، (صلى اللّه عليه وسلم).

---

(١) في (م): (اللطيف).

(٢) في (م): (سبحانك). ومثلما شرحت في آية سابقة يبدو أن الناسخ يسهو كثيراً. وهي آية رقم (١٨٠) من سورة الصافات، مكية.

(٣) **القرآن الكريم**، سورة الفتح، الآية ١٠، مدنية.

(٤) **القرآن الكريم**، سورة النساء، الآية ٨٠، مدنية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولهذا قلنا بالتشبيه في عين التنزيه، وبالتنزيه في عين التشبيه، إذ هوية الحق تعالى المنزهة هي التي ظهرت في صورة الرسول، (صلى اللّه عليه وسلم)، المشبهة. والصورة المشبهة هي التي كانت منزهة في المرتبة الأحدية. فافهم.

مسألة (١٢٧)

اعلم أن الأشياء الموجودة تشهد لصاحبها بالصفة وتقر على نفسها بالحدوث ولبارئها بالقدم. ولهذا قال اللّه تعالى: ﴿**ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾[١].

ولم يقل ولكن لا تسمعون تسبيحهم. لأن تسبيحهم يفهم ولا يسمع.

واللّه أعلم.

مسألة (١٢٨)

اعلم أنه ليس في الوجود ذرة إلاّ وهي دالّة بجواز وجودها على وجوب موجدها. وكذلك أيضاً ليس في الوجود ذرة إلاّ وقد تعلق علم اللّه تعالى بها كشفاً. وإرادته تخصيصاً، وقدرته إيجاداً وإعداماً. وصفاته تعالى قائمة بذاته لا تقبل الانفصال عن ذاته ولا القيام بغير ذاته.

مسألة (١٢٩)

اعلم أن كل شخص له قوة كن في باطنه، وليس له منها في ظاهره إلاّ الفعل المضاد. وهي لكل أحد في الجنة. وقد تعطى لبعض الناس في ظاهره في الحياة الدنيا. فمن رجال اللّه تعالى من أخذها وفعل بها. ومنهم من لم يفعل بها وهم الأدباء مع اللّه تعالى. وإنما يفعلون بسم اللّه الرحمن الرحيم ليتقوا بها عن مشاركة الشيطان لهم في أفعالهم. ويسلبون دعوى مشاركة الأسباب للحق تعالى في أفعاله.

واللّه أعلم.

مسألة (١٣٠)[*]

في معرفة آبائنا العلويات، وأمهاتنا السفليات.

اعلم أن كل مؤثر أب، وكل مؤثر فيه أم، والمتولد بينهما ابن. فالأرواح كلها آباء،

---

(١) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ٤٤، مكية.

(*) حتى هذه المسألة (١٣٠) انتظام في أعداد وأرقام المسائل في النسخة (س). لكن الترتيب يضطرب فيها بعد ذلك. وهذا بالإضافة إلى عدم اكتمال النسخة (س) والتي تتوقف أو تنتهي عند المسألة رقم (٢٥٥) في كتاب المعرفة وهي في النسخة (س) تنتهي عند رقم (٢٢٣).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والطبيعة أم. وهي التي ظهرت عنها الأركان. وهي النار، والهواء، والماء، والتراب. وبتوجه هذه الأرواح على هذه الأركان ظهرت المولدات التي هي المعادن، والنبات، والحيوان، والجن، والإنسان. فأول الآباء العلويات معلوم. وأول الأمهات[1] السفليات شيئية المعدوم الممكن، وأول نكاح القصد بالأمر. وأول ابن وجود عين تلك الشيئية. وهو أبٌ ساري الأبوة[2]. وتلك أم سارية الأمومة. وذلك نكاح سارٍ في كل شيء، وذلك نتيجة دائمة. لا تنقطع في حق كل ظاهر العين. فهذا عندنا يسمى النكاح الساري في جميع الذراري. ثم أول موجود أبدعه اللّه تعالى العقل الأول. وهو القلم الأعلى، وكان أول مؤثر فيه انبعاث اللوح المحفوظ عنه. كانبعاث حواء[3] عن آدم، عليه السلام، ليكون ذلك اللوح محلاً لكتبة العلم الإلهي فيه. فكان اللوح المحفوظ أول موجود انبعاثي، يخط القلم في اللوح، ما أملى عليه الحق تعالى من علمه في خلقه، الذي يخلق يوم القيامة. فكان بين القلم واللوح نكاح معنوي. وما أودع اللّه تعالى في الأسرار من الأثر. مثال ماء الدافق، وما ظهر من تلك الكتابة من المعاني بمنزلة الأولاد. فخلق اللّه تعالى في اللوح صفة علم، وهي أب، وصفة عمل وهي أم. فظهرت عنها الصور الظاهرة الحية، وهي الأجرام، وما يتصل بها من الأشكال، والألوان، والأكوان، والصور الباطنية المعنوية. وهي ما فيها من العلوم والمعارف.

واللّه أعلم.

مسألة (١٣١)

اعلم أن مشيئة الحق تعالى أحدية واحدية التعلق. وهي نسبة تابعة للعلم. والعلم نسبة تابعة للمعلوم. والمعلوم أنت وأحوالك. وليس للعلم أثر في المعلوم. بل للمعلوم أثر في العالم. وهو أنه يعطيه من نفسه ما هو عليه في عينه.

واللّه أعلم.

مسألة (١٣٢)

متى اشتد الحال على الإنسان وغاب عن حسه. فإن حصل له في تلك الغيبة علم يعقله إذا رجع، ويعبر عنه فهو الحال الإلهي. ويجد القلب عند الإفاقة سروراً. وشرط صحة هذا الحال أن لا يكون معه حركة.

وأمّا الحال الكاذب فهو الذي يعقل صاحب أهل مجلسه ولم يغب عن حسه ويتحرك.

---

(١) في (م): (الأباء).

(٢) في (م): (سار الأبوة).

(٣) في (م): (حوى).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهذا صاحب وسوسة. وحديث نفس سخرية الشيطان. فكل ما يلقى إليه يتخيل أنها علوم، وهي سموم قاتلة، فلا يعول على ما يخاطب به في هذه الحالة فإنها شيطانية. وليس في القوة الشيطان أن يغيبك عن حسك ويلقي إليه وتعقل عنه. واعلم أن مخاطبة الحق تعالى لا تترك إحساساً وليست بالوهم ولا بالتخيل.

فافهم ذلك. والله أعلم.

مسألة (١٣٣)

اعلم أن العبد إذا أثنى على الله، بما يعتقد أنه ثناء، وكان موضوعه ثناءً على الله تعالى، صدّقه الله تعالى عليه، ويقبل منه، وأثابه عليه. سواء علم معنى ذلك أو لم يعلم. ولكن ثناء العالم بمعناه أتم، وثوابه أعظم. مثال ذلك قول العبد: ﴿**الحمد لله ربّ العالمين الرحمن الرحيم**﴾[١] فإنه قد ثبت أن العبد إذا قال في صلاته: الحمد لله رب العالمين. قال الله تعالى حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي[٢].

وقوله تعالى: حمدني عبدي، وأثنى عليّ عبدي تتضمن للتصديق، والثناء، والقبول. وأما الثواب، فأي ثواب أعظم من تصديق الله تعالى وثنائه عليه.

وأمّا إذا أثنى العبد على الله تعالى بوصف يتضمن ضد الكمال فإنه يكفر به. سواء كان يعتقد أنه كمال أو لا يعتقد أنه كمال. مثال ذلك قول اليهود: ﴿**نحن أبناء الله وأحباؤه**﴾[٣].

وقولهم: ﴿**عُزَيْرٌ ابن الله**﴾[٤].

وكذا قول النصارى: ﴿**المسيح ابن الله**﴾[٥].

وأمّا من أثنى على الله تعالى بوصف لا يعلم أنه وصف كمال فقد قال بعض الأئمة:

«إن الله تعالى لا يقبل منه هذا الثناء، ولو كان هذا الوصف يتضمن الثناء ويكون أصدّ[٦] في جملة المنهيين». بقوله تعالى: ﴿**وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**﴾[٧].

---

(١) القرآن الكريم، سورة الفاتحة، الآيتان (٢،٣)، مكية.

(٢) الحديث: ذكر في الموطأ، باب القراءة خلف الإمام حديث رقم (١١٤) عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن. انظر: ص ٥٩، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

(٣) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية ١٨، مدنية.

(٤) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية ٣٠، مدنية. وهي في (م): (العزير).

(٥) ﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ استكمال الآية. رقم (٣٠) من سورة التوبة.

(٦) غير واضحة في (م).

(٧) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ٣٢، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (١٣٤)

الحمد لله الذي لم يزل يعطف الأبد المعقول على الأزل الذي أنطق ألسنة عباده بالأزلية، فتنةً. فثبت بها من ثبت وزلّ بها من زل. يعني أنهم ينعتون بالأزلية وأكثرهم لا يعرفون معناها.

ـ فطائفة من النظار توهموا في لفظة الأزل:

أن نسبتها إلى الله تعالى نسبة الزمان إلينا. فهو في الأزل كما نحن في الزمان. فيقولون: «قد كان الله تعالى متكلماً في الأزل بكلامه الأزلي. وقال لموسى في الأزل: ﴿اخلع نعليك﴾[١] وشبه ذلك».

ـ وطائفة أخرى تخيلت في الأزل أنه مثل الخلاء امتداد معقول. فكما أن الخلاء امتداد في غير جسم، كذلك الأزل امتداد من غير توالي حركات زمان. فكأنه تقدير زمان.

ـ فنقول: هذا الأزل الذي نعتّم الحق تعالى به، لا يخلو إمّا أن يكون وجوداً أو عدماً.

* فإن كان عدماً فقد نعتّم الحق تعالى بالعدم. والعدم نفي محض يتعالى الحق تعالى أن ينعت به.

* وإن كان وجوداً فلا يخلو إما أن يكون نفس الحق تعالى أو غيره.

فإن كان نفس الحق تعالى فقد أخطأتم في الاسمية حيث لم يطلقها الحق تعالى على نفسه.

وإن كانت غيره فلا تخلو: إما أن تكون قائمة بنفسها أو بغيرها. فإن كانت قائمة بنفسها بطلت الوحدانية لله تعالى، ووحدانيته ثابتة لذاتها فلا تبطل.

وإن كانت[٢] قائمة بغيرها فلا يخلو ذلك الغير: إما أن يكون نفس الحق تعالى أم لا.

وإن كان نفس الحق تعالى فهو كعلمه وسائر صفاته.وهي متصفة بالأزلية. فيرجع الأزل منعوتاً بالأزلية ويتسلسل. وإن كان الذي يقوم به الأزل غير نفس الحق تعالى، فقد أثبتم قديماً آخر، وبطل دليل الوحدانية. فبطل وصفكم الحق تعالى بالأزلية. وثبت أنه ما ثم أزل أصلاً.

فوصف الحق تعالى بالأزل موضع مزلة أقدام النظار، وقد عقلها أكثر الناس. وكان

---

(١) وهو ما تضمنته الآية الكريمة: ﴿إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾. آية رقم (١٢) من سورة طه، مكية.

(٢) في (م): (كان).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الواجب عليهم أن لا يطلقوا على الحق تعالى من الألفاظ إلا ما أطلقه الحق تعالى على نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله، (صلى اللّه عليه وسلم).

لأن الأزل مشتق من زل أو زلق ولم يثبت فلكثرة ما تزل أقدام الناظرين فيه، إلا من رحم ربّك فلا يسمى أزلاً.

واللّه أعلم.

مسألة (١٣٥)

اعلم أن الممكنات مفتقرة بالذات، فلا يزال الفقر يصحبها دائماً. وقد وضعت لها الأسباب التي فيها مصالحها فافتقرت إليها. فجعل اللّه تعالى أسماء الأسباب، أسماء اللّه تعالى. حتى لا يفتقر إلاّ إليه. فلا فرق عند أهل الكشف بين الأسماء التي يقال في العرف وفي الشرع أنها أسماء اللّه تعالى. وبين أسماء الأسباب. إنها أيضاً أسماء اللّه تعالى. وقد قال اللّه تعالى: ﴿أنتم الفقراء إلى اللّه﴾[1].

ونحن نرى الواقع الافتقار إلى الأسباب. فلا بد أن تكون أسماء الأسباب أسماء اللّه تعالى. فندعوه بها دعاء الحال لا دعاء المقال. فإذا مسنا الجوع سارعنا إلى الغذاء المزيل لألم الجوع وافتقرنا إليه. وهو مستغن عنا. ولا نفتقر إلاّ إلى اللّه تعالى.

فصورة ذلك الغذاء اسم من أسماء اللّه تعالى النازلة منزلة لفظ الاسم الإلهي، أو صورة رقمه.

واللّه أعلم.

مسألة (١٣٦)

اعلم أن سبب علم اللّه تعالى بسر القدر وصف نفسه بالرضى والغضب. ولها بين النسبتين انقسمت الأسماء الإلهية، إلى الجلالية والجمالية، ومن هذا الانقسام ظهر الداران: الجنة والنار. لأن كل ما يكون من الرضى واللطف فهو الجمال. وكل ما يكون من الغضب والقهر فهو الجلال. فهذا من جهة الذات المقدسة وصفاتها. وأما من جهة الأعيان الثابتة فهي أيضاً منقسمة إلى ما هو مستعد لقبول آثار الرضى واللطف، وإلى ما هو مستعد بقبول آثار الغضب والقهر.

واللّه أعلم.

---

(١) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية ١٥، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (١٣٧)

اعلم أنه يلزم من العلم بأن لا إله إلاّ اللّه، التصديق بأن لا إله إلاّ اللّه. ولا يلزم منه الإقرار بأن لا إله إلاّ اللّه. فإذاً كل من علم بأن لا إله إلاّ اللّه فهو مؤمن، وليس كل من قال لا إله إلاّ اللّه مؤمناً، لاحتمال نفاقه. فبهذا الاعتبار يكون العلم بأن لا إله إلاّ اللّه مجرداً عن القول نافعاً في حكم الآخرة. وقول لا إله إلاّ اللّه مجرداً عن العلم لا نفع له في الآخرة.

واللّه تعالى أعلم.

مسألة (١٣٨)

اعلم أن التنزيه عند أهل الحقائق في الجناب الإلهي، هو عين التحديد والتقييد. فالمنزّه إمّا جاهل، وإما صاحب سوء أدب. لأن غاية معرفة المنزّه أن يسلب عن ربه نقائص الكون. وسلب العبد عن ربه ما لا يجوز عليه راجع إليه. واللّه ما هذه حبالة التنزيه، فالتنزيه راجع إلى تطهير محلك لا إلى ذات الحق تعالى. وهو من جملة منحه لك وهباته. والباري تعالى منزّه عن التنزيه، فكيف عن التشبيه. وكذلك من شبهه وما نزّهه فقد حدّده وقيّده، وما عرفه.

ومن جمع في معرفته بين التنزيه والتشبيه، ووصفه بالوصفين على الإجمال فقد عرفه على الإجمال، لا على التفصيل. كما عرف نفسه مجملاً لا مفصلاً. لأنه يستحيل ذلك على التفصيل لعدم الإحاطة بما في العالم من الصور.

إن من له مقام القطبية فإنه من حيث سريانه في الحقائق بالحق تعالى يطلع على المراتب كلها تفصيلاً، ولكنه من حيث بشريته لا يقدر على ذلك.

واللّه أعلم.

مسألة (١٣٩)

أنت للحق تعالى بمنزلة الجسم لك، والحق تعالى بمنزلة الروح المدبرة لجسمك. واعلم أن الحق تعالى يربي الأعيان الثابتة بأسمائه وصفاته، ويربي الأرواح بالأعيان، ويربي الأجسام بالأرواح. لتكون ربوبيته ظاهرة، في جميع المراتب.

واللّه أعلم.

مسألة (١٤٠)

اعلم أن تعالى الحق «تعالى» عن المكان. وإنما هو بحسب الذات لا بحسب المظاهر.

واللّه أعلم.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (١٤١)

فأنت عبد وأنت رب ... لمن له فيه أنت عبد

أي أنت عبد للاسم الحاكم عليك، الظاهر فيك، الذي يربيك ويدبرك وأنت رب له تربية بقبول أحكامه، وإظهار كمالاته فيك. وذلك أن للّه تعالى اسماً ظاهراً، واسماً باطناً، والربوبية لهما ثابتة.

وكما أن الباطن يربي الظاهر بإظهار أحكام الأسماء الإلهية الغيبية عليه، كذلك الظاهر يربي الباطن بقبولها. فلكل من هذين الاسمين الجامعين ربوبية وعبودية وما ثم من يكون رباً على الإطلاق إلاّ الحضرة الإلهية، من حيث وجوبها وغناها عن العالمين.

وَأَنْتَ رَبٌّ وَأَنْتَ عَبْدُ ... لِمَنْ لَهُ فِيهِ أَنْتَ رَبُّ

أي أنت رب باعتبار الهوية الظاهرة فيك. وأنت عبد باعتبار تعينك وتقيدك. وقوله ليس له في الخطاب عهد أي أنت عبد للرب الذي عهد إليك بقوله: ﴿ألست بربكم﴾. واللّه أعلم.

يا عبادي كلكم عاجز قاصر، صامت، حائر، لا يملك فتيلاً ولا نقيراً ولا قطميراً، ولو سلطت عليكم أدنى حشرات المخلوقات، أو أضعف جندي، لأهلكتكم وتبرتكم ودمرتكم. فكيف تدعون أنكم أنا وأنا أنتم، ادعيتم المحال وعشتم في ضلال. تفرقتم أحزاباً، وصرتم أشتاتاً كل حزب بما لديهم فرحون. والحق وراء ذلك كله.

لِلّهِ تَعْذِيبُ المطيع وَلَوْ جَرَى ... مَا كَانَ مِنْ إِثْمٍ وَمِنْ عُدْوَانِ
مُتَصَرِّفٌ فِي مُلْكِهِ فَلَهُ الَّذِي ... يَخْتَارُ لَكِنْ جَادَ بالإحْسَانِ
فَنَفَى العِقَابَ وَقَالَ سَوفَ[1] أُثِيبُهُمْ ... فَلَهُ بِذَاكَ عَلَيْهِمُ فَضْلاَنِ

مسألة (١٤٢)

اعلم أن الحضرة الأحدية اعتبارها بنفي الكثرة عن عينها لكنها معقولة فيها كمالاتها. وأمّا الحضرة الواحدية ففيها تظهر الكثرة الاسمائية كالحي، والعالم، وباقي الأسماء.

والكثرة الصفاتية كالحياة والعلم وباقيها.

والكثرة النسبية كالربوبية والمالكية والإلهية.

والكثرة الإضافية كالخالقية والرازقية ونحوهما.

---

(١) في (م): (سيف).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي باقي الحضرات الكونية تتداخل الأسماء بعضها في بعض، فيصير اسم الرب اسماً للعبد، حكماً لا حقيقة. ويصير اسم العبد اسماً للرب، حكماً لا حقيقة. ويصير فيه المسخَّر مسخراً لمسخِّره. ويصير وجود الحق مرآة لعبده يرى فيها نفسه وغيرها. وتصير ذات العبد مرآة له يرى فيها مثال أسمائه تعالى، وكذلك أحكامها، وتصير ذاته أيضاً مرآة لربه تعالى يرى فيها ظهور أحكام أسمائه، ومثالها.

والله أعلم.

مسألة (١٤٣)

اعلم أنه لا يخلو تنزيه عن تشبيه، ولا تشبيه عن تنزيه. وذلك لأن كل ما ننزهه عنه تعالى من صفات الخلق فهو ثابت له. عند ظهوره في المراتب الكونية، وهو التشبيه. وكلما شبهته به، وأثبت له من الكمال كالحياة والعلم، وباقي الصفات فهو منفي عنه في مرتبة أحديته وهو التنزيه.

قال تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[1] فنزّه وشبّه.

ـ أما تنزيهه فظاهر لأنه نفى المماثلة على تقدير زيادة الكاف، وعلى عدم زيادتها أيضاً يلزم المط. لأن نفي المماثلة عن المثل يوجب نفي المماثلة عن نفسه بطريق الأولى.

ـ وأما تشبيهه، فإنه أثبت له مثلاً، ونفى المماثلة عنه، وإثبات المثل تشبيه، وليس ذلك المثل إلاّ الإنسان المخلوق على صورته المتصف بكمالاته إلاّ الوجوب الذاتي الفارق بينه وبينه تعالى. وقال تعالى: ﴿**وهو السميع البصير**﴾[2].

فشبّه لأنه أثبت له ما هو ثابت لغيره. ونزّه أيضاً، في هذا القول لأن تقديم الضمير يوجب حصر السمع والبصر فيه. فنزّه[3] عن المشاركة عن الغير فيهما. وهذه أعظم آية تنزيه نزلت. ومع ذلك لم تخل عن تشبيه بالكاف.

والله أعلم.

مسألة (١٤٤)

اعلم أن المعلومات أربع: أحدها: الحق تعالى. وهو الموصوف بالوجود المطلق، لأنه سبحانه ليس معلولاً لشيء، ولا علة لشيء. بل هو موجود بذاته. والعلم به عبارة عن العلم

---

(١) القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية ١١، مكية.

(٢) استكمال الآية السابقة.

(٣) في (م): (فتر).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بوجوده. ووجوده ليس غير ذاته مع أنه غير معلوم الذات. لكن يعلم ما ينسب إليه من صفات المعاني. وهي صفات الكمال.

وأما العلم بحقيقة الذات فممنوع لا يعلم بدليل شرعي ولا برهان عقلي ولا يؤخذ بأخذ، فإنه سبحانه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء فكيف يعرف. فمعرفتك به إنما هو: ﴿ليس كمثله شيء﴾(١).

والله أعلم.

مسألة (١٤٥)

فإن قيل: ما الفائدة في قول الله تعالى: ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾(٢).

قلنا: لو حرف امتناع. فما شاء إلاّ ما هو الممكن عليه في حال ثبوت عينه. ولكن عين الممكن قابلة للشيء، وضده في حكم دليل العقل. وأي الحكمين وقع فهو الذي كان الممكن عليه، في حال ثبوت عينه.

وهدى بمعنى بَيَّنَ. وما كل إنسان نور الله بصيرته حتى رأى الممكن على ما هو عليه في حال ثبوت عينه. فما هداهم أجمعين فما بيّن لهم أجمعين.

والله أعلم.

مسألة (١٤٦)

اعلم أن الأعيان الثابتة لا توصف بأنها مجعولة ما لم توجد في الخارج، لأنها حينئذٍ معدومة في الخارج. كما أن الصور العلمية والخيالية التي في أذهاننا لا توصف بأنها مجعولة ما لم توجد في الخارج. إذ لو كانت مجعولة لكانت الممتنعات مجعولة. لأن لها صوراً علمية في أذهاننا.

والله أعلم.

مسألة (١٤٧)

اعلم أن الحق تعالى هو الظاهر الذي لا أظهر منه. وهو الباطن الذي لا أبطن منه. ومع شدّة ظهوره أعقب الخفاء. وظهوره سبب بطونه، ونوره هو حجاب نوره. لأن الشيء إذا تجاوز حدّه انعكس على ضده.

والله أعلم.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية ١١، مكية.
(٢) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ١٤٩، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (١٤٨)

اعلم أن اللّه تعالى ما أوجد شيئاً إلاّ وأوجد له مثلاً، وضداً، وخلافاً. فمثال المثلين البياضان. ومثال الضدين السواد والبياض. ومثال الخلافين اللون والرائحة والطعم في محل واحد.

وما ذكرت لك هذه المسألة إلاّ لتعرف منزلتك عند اللّه تعالى. فالإنسان الكامل مع الحق تعالى، مثلٌ، ضدٌ، خلافٌ.

مثل: من حيث الوجود. ضدّ: من حيث إنه يوصف بأنه ربٌ حكماً، لا يوصف بأنه عبد. خلاف: من حيث إنه وصف نفسه بأنه سمع العبد وبصره فجمع بينه وبينه في عين واحدة.

واللّه أعلم.

مسألة (١٤٩)

اعلم أن غاية الكرم هو أن اللّه تعالى كلّفك وقام عنك بما به كلفك، وأضافه إليك، وأثنى عليك. ورتّب عليه من الثواب ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فاشكره على نعمه.

واللّه أعلم.

مسألة (١٥٠)

اعلم أن العلم الحامل على التوكل ثلاثة:

الأول: هو أن تعلم أن اللّه تعالى موصوف بغاية العلم بما ينفعك وما يضرك.

العلم الثاني: هو أن تعلم أن اللّه تعالى موصوف بغاية القدرة على جلب ما ينفعك، ودفع ما يضرك.

العلم الثالث: هو أن تعلم أن اللّه تعالى موصوف بغاية الرأفة والرحمة بك.

واللّه أعلم.

مسألة (١٥١)

اعلم أن معاني أسماء اللّه تعالى تندرج تحت أربع كلمات. وهي: سبحان اللّه، والحمد للّه، ولا إله إلاّ اللّه، واللّه أكبر.

فسبحان اللّه: معناها سلب العيب والنقص عن ذات اللّه وصفاته، وأفعاله. فكل ما كان

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من أسماء اللّه تعالى في معناه سلباً فهو مندرج تحت هذه الكلمة. كالقدوس، والسلام. ونظائرهما.

والحمد للّه: معناها إثبات كل كمال لذات اللّه تعالى وصفاته، وأفعاله. فكل ما كان من أسماء اللّه تعالى معناه إثبات كمال فهو مندرج تحت هذه الكلمة. كالحي، والعالم، والقادر، ونظائرها.

فنفينا بسبحان اللّه كل عيب عقلناه، وأثبتنا بالحمد للّه كل كمال أدركناه، وفوق ما نفيناه وأثبتناه كمال قد غاب عنا وجهلناه فنحققه بالإجمال بقولنا: اللّه أكبر.

أي: أجل وأعظم مما نفيناه، وأثبتناه. فكل ما كان من أسماء اللّه تعالى متضمناً لكمال لا يدرك ولا يعقل فهو مندرج تحت هذه الكلمة. كذي الجلال والإكرام.

فإذا كان في الوجود من هذا شأنه نفينا أن يكون في الموجودين من يشاكله أو يناظره فنحققه بالإجمال بقولنا «لا إله إلاّ اللّه».

فالألوهية ترجع إلى استحقاق العبودية. ولا يستحق العبودية إلاّ من اتصف بما ذكرناه. واللّه أعلم.

مسألة (١٥٢)

عالم الجبروت هو عالم الأسماء والصفات الإلهية. وعالم الأمر وعالم الملكوت وعالم الغيب هو عالم الأرواح والروحانيات لأنها وجدت بأمر الحق تعالى بلا واسطة مادة ومدّة.

وعالم الملك، وعالم الخلق، وعالم الشهادة، هو: عالم الأجسام.

واللّه أعلم.

مسألة (١٥٣)

اعلم أن دوام شهود الافتقار، والالتجاء إلى اللّه تعالى أصل كل خير، ومفتاح كل علم رقيق في طريق القوم. بحيث لا تستبد بحركة ولا كلمة دون الافتقار إلى اللّه تعالى فيها. وكل كلمة وحركة خلت عن مراجعة اللّه تعالى، والافتقار إليه فيها لا تعقب خيراً قطعاً. علمنا ذلك وتحققناه.

قال «سهل»[1] رحمة اللّه تعالى عليه: «من انتقل من نَفَس إلى نَفَسٍ من غير ذكر اللّه

(٣) هو: **سهل بن عبد اللّه التستري** من قرية «تُسْتَر»، وهو أحد أئمة الصوفية المعروفين ومن كبار المحققين، كان صاحب كرامات مشهورة. لقي ذا النون المصري بمكة سنة خروجه إلى الحج. توفي سنة ٢٨٣هـ. انظر: **الرسالة القشيرية**، ص ١٥.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى فقد ضيّع حاله، وأدنى ما يدخل على من ضيّع حاله دخوله فيما لا يعنيه».

والله أعلم.

مسألة (١٥٤)

قال الله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾[١].

وهذه الرحمة امتنانية. وهي داخلة في قوله: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾[٢].

فمنتهى علمه تعالى منتهى رحمته، فيمن يقبل الرحمة. وكل ما سوى الله تعالى قابل رحمة الله تعالى بلا شك. ورحمته غير متناهية، ومنها صدرت الممكنات، ومنها صدر الغضب الإلهي.

وكل ما صدر عنها لم يرجع إليها. لأنه صدر عنها صدور فراق فتكون الرحمة خالصة محضة. ولذلك تسابقا. فما تسابقا إلاّ على تمييز، وافتراق.

والله أعلم.

وَلَـوْلا غِـيـرةُ الـرَّحْـمَـنِ فِـينَا ... لمَا ثَـبـتَ الأمَـانُ لِـكُـلِّ عَـارِفِ

وَلَـكِـنِّـي سَـتَـرْتُ لِـكَـوْنِ رَبِّـي ... يُـرِيـدُ السَّـتْـرَ عـن غَـيْـرِ المُكَـاشِـفِ

مسألة (١٥٥)

اعلم أن الله تعالى ما يقبض أحداً من المحتضرين إلاّ وهو مؤمن، أي مصدق بما جاءت به الأخبار الإلهية لأنه معاين ما أخبرت به الأنبياء. ولهذا يكره موت الفجأة، وقتل الغفلة.

فحدُّ موت الفجأة: هو أن يخرج النفس الداخل، ولا يدخل النفس الخارج.

وقتل الغفلة: هو أن يضرب عنق الشخص من ورائه وهو لا يشعر فيقبض على ما كان عليه وهو لا يشعر.

أمّا المحتضر: فلا يكون إلاّ صاحب شهود. فهو صاحب إيمان بما تم فلا يقبض إلاّ على ما كان عليه.

والله أعلم.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ١٠٧، مكية.

(٢) القرآن الكريم، سورة غافر، الآية ٧، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (١٥٦)

في علم المسابقة التي بين الحق[١] تعالى، وبين عباده. وهو علم شريف فيه من الرحمة الإلهية ما لا يصفها وصف واصف. وذلك أن الإنسان إذا عصى فقد تعرّض للانتقام والبلاء. وأنه جارٍ في شؤم الانتقام بما وقع منه. وأن اللّه تعالى يسابقه في هذه الحلبة من حيث ما هو غفار، ومتجاوز، ورحيم، ورؤوف.

فالعبد يسابق الحق تعالى بمعاصيه إلى الانتقام.

والحق تعالى أسبق. فيسبق إلى الانتقام قبل وصول العبد بالسيئات إليه، فيجوزه اسمه الغفار وأصحابه. فإذا وصل العبد إلى آخر هذه الحلبة وجد الانتقام وقد جاوزه الاسم الغفار، وحال بينه وبين العصاة وهم كانوا يحكمون على أنهم كانوا يصلون إلى الانتقام قبله.

وهو قوله تعالى في العنكبوت: ﴿**أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا**﴾[٢].

أي يسبقوا بسيئاتهم مغفرتي وشمول رحمتي. ﴿**ساء ما يحكمون**﴾[٣].

بل السبق لي برحمتي بهم. فهذا غاية الكرم. وهذا لا يكون إلاّ في الطائفة التي تقول بإنفاذ الوعيد فيمن يموت على غير توبة. فإذا مات العاصي تلقته الرحمة للّه تعالى في المواطن التي[٤] يشاء اللّه تعالى.

واللّه أعلم.

مسألة (١٥٧)

الودود هو الثابت حبه في قلوب عباده. فلا يؤثر فيما سبق لهم من المحبة معاصيهم. لأنها ما نزلت بهم إلاّ بحكم القضاء والقدر السابق. لا للطرد والعبد. فسبقت المحبة معاصيهم.

واللّه أعلم.

مسألة (١٥٨)

اعلم أن العالم كله مستوفي الكشف عما غاب عن الإحساس البشري ما عدا الإنس والجن. فإنهم لا يشهدون ذلك إلاّ في حال خرق العوائد لكرامة يكرّم اللّه تعالى من يشاء منهم. وقد عرفت من هذا الباب أن الحجر والحيوان والنبات غارقة بنبوة سيدنا محمد

---

(١) في (م): (الخلق).

(٢) القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية ٤، مدنية.

(٣) استكمال الآية السابقة.

(٤) في (م): (الذي).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(صلى اللّه عليه وسلم)، بالفطرة. فإذا ظهر ناداهم في ذواتهم باسمه، وإذا حضر بعينه.

وممّا يدلّ على صحة ما قلناه ما أخبر به بعض الأبدال: «إنه لما وصل إلى جبل «قاف» المحيط بالبحر المحيط بالأرض وجد حية محيطة فسلّم عليها. فردّت عليه السلام ثم قالت: كيف حال الشيخ «أبي مدين»[١]؟

فقال لها: وأنّى لك بمعرفة الشيخ «أبي مدين».

فتعجّبت ثم قالت: هل على وجه الأرض أحد لا يحبه! إنه واللّه منذ اتخذه اللّه تعالى ولياً نادى به في ذواتنا، وأنزل محبته إلى الأرض في قلوبنا، فما من حجر ولا مدر، ولا شجر ولا حيوان إلاّ وهو يعرفه، ويحبه».

واللّه أعلم.

مسألة (١٥٩)

قال اللّه تعالى شأنه: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾[٢].

وغضبه شيء. فقد وسعته الرحمة، وحصرته، وحكمت عليه فلا يتصرف إلاّ بحكمها. فترسله إذا شاءت[٣]، وتمسكه إذا شاءت. ولهذا ليس في البسملة شيء من أسماء القهر ظاهر بل هو الرحمن الرحيم، وإن كان يتضمن الاسم «اللّه» القهر من حيث إنه اسم جامع. فكذلك يتضمن الرحمة. فما فيه من أسماء القهر والغلبة والشدّة يقابله بما فيه من الرحمة، والمغفرة، والعفو والصفح، وزناً بوزن. ويبقى لنا الفضل الزائد، وهو قوله تعالى الرحمن الرحيم. فعين الرحمن وعين الرحيم زائدان على ما في الاسم اللّه منه. فزاد في الوزن فرجح. وكان اللّه تعالى عرفنا بما يحكمه في خلقه، وإن الرحمة بما هي باطنة في الاسم الجامع من البسملة هي رحمته بالبواطن، وبما هي ظاهرة في الرحمن الرحيم هي رحمته بالظواهر، فعمت الرجاء للجميع. وما من سورة من القرآن إلاّ والبسملة في أولها. إعلام من اللّه تعالى أن المآل إلى الرحمة.

---

(١) **أبو مدين**: هو من أعيان مشايخ المغرب وشهرته (الشيخ أبو مدين المغربي) واسمه: شعيب. وهذه الرواية التي أوردها ابن عربي يوردها الشعراني في كتابه **الطبقات الكبرى**، ص ١٣٣، بتصرف وقال إن ابن عربي ذكرها في الفتوحات. كان يقول: **«الجمع ما أسقط تفرقك ومَحَى إشارتك، والوصول استغراق أوصافك وتلاشي نعوتك»**. ومن أقواله المأثورة أيضاً: **«للفقر نور ما دمت تستره فإذا أظهرته ذهب نوره»**. انظر ترجمته الهامة في **الطبقات الكبرى**، للشعراني، جـ١، ص ١٣٣.

(٢) **القرآن الكريم**، سورة الأعراف، الآية ١٥٦، مكية.

(٣) أي الرحمة.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإن اللّه تعالى جعلها ثلاثاً: الرحمة الباطنة في الاسم اللّه، والظاهرة في الرحمن، وفي الرحيم، ولم يجعل القهر سوى البطون في الاسم اللّه. فلا عين له موجودة.

واللّه أعلم.

مسألة (١٦٠)

اعلم أن: ﴿من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدّل اللّه سيئاتهم حسنات﴾[١].

ومعنى ذلك: أن يريه عين ما كان يراه سيئة حسنة. وقد كان حسنها غائباً عنه بحكم الشرع. فلما وصل إلى موضع ارتفاع الأحكام[٢] المشروعة، وهي الدار الآخرة، أي عند كشف الغطاء رأى حسن ما في الأعمال كلها. لأنه ينكشف له أن العامل هو اللّه تعالى لا غيره فهي أعماله تعالى. وأعماله كلها كاملة الحسن لا نقص فيها ولا قبح. فإن السوء والقبح الذي كان ينسب إليها إنما كان ذلك حكم اللّه تعالى فيها، لا أعيانها، فكل من كشف الغطاء عن بصره وبصيرته متى كان رأى ما ذكرناه. ويختلف زمان الكشف.

فمن الناس من يرى ذلك في الدنيا. وهم الذين يقولون أفعال اللّه كلها حسنة. ولا فاعل إلاّ اللّه تعالى. وليس للعبد فعل إلاّ الكسب المضاف إليه. وهو عبارة عمّا له ذلك العمل من الاختيار. وأما القدرة الحادثة فلا أثر لها عندهم في شيء. فإنها لا تتعدى محلها.

وأمّا أهل اللّه تعالى فإنهم لا يرون أن ثَمَّ قدرة حادثة يكون عنها فعل في شيء. وإنما وقع التكليف والخطاب من اسم إلهي في محل عبد فانٍ. فسمى ذلك العبد مكلفاً. وذلك الخطاب تكليفاً. إذ لا يحمل عطاياه إلاّ مطاياه.

ومنهم من يكون له الكشف عند الموت، وفي يوم القيامة وبعد نفوذ الحكم بالعقاب فيكشف له نسبة تلك الأعمال إلى اللّه تعالى.

واللّه أعلم.

مسألة (١٦١)

اعلم أن من جمع بين التصديق، والإقرار، والعمل، فهو مؤمن إجماعاً. فلو صدق بقلبه بكل ما جاءت به الرسل، وعلم بوجوب النطق بالشهادتين فلم ينطق بهما مع القدرة على النطق بها فهذا مؤمن في حكم الآخرة. على الأظهر عند الإمام الغزالي.

---

(١) معنى الآية رقم (٧٠) من سورة الفرقان، ونصُّها: ﴿إلاّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدّل اللّه سيئاتهم حسنات﴾.

(٢) في (م): (أحكام).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لقول رسول اللّه، (صلى اللّه عليه وسلم): (**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان**)[1].

قال الإمام[2]: «ولا يبعد الإيمان بالسكوت عن النطق الواجب».

واللّه أعلم.

مسألة (١٦٢)

اعلم أن سيدنا محمد، (صلى اللّه عليه وسلم)، قد أخبرنا بأن الحق تعالى يتجلى في جنة عدن ورداء الكبرياء على وجهه. أي على ذاته. فحال الحجاب بينه وبين الرائين فلم تصل الرؤية إليه فصدق قوله تعالى: ﴿**لن تراني**﴾[3] وصدقت «المعتزلة»[4] فما وصلت الأعين إلاّ إلى الرداء. وهو الكبرياء على ذاته. ونحن عين الكبرياء على ذاته. فما تعلّقت الرؤية إلاّ بنا فقط.

فنحن لا نراه من حيث هو قط. وما نرى قط سوانا. فلا يزال رداء الكبرياء على ذاته في الدنيا والآخرة. لأننا ما نزال. ولما كنا عين كبرياء الحق تعالى على ذاته، والحجاب يشهد المحجوب. وللرداء ظاهر وباطن، فيراه الرداء بباطنه فيصدق: «ترون ربكم». ويصدق مثبت الرؤية. ولا يراه ظاهر الرداء، فيصدق قوله: «لن تراني». وتصدق المعتزلة.

والرداء عين واحدة.

واللّه أعلم.

مسألة (١٦٣)

اعلم أن من وصف نفسه بأمر توجه عين الاختيار. وقد أخبر اللّه تعالى عن نفسه بأنه يغفر الذنوب جميعاً. والإيمان يقطع بصدق هذا القول. ولكن لا يظهر حكمه مشاهدة عين إلاّ بالمذنبين. فكأنه تعالى يقول[5] اعصوني حتى تعرفوا ذوقاً صدق قولي بأني أغفر الذنوب جميعاً.

---

(١) حديث: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرّة من الإيمان**». ذكره صاحب اللؤلؤ والمرجان، باب إثبات الشفاعة رقم ٨٠ والحديث رقم (١١٦) عن أبي سعيد الخدري. وقال صاحب اللؤلؤ والمرجان: أخرجه **البخاري في** كتاب **الإيمان** باب **تفاضل أهل الإيمان في الأعمال**. انظر: **اللؤلؤ والمرجان**، ط دار الحديث ١٩٨٦.

(٢) هو الإمام الغزالي سبقت الإشارة إليه.

(٣) **القرآن الكريم**، سورة الأعراف، الآية ١٤٣، مكية.

(٤) المعتزلة: سبقت الإشارة إليها.

(٥) في (م): (لا يقول).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإذا كان أمير المؤمنين «المأمون» قال: «لو علم الناس حبي في العفو لتقربوا إليّ بالجرائم». وهو مخلوق. فما ظنك بالكريم المطلق الكرم، فلا يختبر الحق تعالى إلاّ بإتيان الذنوب. وثم قوم يغفر اللّه لهم من غير توبة. وثم قوم يعطيهم التوبة.

والتوبة قد جعلها اللّه تعالى تتضمن المغفرة. فكأنها للتائب بشرى معجلة في الدنيا. فأدخل اللّه تعالى نفسه في الدعوى ليمشي حكمها في الخلق. ثم طلب بالابتلاء صدق دعواهم ليتبين لهم صدق دعواه سبحانه وتعالى.

فإذا ادّعيت فلتكن دعواك بالحق وانتظر الابتلاء، وإن لم تدع فهو أولى بك.

واللّه أعلم.

مسألة (١٦٤)

اعلم أن الأشياء المسماة مخالفات ومعاص لم يوجدها اللّه تعالى من العدم إلى الوجود إلاّ برحمته. فهي مخلوقة من الرحمة. وكان المحل الذي قامت سبباً لوجودها. لأنها لا تقوم بنفسها، وإنما تقوم بنفس المخالف. وقد علمت أنها مخلوقة من الرحمة، ومسبحة بحمد خالقها للمحل الذي قامت به حتى ظهر وجود عينها، لعلمها بأنها لا تقوم بنفسها.

واللّه أعلم.

مسألة (١٦٥)

اعلم أن حقيقة الوجود واحدة، لا تعدد فيها ولا تكثر. وتتعدد وتتكثر بحسب التعينات والتجليات. فتتكثر وتصير أرواحاً وأجساماً ومعانٍ، وروحانية، وأعراضاً جسمانية.

والأرواح منها كلية ومنها جزئية.

فأرواح الأنبياء، (صلى اللّه عليهم وسلم)، كلية تشمل كل روح منها على أرواح يدخل حكمه ويصير من أمته. كما أن الأسماء الجزئية داخلة في الأسماء الكلية. وإذا كان الأمر كذلك يجوز أن تتحد بعض الأرواح ببعض بحيث لا يكون بينهما امتياز. كاتحاد قطرات الأمطار، وأنوار الكواكب مع نور الشمس بالنهار.

واللّه أعلم.

مسألة (١٦٦)

اعلم أن الوحي خبر إلهي على يد ملك يختص به الأنبياء والرسل. والإلهام أيضاً خبر إلهي على يد ملك تشترك فيه الأنبياء والرسل ومَن دونهم.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالرسول والنبي يشهد الملك ويراه رؤية بصر عندما يوحي إليه وغيرهما يحس بأثره، ولا يراه رؤية بصر. وقد يكون الإلهام من الوجه الخاص بلا واسطة ملك. وهذا يجمع فيه الرسول والولي. وهذا أجل الإلقاء وأشرفه. فأصابع الرحمن تعالى للوجه الخاص. ويد الملك للوجه المشترك. والإلهام أكثره بلا واسطة، فمن عرف عرف كيف يأخذه، ومحله النفس.

قال اللّه تعالى:

﴿فألهمها﴾. فهو الملهم لا غيره.

﴿فجورها﴾. لتعلمه لا لتعمل به.

﴿وتقواها﴾[1]. لتعلمه وتعمل به.

لأن العبد مأمور بالتقوى منهي عن الفجور. لأن اللّه تعالى كما لم يأمر بالفحشاء، لم يلهم العبد بالفحشاء. فمن أراد السعادة فلا يضع ميزان الشرع من يده نفساً واحداً.

واللّه أعلم.

مسألة (١٦٧)

اعلم أن سر القدر هو ما علمه اللّه تعالى من كل عين في الأزل من أحوالها التي تظهر عليها عند وجودها. فلا يحكم بشيء إلاّ بما علمه من عينه في حال ثبوته.

واللّه أعلم.

مسألة (١٦٨)

العالم صورة الحق تعالى. والحق تعالى هوية العالم وروحه. وهذه التعينات في الوجود الواحد أحكام اسمه الظاهر، الذي هو مجلي اسمه الباطن.

واللّه أعلم.

مسألة (١٦٩)

الشؤون الأفعال، والشؤون الذاتية اعتبار الأعيان والحقائق في الذات الأحدية كالشجرة مثلاً، وأغصانها، وأوراقها، وثمارها في النواة. وهي التي تظهر في الحضرة الواحدية وتنفصل في العلم.

واللّه أعلم.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الشمس، الآية ٨، مكية. ونصّها: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (١٧٠)

انتشرت الرحمة من عين الجود، فظهرت الأعيان في الوجود عن الكلمة الفهوانية التي هي كلمة «كن» التي هي كلمة الحضرة، ولولاها ما انقاد الممكن للخروج. لكن الحب أفرجه وأبرز عينه. فلما برز طلب رؤية المحبوب الذي له خرج فلم يجد لذلك سبيلاً. وقام دون حجاب العزة فلم يرَ سوى نفسه فاغتم وقال: من مشاهدة كوني هربت، وإياه طلبت. فإن ظهوري لي في عيني غيبتي عن مشاهدتي له في علمه حيث لم أظهر بعيني، فإذا ولّى تجلّى فرجوعي إلى العدم ومشاهدتي له من حيث وجودي في علمه أولى من مشاهدة كوني. فذلك وطني حيث أحدية العين وعدم الكون.

وَلَمَّا بَدَا الكَوْنُ الغَرِيبُ لِنَاظِرِي حَنَنْتُ إِلَى الأَوْطَانِ حَنَّ الرَّكَائِبِ

مسألة (١٧١)

النبوة: هي الإخبار عن الحقائق الإلهية. أي عن معرفة ذات الحق تعالى، وأسمائه وصفاته وهي على قسمين: نبوة التعريف. ونبوة التشريع.

فالأول: هي الإنباء عن معرفة الذات والصفات والأسماء.

والثاني: عن جميع ذلك مع تبليغ الأحكام والتأديب بالأخلاق والتعليم بالحكمة والقيام بالسياسة. وتختص هذه بالرسالة.

والله أعلم.

مسألة (١٧٢)

اعلم أن كل من يمشي في العالم فإنه يمشي برسالة حتى الدودة في حركتها هي في رسالة تسعى بها لمن عقل عن الله.

والله أعلم.

مسألة (١٧٣)

اعلم أنك إن ذكرت النعم كنت عبداً لها. وإن ذكرت الله تعالى كنت له. وكنت عبد الله. وإن ذكرت الأمرين كنت عبد المنعم وعبد الله[1].

فأنت حكيم الوقت.

---

(١) انظر كتاب ابن عربي **العبادلة**، ففيه تفصيل هذه المسألة وشرحها شرحاً وافياً. طبعة مكتبة القاهرة، بدون تاريخ. تحقيق عبد القادر عطا.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (١٧٤)

فإن قيل: ما الفرق بين حال سيدنا رسول اللّه، (صلى اللّه عليه وسلم)، والملائكة، وبين حال سيدنا موسى (عليه السلام).

فإن الملائكة قد ورد الخبر بأنهم إذا سمعوا كلام اللّه تعالى غابوا عن حسّهم، وكذا سيدنا رسول اللّه، (صلى اللّه عليه وسلم)، إذا نزل عليه جبريل، (عليه السلام)، بالوحي يغيب عن حسه. وهو بمعنى الصعق.

وأمّا سيدنا موسى، (عليه السلام)، فقد أخبر اللّه تعالى أنه قد وقعت المكالمة بينه وبينه مع ارتفاع الوسائط. وهذا المقام أعظم من مقام الوحي بارتفاع الواسطة. ومع هذا لم يصعق ولم يغب عن حسه. فيقال: الفرق بين المقامين:

هو أن خطاب اللّه تعالى لموسى، (عليه السلام)، خطاب مقيد بجهة مسموع بأذن. وليس لهذا الكلام الإلهي توجه على قلبه، وليس لقلبه هنا إلاّ ما يتلقاه من جهة سمعه حسياً. وإنما يتلقاه بواسطة سمعه حسب ما جرت به العادة. ولم يتعد الحال حكمه في موسى، (عليه السلام).

وأما أمر سيدنا رسول اللّه، (صلى اللّه عليه وسلم)، وأمر الملائكة فهو إنما كان توجه الكلام الإلهي على قلوبهم. فلما اشتغلت قلوبهم بتلقيه وتفهمه، غابوا عن إحساسهم لهيبة الخطاب.

واللّه أعلم.

مسألة (١٧٥)

اعلم أنه لو لم يسبق في علم اللّه تعالى أنه سيقع ادعاء شريك في مرتبة الألوهية في العالم السفلي لاستحال وقوع ادعائها لغير اللّه تعالى. ومن المعلوم أنه وقع ادعائها لغير اللّه تعالى ممن لا خلاق له من بعض الآدميين دون بعضهم. فلو لم يقع ادعاؤها لغير مستحقها في العالم السفلي، وكانوا كلهم عارفين بوحدانية الحق تعالى بكل اعتبار لما احتاجوا في توحيدهم للّه تعالى إلى داعٍ يدعوهم إلى نفي شريك له تعالى في شيء من كمالاته. لأنه منتفٍ عند جميعهم في نفس الأمر. ولكن لما وقع ادعاء شريك له في مرتبة الإلهية التي هي من مقتضيات[1] ذاته تعالى دون غيره احتاج الموحدون في تمييزهم عن المشركين إلى كلمة تتضمن نفي الإلهية عن غير مستحقها.

---

(١) في (م): (من مقتضياته).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فلأجل ذلك أرسلت الرسل يدعون الناس إلى الإقرار بأن لا إله إلا اللّه. ولذلك قال رسول اللّه، (صلى اللّه عليه وسلم): **(أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ اللّه وأن محمداً رسول اللّه. فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم)**[٢] الحديث.

وهذا بخلاف الملأ الأعلى فإنهم لما أوجدهم الحق تعالى على نمط واحد في العلم لتفرده تعالى بجميع كمالات ذاته، لم يحتاجوا إلى داعٍ يدعوهم إلى نفي الإلهية عن غيره تعالى. لأنه لم يقع في عالمهم بوجه شريكاً للّه تعالى في كمالات ذاته المقدسة. فافهم.

مسألة (١٧٦)

اعلم أن للّه تعالى ملائكة مهيمون في نور جلاله وجماله، في لذة دائمة ومشاهدة لازمة لا يعرفون أن اللّه تعالى خلق غيرهم. ما التفتوا قط إلى ذواتهم.

وللّه قوم من بني آدم هم الأفراد الخارجون عن حكم القطب لا يعرفون، ولا يُعرفون. قد طمس اللّه عيونهم فهم لا يبصرون حجبهم عن غيب الأكوان حتى لا يعرف الواحد منهم ما ألقي في جيبه. فأحرى أن لا يعرف ما ألقي في جيب غيره. يكاد لا يفرق بين المحسوسات وهي بين يديه جهلاً بها لا غفلة عنها، ولا نسياناً. وذلك لما حققهم به سبحانه من حقائق الوصال واصطنعهم لنفسه. فما لهم معرفة بغيره. فعلمهم به ووجدهم فيه، وحركتهم منه، وشوقهم إليه، ونزولهم عليه، وجلوسهم بين يديه، لا يعرفون غيره.

قال صلى اللّه عليه وسلم، سيد هذا المقام: **(أنتم أعلم بمصالح دنياكم)**[١].

مسألة (١٧٧)

أوصيك بالعلم والتحفظ من لذات الأحوال. فإنهم سموم قاتلة وحجب مانعة. فإن العلم يستعبدك له، وهو المطلوب منها. ويحضرك معه. والحال يسودك على أبناء الجنس فيستعبدهم لك. فهو الحال. فتتسلط عليهم بنعوت الربوبية. وأين أنت في ذلك الوقت مما له خلقت، والعلم أشرف فاحذر أن يفوتك.

واللّه أعلم.

---

(١) حديث: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ اللّه وأن محمداً رسول اللّه. فإن قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم»**. ذكره محمد فؤاد عبد الباقي في **اللؤلؤ والمرجان**، فيما اتفق عليه الشيخان. حديث رقم (١٣)، باب ٨، ص ٥، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلاّ اللّه.

(٢) **«وأنتم أعلم بمصالح دنياكم»**. انظر **تاريخ ابن خلدون** ج١ ص٤٩٤ ط. دار إحياء التراث العربي (بيروت).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (١٧٨)

يا طالباً معرفة توحيد خالقه كيف لك بذلك، وأنت في المرتبة الثانية من الوجود. وأنى للاثنين بمعرفة بوجودها. وإن عدمت فيبقى الواحد يعرف نفسه. فكيف لك بمعرفة التوحيد. وأنت ما صدرت من الواحد من حيث وحدانيته. وإنما صدرت عنه من حيث نسبة ما. ومن كان أصل وجوده على هذا النمط من حيث هو، ومن حيث موجده فأنى له بذوق التوحيد.

والله أعلم.

مسألة (١٧٩)

للتوحيد لجّة وساحل.

فالساحل ينقال: واللجّة لا تنقال. والساحل يعلم واللجّة تذاق. وقفت على ساحلها ورميت بثوبي وتوسطتها فاختلفت على الأمواج بالتقابل فمنعتني من السباحة فبقيت واقفاً بها لا بنفسي فرأيت «الجنيد»[1] فعانقته وقبّلته. فرحب بي، و«سهلٌ»[2] فقلت: متى عهدك بك.

فقال لي: منذ توسطت هذه اللجة نسيتني فنسيت الأمد. فعانقني، وعانقته. وغرقنا فمتنا موتة الأبد. فلا نرجو حياة ولا نشوراً.

مسألة (١٨٠)

اعلم أن كمال التوفيق هو استصحابه للعبد في جميع أحواله من اعتقاداته، وخواطره، وأسراره، ومكاشفاته، ومشاهدته، وأفعاله كلها. إلا أن يتجزأ أو يتبعض. فإذا كمل التوفيق للعبد على ما ذكرناه فهو المعبر عنه بالعصمة، والحفظ الإلهي.

والله أعلم

مسألة (١٨١)

اعلم أن التوفيق هو الباعث المحرك لطلب الاستقامة، والهادي إلى طريق السلامة. ما اتصف به عبدٌ إلاّ اهتدى، ولا فقده شخص إلاّ تردّى وأردى. فمبدؤه يعطيك الإسلام، وتوسطه يعطيك الإيمان، وغايته تعطيك الإحسان.

والله أعلم.

---

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) سبقت الإشارة إليه.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (١٨٢)

أول مقامات التوفيق الاختصاصي اشتغالك المشروع الذي يدلك لشارع إلى الاشتغال بتحصيله. وآخرها حيث يقف بك، فإن تمت لك المقامات حصلت في التوحيد الموحد نفسه بنفسه، الذي لا يصح معه معقول. وإن بغضت لك الحضرات الجودية واللطائف الوجودية، فلا حياة مع الجهل ولا مقام وعلى الدنيا السلام.

مسألة (١٨٣)

إن لم تجر أفعالك على مراد غيرك، لم يصح لك الانتقال عن هواك، ولو جاهدت نفسك عمرك بما ترتبه عليها، وإن صعب ولم تزل عن هواها فإنها المرتبة على نفسها، وإن فتح لها في لطائف المكاشفة وضروب المشاهدة فلم تزل بذلك عن دعوتها التي لا يمكن خروجها منها إلاّ بانقياد إلى طاعة نفس أخرى مثلها، وتصرفها تحت أمرها ونهيها. وذلك لكثافة حجابها وعظم إشراكها. ولذلك قال المحققون: «كل عمل لا يكون على أثر فهو هوى النفس».

فآخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة. وقال الحق تعالى «لأبي يزيد البسطامي»[(١)] في بعض مشاهدة معه: «تقرب إليّ بما ليس لي: الذلة، والافتقار». وهذا[(٢)] إشارة إلى إزالة الرياسة. فاسع يا بني في طلب شيخ يرشدك، ويعصم خواطرك حتى تكمل.

واللّه أعلم.

مسألة (١٨٤)

ينبغي للعبد أن يعتقد أن أعماله لم توصله إلى نيل المقامات. وإنما أوصله إلى ذلك رحمة اللّه تعالى به، الذي أعطاه التوفيق للعمل والقدرة عليه والثواب. كما قال صلى اللّه عليه وسلم: **(لا يدخل أحد الجنة بعمله. قيل له: ولا أنت يا رسول اللّه. قال: ولا أنا إن لم يتغمدني اللّه برحمته)**[(٣)].

واللّه أعلم.

---

(١) أبو زيد البسطامي: هو: أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، له من المؤلفات والكرامات ما سجلته كتب الصوفية جميعاً وأقواله سبقته إلى الشهرة. وكان من أبناء الملوك فهجر الأموال والجاه إلى عالم الحقيقة ذائقاً قال: «مددت ليلة رجلي في محراب أبي فهتف بي هاتف: من يجالس الملوك ينبغي له أن يجالسهم بحسن الأدب». توفي سنة ٢٦١هـ. انظر: **الطبقات الكبرى**، للشعراني، جـ١، ص ٦٥.

(٢) أي هذا القول.

(٣) حديث: «لا يدخل أحد الجنة بعمله». انظر: كتاب **اللؤلؤ والمرجان**، جـ٣، ص ٢٨٤، حديث رقم ١٧٩٤ عن عائشة=

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (١٨٥)

اعلم أن الأعضاء المكلفة ثمانية: وهي: العين، والأُذن، واللسان، واليد، والبطن، والفرج، والرجل، والقلب. فعلى كل واحدة من هذه الأعضاء تكليف يخصه من أنواع الأحكام الشرعية.

فالبصر: علامته الغض عن نظر المحرمات، والإطراق وقاية من النظرة الأولى المعفو عنها.

والسمع: علامته ما قال الله تعالى: ﴿**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه**﴾[1].

وسماع العلم، ومواظبة مجالس الذكر والعمل بكل خير يسمعه.

واللسان: علامته قلة الكلام إلاّ فيما يفترض إليه من هداية وتبليغ رشد ودوام الذكر، واسترساله على التلاوة إن كان من أهل القرآن، وصدقه في الحديث، وبطؤه عن الجواب في المسألة إذا سُئِلها. وإذا سأل فلا يسأل إلاّ فيما فيه فائدة سعادته. وأشياء ذلك.

واليد: علامتها أن لا يبطش بها في محرم من لمس امرأة لا تحل له. أو قتل إنسان، أو لطمه، أو سرقة. ولا يمسّه ذكره بيمينه عن البول ولا يستنجي بها، ولا يدخلها في الإناء عند القيام من النوم. أعني في وضوء. وأشباه ذلك.

والبطن: علامتها الورع، والاكتساب، والبحث عن الكسب. وإذا أكل لا يمتلي من الطعام والشراب حذراً من كسر الجوارح عن الطاعة، والإيثار بقوته. فما مليء وعاء شرٌّ من بطن مليئ من حلال.

والفرج: علامته الحفظ من التحرك إلى غير أهله من أحرار وإماء.

والرِّجل: علامتها السعي في قضاء حوائج المسلمين والإخوان، والسعي على العيال، وكثرة الخطى إلى المساجد، والثبوت يوم الزحف. وغير ذلك.

والقلب: علامته الانتباه، واليقظة، والفكر، والهيبة، وترك الحسد، والغل، ودوام الحزن، والتوكل، والتفويض والتسليم، والفرح بمورد القضاء، والمراقبة، والتنزه في العالم وفعل الله تعالى فيه وفيهم.

والله أعلم.

=رضي الله عنها عن النبي (ص) قال: «**سددوا وقاربوا وابشروا، فإنه لا يدخل الجنة أحداً عملُه. قالوا: ولا أنت؟ يا رسول الله! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة**». وللحديث روايات أخرى.

(١) **القرآن الكريم**، سورة الزمر، الآية ١٨، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (١٨٦)

من تلا كتاب اللّه تعالى ولم يمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه ويقف عند حدوده، فلا يتخيل أن يقول له الحق تعالى عند قوله:﴿الحمد للّه رب العالمين﴾ حمدني عبدي. لا واللّه ما يراجع الحق سبحانه بقوله حمدني عبدي، وأثنى عليّ عبدي إلاّ لأهل الحضور. بل أقول من امتثل أوامره، اجتنب نواهيه، ووقف عند حدوده وكان اللسان صامتاً عن التلاوة فإنه حامد للّه تعالى بحاله، شاكر بأفعاله.

ويقول اللّه تعالى: حمدني عبدي.

واعلم أن على اللسان تلاوة، وعلى الجسم بجميع أعضائه تلاوة، وعلى النفس تلاوة، وعلى القلب تلاوة، وعلى الروح تلاوة، وعلى السر تلاوة، وعلى سر السر تلاوة. فتلاوة اللسان: ترتيل القرآن والكتاب على الحد الذي رتّب المكلف له.

وتلاوة الجسم: المعاملات على تفاصيلها في الأعضاء.

وتلاوة النفس: التخلق بالأسماء والصفات.

وتلاوة القلب: الإخلاص والفكر والتدبير.

وتلاوة الروح: التوحيد.

وتلاوة السر: الاتحاد.

وتلاوة سر السر: الأدب. وهو التنزيه الوارد عليه في التلقي منه جلّ وعلا.

فمن قام بين يدي سيده بهذه الأوصاف كلها ونظر إليه جلّ اسمه فلم يرَ منه فرداً إلاّ مستغرقاً فيه على ما يرضاه كان عبداً كلياً، وقال له الحق تعالى إذ ذاك: «حمدني عبدي».

وإذا كانت فيه هذه الأوصاف وتعلقت في البعض غفلة فليس بعبد كلي. ولا يكون فيه من عبودية الاختصاص إلا قدر ما اتصف به. فثمّ عبد يكون للّه تعالى فيه السدس. ولهؤلاء فيه ما بقي. وللّه فيه تعالى الخُمس. ولهؤلاء ما بقي. والربع، والثلث، والنصف. على قدر ما يحضر منه مع الحق تعالى. كما جاء في الصلاة أنه لا يقبل منها إلاّ ما عقل.

واللّه أعلم.

مسألة (١٨٧)

اعلم أن من قال: «إن الروح واحد في أشخاص نوع الإنسان وإن روح زيد هو روح عمرو». ما حقق صورة الأمر فيه.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإنه كما لم تكن صورة جسم آدم، جسم كل شخص من ذريته وإن كان هو الأصل الذي منه ظهرنا، وتولدنا. وكذلك الروح المدبرة لجسم العالم بأسره. كما أنك لو قدرت الأرض مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً. وانتشرت الشمس علينا، وأشرقت بنورها. لم نتميز النور بعضه عن بعضه. ولم نحكم عليه بالتجزيء ولا القسمة. فلما ظهرت البلاد والديار، وبدت عليها هذه الأشخاص القائمة انقسم النور الشمسي وتميز بعضه عن بعض لما طرأ من هذه الأشخاص والأرض.

فإذا اعتبرت هذا علمت أن النور الذي يخص هذا المنزل ليس هو النور الذي يخص المنزل الآخر، ولا المنازل الأخر. وإذا اعتبرت الشمس التي ظهر فيها هذا النور وعينها من حيث انفهاقه عنها، قلت: إن الأرواح روح واحدة، وإنما اختلفت بالمحال كالأنوار، نور واحد. غير أن حكمه في القوابل يختلف لاختلاف أمزجتها وصور أشكالها. ولما أراد اللّه تعالى بقاء هذه الأرواح على ما قبلته من التمييز، خلق لها أجساداً برزخية تميزت فيها عند انتقالها عن هذه الأجسام الدنيوية في الدنيا في النوم وبعد الموت. وخلق لها في الآخرة أجساماً طبيعية كما جعل لها في الدنيا. غير أن المزاج مختلف فنقلها من جسد البرزخ إلى أجسام النشأة الآخرة. فتميزت أيضاً بحكم تميز صور أجسامها. ثم لا تزال كذلك أبد الآبدين. فلا ترجع إلى الحال الأول من الوحدة العينية أبداً. فانظر. ما أعجب صنع اللّه تعالى! الذي أتقن كل شيء.

واللّه تعالى أعلم.

مسألة (١٨٨)

اعلم [أن][١] الحق تعالى يعطي يوم القيامة جهل المؤمن من أهل التقليد للعالم في هذه الدار بدقائق العلوم والأمور، وهو غير مؤمن. فيدخل بذلك الجهل النار لأنه من أهلها. وهي لا تقبل العلماء.

ويعطي علم هذا العالم للمؤمن الجاهل فيدخل الجنة لأن الجنة ليست بدار جهل. فيرى المؤمن الأبله المقلد ما كان عليه من الجهل على ذلك العالم فيستعيذ باللّه من تلك الصفة ويرى قبحها. ويشكر اللّه تعالى على نعمته التي أعطاه إياها بما كساه وخلع عليه من علم ذلك العالم. وينظر إليه ذلك العالم فيزيد حسرة إلى حسرته، ويعلم أن الدار أعطت هذه الحقائق نفسها فيقول: ﴿**يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين**﴾[٢].

---

(١) إضافة من المحقق ليستقيم السياق.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ٢٧، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لعلهم إذا كانوا مؤمنين. وإن كانوا جاهلين فهم إذا انتقلوا إلى دار السعادة خلعت عنهم الجهالة، وكسوا أثواب العلم فلا يبالون بما كانوا عليه من الجهل في الدنيا لحسن العاقبة. وما علموا أنهم لو ردوا إلى الدنيا لعادوا إلى حكمها. فإنه الفعل بالخاصية لا يتبدل.

فما تكلموا بما تكلموا به من هذا التمني إلاّ بلسان النشأة التي هم فيها، وتخيلوا أن ذلك العلم يبقى عليهم لو ردوا. وما جعل اللّه في هذه النشأة الدنيوية النسيان للعلماء بالشيء فيما علموه إعلاماً وتنبيهاً أنه على كل شيء قدير. بأن يسلب عنهم العلم بما كانوا به عالمين إذا دخلوا النار، ويختص برحمته من يشاء. وهو قوله تعالى: **﴿قل اللّهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء﴾**[١].

وأي ملك أعظم من العلم. وهو ما أعطاه من العلم للمؤمن المقلد الجاهل السعيد في الدار الآخرة.

﴿وتنزع الملك ممن تشاء﴾[٢]. وأي ملك أفضل من العلم، فينزعه من العالم الغير مؤمن الذي هو من أهل النار.

﴿وتعز من تشاء﴾[٣]. بذلك العلم. **﴿وتذلّ من تشاء﴾**[٤] بانتزاعه منه.

واعلم بأن الحقائق تعطي أن المآل إلى الرحمة في الدار الآخرة فيرحمه معنى وحساً. فثم من تكون له الرحمة عين العافية، وارتفاع الآلام عنه لا غير. وهذا مخصص بأهل النار الذين هم أهلها. فهم لا يموتون فيها لما يحصل لهم من العافية بزوال الآلام فيستعذبون ذلك فهم أصحاب عذاب لا أصحاب ألم. ولا يحييون أي ما لهم نعيم كنعيم أهل الجنان الذي هو أمر زائد على كونهم عافاهم اللّه من دار الشقاء.

واللّه أعلم.

مسألة (١٨٩)

اعلم أنه لما تجلّى الحق تعالى في الثلث الأخير من الليل وكان تجلّيه يعطي الفوائد والعلوم والمعارف التامة على أكمل وجوهها. لأنها عن تجلٍ[٥] أقرب في سماء الدنيا. فكان علم آخر هذه الأمة أتم من علم وسطها، وأولها، بعد موت الرسول (صلى اللّه عليه وسلم).

(١) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ٢٦، مدنية.
(٢) استكمال الآية السابقة.
(٣) استكمال لها.
(٤) استكمال لها.
(٥) في (م): (عن تجلي).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأن النبي، (صلى اللّه عليه وسلم)، لما تبعه اللّه تعالى بعثه والكفر ظاهر، والشرك قائم. فلم يدع القرن الأول وهو قرن الصحابة إلاّ للإيمان خاصة. ما أظهر لهم ما كان يعلمه من العلم المكنون. وأنزل عليه القرآن العظيم. وجعله يترجم عنه بما تبلغه أفهام عموم ذلك القرن. فصور، وشبه، ونعت بنعوت المحدثات. فلاح من ذلك لخواص القرن الأول دون عامته، بل لبعض خواصه من خلف خطاب التنزيل أسرار عظيمة. ومع هذا لم يبلغوا فيه مبلغ المتأخرين من هذه الأمة. لأنهم في العلم أتم، وكان القرن الأول أتم في العمل. وأما الإيمان فعلى التساوي.

فإن هذه النشأة لما فطرت على الحق[1]، وبعث فيها نبي من بني جنسها فما آمن منها إلاّ من قوي على دفع نفسه لما فيها من الحسد. لا سيما إذا كان الحاكم عليها من جنسها فينسب إلى المؤمن من الصحابة من القوة في الإيمان. ما لا ينسب إلى من ليست له مشاهدة. فكان اشتغالهم بدفع قوة سلطان الحسد أن يحكم فيهم بالكفر الذي يمنعهم من إدراك غوامض العلوم وأسرار الحق في عباده. ولم تحصل لهم رتبة بالغيب. أعني بغيب صورة الرسول، وما جاء به. لكونهم مشاهدين له. فلما جاء زماننا وجدنا أوراقاً مكتوبة سواداً في بياض، وأخباراً منقولة. وجدنا القبول عليها ابتداءً لا نقدر على دفعه من نفوسنا. إذ وفّقنا اللّه تعالى علمنا أن قوة نور الإيمان إعطاء ذلك. ولم نجد تردداً، ولا طلبنا آية ولا دليلاً على صحة ما وجدناه مكتوباً من القرآن. ولا منقولاً من الأخبار. علمنا قوة الإيمان الذي أعطانا اللّه سبحانه وتعالى عناية منه لنا. وكنا في هذه الحالة مؤمنين بالغيب الذي لا درجة للصحابة فيه ولا قدم. كما لم يكن لنا قدم في قوة دفع ما يعطيه سلطان الحسد عند المشاهدة. فقابلنا هذه القوة بتلك القوة فتساويا، وبقي الفضل في العلم. حيث أخذناه من تجلي ثلث هذه الليلة المباركة. التي لا نصيب لغير أهلها من الثلثين الماضين فيها.

وهذا كله جبر لقلوبنا لما فقدناه من مشاهدة الرسول صلى اللّه عليه وسلم. وكان خيراً. فإنا لا نعرف كيف كانت أحوالنا عند المشاهدة. هل يغلبنا الحسد أو نغلبه.

﴿فكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزا﴾[2].

مسألة (١٩٠)

اعلم أن الشفقة على العصاة أولى بالمراعاة من الغيرة الإلهية للّه تعالى. ألا ترى أعداء

---

(١) غير واضحة في (م). وربما كانت [الحسد] وقد يُقَوِّي السياق هذا المعنى.

(٢) **القرآن الكريم**، سورة الأحزاب، الآية ٢٥، مدنية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدين كيف ضرب اللّه تعالى عليهم الجزية. وأمر بالصلح إبقاءً لهم. وإذا كان الحق تعالى قد راعى هذه البنية مع كفرها، فأنت أولى بمراعاتها مع معصيتها. ولأن الإنسان ما دام حياً ترجى له السعادة.

واللّه أعلم.

مسألة (١٩١)

اعلم أن الحكمة في دعاة الحق تعالى عباده للسجود يوم القيامة إنما هو رحمة لأهل الأعراف. ليثقل ميزانهم بهذه السجدة. فينصرفون إلى الجنة. وكان منزلهم في سور الأعراف ليس لهم ما يدخلهم النار ولا ما يدخلهم الجنة.

واللّه أعلم.

مسألة (١٩٢)

اعلم أن الأجسام هي هذه المعروفة في العموم شفافها وكثيفها ما يرى منها، وما لا يرى. والأجساد ما تظهر فيها الأرواح في اليقظة الممثلة في صورة الأجسام.

وما يدركه النائم في نومه من الصور المشبهة بالأجسام فيما يعطيه الحس. وهي نفسها ليست بأجسام.

واللّه أعلم.

مسألة (١٩٣)

اعلم أنه من علم القرآن العزيز وتحقق به عَلَم عِلْمَ أهل اللّه تعالى وأنه لا يدخل تحت فصول منحصرة، ولا يجري على قانون منطقي، ولا يحكم عليه ميزان. فإنه ميزان كل ميزان.

واللّه أعلم.

مسألة (١٩٤)

اعلم أن يوم هذه الأمة المحمدية متصل بيوم الآخرة، ليس بينهما إلاّ ليل البرزخ خاصة. وفي فجر هذه الليلة تكون نفخة البعث، وفي طلوع شمس يومه يكون إتيان الحق تعالى للفصل والقضاء، وفي قدر ركعتي الاشراق، ينقضي الحكم، فتعمر الداران بأهلهما. وذلك يوم السبت فيكون نهاره أبدياً لأهل الجنة، ويكون ليله أبدياً لأهل جهنم. فإذا انقضت مدة الآلام في جهنم وهو يوم من خمسين ألف سنة في حق قوم، وأقل من ذلك في حق قوم،

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وشفعت التسعة عشر ملكاً في أهل جهنم للرحمة التي سبقت ارتفعت عنهم الآلام. فراحتهم ارتفاع الآلام لا وجود النعيم فافهم.

وهذا القدر هو نعيم أهل جهنم.

والله أعلم.

مسألة (١٩٥)

اعلم أن لله[١] تعالى أبواباً فتحها للخير، وأبواباً أعدها لم يصل أوان فتحها للخير، أيضاً، وأبواباً فتحها للآلام المعبّر عنه بالعذاب لما يؤول إليه من أمر أصحابه. فمتعذبه في آخر الحال.

ألا ترى «إبراهيم» الخليل. (صلى الله عليه وسلم). يقول: ﴿**يا أبت إني أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن**﴾[٢].

والرحمن لا يعني ألماً موجعاً، إلاّ أن يكون في باطنه رحمة يستعذبها من قام به ذلك الألم. كشرب الدواء الذي يتضمن استعماله العافية. فما عند الله باب يفتح إلاّ أبواب الرحمة. غير أن ثمة رحمة ظاهرة لا ألم فيها، وثم رحمة باطنة يكون فيها الألم، في الوقت لا غير. ثم يظهر حكمها في المآل.

فالآلام أعراض[٣]، واللذات ثوابت. فالعالم مرحوم بالذات، متألم بما يعرض له. ﴿**والله عزيز حكيم**﴾[٤]. يضع الأمور مواضعها ألا ترى الإنسان يضرب ولده، ويؤلمه بذلك الضرب عقوبة لذنبه وهو يرحمه بباطنه. فإذا وفّى الأمر حقه أظهر له ما كان في قلبه وباطنه من الرحمة والشفقة. ولهذا ورد في الخبر عن رسول الله، (صلى الله عليه وسلم) في قصة طويلة يقول فيها: (**وأن الله تعالى أشفق من هذه على ولدها**).[٥] وأشار إلى امرأة. وهذا كله من علوم الأذواق. جعلنا الله والسامعين من أهل الرحمة الخالصة التي لا ألم فيها بمنّه وكرمه آمين.

---

(١) في (م): (الله).
(٢) **القرآن الكريم**، سورة مريم، الآية ٤٥، مكية.
(٣) في (م): (عواض).
(٤) جزء من آية متكررة في القرآن.
(٥) حديث: «**وأن الله أشفق من هذه على ولدها**». رواه عمر بن الخطاب وقال: قدم على النبي، صلى الله عليه وسلم، سَبْيٌ. فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي إن وجدت صبياً من السبي فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي (ص): «**أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا، لا، وهي تقدر على ألا تطرحه. فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها**». وللحديث روايات أخرى. اخترنا منها هذه الرواية انظر: **اللؤلؤ والمرجان**، ص ٢٤٠، جـ٢، حديث رقم ١٧٥١. وقال: أخرجه البخاري في كتاب الأدب ٨٧. باب (رحمه الولد وتقبيله ومعانقته).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (١٩٦)

اعلم أن اللّه تعالى قد أخبر عن إبليس أنه يقول لأتباعه[١] من المشركين ومنكري البعث يوم القيامة: إن اللّه تعالى وعدكم أن هذا اليوم كائن، يعني يوم القيامة فصدقكم وعده ووعدتكم[٢] بأنه ليس بكائن. فأخلفتكم وعدي وما كان لي عليكم من سلطان، أي ما أظهرت لكم من حجة تصدقني على ما دعوتكم إليه من الشرك في الألوهية، وإنكار البعث فصدقتموني. فلا تلوموني ولوموا أنفسكم[٣].

واللّه أعلم.

مسألة (١٩٧)

قال اللّه تعالى مخاطباً إبليس[٤] اللعين: **﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا﴾**[٥].

فمطلق اسم العباد ليس للشيطان عليهم سلطان. أي حجة دالة على إثبات شريك للّه تعالى في ألوهيته. ولذلك قال لحزبه: **﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني، ولوموا أنفسكم﴾**[٦].

وأمّا قوله تعالى: **﴿وكفى بربك وكيلا﴾**[٧]. أي لأوليائه يعصمهم من القبول من إبليس. وليس هو تعالى وكيلاً لأولياء إبليس.

واللّه أعلم.

مسألة (١٩٨)

ننبئ عن أمر عجيب مما وقع لإبليس اللعين. وذلك ما أخبر اللّه تعالى [به][٨]، في كتابه

---

(١) في (م): (أن يقول لتباعه).

(٢) في (م): (ووعدكم).

(٣) وهذه المسألة معنى آية وردت بالقرآن نثرها ابن عربي ليوضح معناها ـ مفسراً ـ في كلمات. والآية هي رقم: (٢٢) من سورة إبراهيم، مكية. ونصُّها: **﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن اللّه وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾**.

(٤) في (م): (مخاطباً لإبليس).

(٥) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ٦٥، مكية.

(٦) سبقت الإشارة إلى الآية في الهامش (٣).

(٧) انظر رقم ٥.

(٨) ما بين معقوفتين إضافة من المحقق يطلبها السياق.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العزيز بقوله: «قال» أي إبليس: ﴿**فبعزّتك لأغوينهم أجمعين**﴾[١]. هذا ظنٌّ منه لا علم. وقوله: ﴿**إلا عبادك منهم المخلصين**﴾[٢] هذا علم لا ظن.

لأنه لما قال له اللّه تعالى: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلاّ من اتبعك من الغاوين**﴾[٣]. عَلِمَ عِلْمَ يقين صدق اللّه تعالى فيما أخبر به من أمر الفريقين فلما سلك طريق الأدب مع اللّه تعالى في استثناء من استثناهم[٤] اللّه سبحانه وتعالى، أبرَّ قَسمَهُ، وصدق ظنّه بقوله تعالى: ﴿**ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلاّ فريقاً من المؤمنين**﴾[٥].

ومما وجد بخط شيخنا بعد وفاته، قدّس سرّه[٦]، (فائدة) العبودية للعامة: هي غاية التذلل للّه تعالى. والعبودية للخاصة: هي تصحيح القصد في السلوك إلى اللّه تعالى. والعبودية لخاصة الخاصة: هي شهودهم القيام به تعالى في عبوديته فيعبدون اللّه تعالى في مقام أحدية الفرق والجمع.

(فائدة)..

التعبير عن الحال الذوقي محال لأنه خارج عن حصر الألفاظ.

واللّه أعلم.

(فائدة)..

عبد اللّه تعالى هو الذي تجلى له الحق تعالى بجميع[٧] أسمائه، فلا يكون أرفع مقاماً، ولا أعلى شأناً منه لتحققه بالاسم الأعظم، واتصافه بجميع صفاته. ولهذا خصّ اللّه تعالى نبيّنا محمداً، (صلى اللّه عليه وسلم)، بهذا الاسم في قوله تعالى: ﴿**وأنه لما قام عبد اللّه يدعوه**﴾[٨].

فلم يكن هذا الاسم حقيقة إلا له، وللأقطاب من ورثته بتبعيته وإن أطلق على غيره مجازاً. لاتصاف كل اسم من أسمائه بجميعها بحكم الواحدية. واحدية جميع الأسماء.

واللّه أعلم.

---

(١) القرآن الكريم، سورة (ص)، الآية ٨٢، مكية.
(٢) استكمال الآية.
(٣) القرآن الكريم، سورة الحِجر، الآية ٤٢، مكية.
(٤) في (م): (استثنائهم).
(٥) القرآن الكريم، سورة سبأ، الآية ٢٠، مكية.
(٦) واضح أن هذه إشارة للناسخ. ولأن هذه الفوائد مرتبطة بهذه المسألة، وكانت بهامش نسخة المؤلف فأضافها الناسخ إلى الأصل وأشار لها هكذا.
(٧) في (م): (لجميع).
(٨) القرآن الكريم، سورة الجن، الآية ١٩، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (١٩٩)

شرط البداية اعتدال جناحي رهبته ورغبته. والسير اعتدال جناحي قبضه وبسطه. والنهاية اعتدال جناحي هيبته وأنسه ليتم طيرانه. وإلاّ فلا. وبينهما سرادق من شعره. ومتى زلّ جناحه زلّ قدمه، إلى جحيمه وزمهريره. فتلوينه بقوة أحدهما، وتمكينه باجتماعهما. ويتم القبض والبسط ببقاء صبره وشكره. والهيبة والأنس ببقاء رضاه وتسليمه وتفويضه.

واللّه أعلم.

(فائدة)..

نظر شيخ ظبية وردت ماءً. فرجعت خوفاً من خيالها ففعلت ذلك مراراً ولم تشرب، فأغمضت عينيها، ورمت بنفسها في الماء، فشربت إلى الري.

فقال ذلك الشيخ: لي زمان أرجع عن المجاهدة خوفاً، فما لي أن أغمض العينين عن الكونين. فإمّا وصل، وإمّا قتل. ففعل، فبلغ مبلغاً عظيماً.

(فائدة)..

ما تجلى اللّه تعالى لشيء فاحتجب عنه بعد ذلك وللعباد له العارفين.

واللّه أعلم

مسألة (٢٠٠)

إذا كانه اللّه تعالى ﴿**كل يوم هو في شأن**﴾[1] فمحال على الأكوان الإقامة على نعت واحد زمانين، وشؤون الحق تعالى ما هو العالم عليه من الأحوال المختلفة والمتقابلة والمتماثلة.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٠١)

المتقي صاحب دعوى، ولذلك يقبل منه عمله، والعارف صاحب تجريد والأعمال تجري منه وهو عنها بمعزل فليس له إليها نسبة إلاّ أنه محل لجريانها، وظهور أعيانها. فما زالت الأعمال عن عاملها فلا توصف بالقبول والرد، ألا ترى المتقي يحشر إلى الرحمن، والعارف في الحضرة ما زال.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآية ٢٩، مدنية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٢٠٢)

الواقف مع الكون محجوب عن العين.

(فائدة)..

إذا زلّ الولي ولم يرجع من ساعته عوقب. وعقوبته بأن يحبب إليه إظهار الكرامات على أنفسهم إلاّ ما اقترن بها اقتضاء حق إلهي. ومع هذا فلا بد من الإذن.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٠٣)

كل ما كان للعبد كسباً فالحق تعالى قائم به لا العبد. ولكن فيه ظلمة المكسب.

فافهم.

مسألة (٢٠٤)

إن من أولياء اللّه تعالى من سترهم عن أعين الخلق في الدنيا والآخرة، في قباب النور، خلف حجاب العزة والأنس فلا يعرفون، ولا يُعرفون.

مسألة (٢٠٥)(*)

تحدث الأولياء بما حققهم به الحق تعالى من الكرامات والمنازل والمخاطبات من الأسرار، من باب التحدث بنعم اللّه تعالى، والتشويق إلى آلائه، وهو شكرها لا من باب تزكيتهم.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٠٦)

الطاعة للعبد، والمسارعة إليها للمحب، والتلذذ فيها للعارف، والفناء فيها للمحقق.

(فائدة)..

العمد الذي قامت به السماء هو الإنسان الكامل.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٠٧)

السلوك لا يزال دنيا وأخرى، ولو كان ثم قرار لصح الوصول. ولو كان ثم طريق يوصل إلى اللّه تعالى لظفر به الواصل، ولنيل بالسلوك. فنيْله لك محال فغرض الطريق إليه محال.

(*) اضطراب في رقم المسألة من النسخة (س). كما يوجد خرم وترقيع وكلمات كثيرة محذوفة وساقطة من النسخة (س).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لما وقف بعض العارفين على هذا المقام قال الطريق مسدود والسالك مردود. ويعزى هذا القول لأبي يزيد البسطامي[1].

والله أعلم.

مسألة (٢٠٨)

لا يكون الجهل علماً إلاّ في علمك بالله. فإن العلم به جهل. فمن علمه جهله، ومن جهله كان به عالماً، وكان صديقاً.

مسألة (٢٠٩)

إن من عباد الله تعالى من يقودهم إليه المعرفة به. فيهبهم المعرفة ابتداءً. وهم جائلون في ميادين المخالفات. ثم يهبهم التوفيق فيسلكون على بصيرة، وسلوك هؤلاء أشرف سلوك السالكين. إذ كل سالك غاية المعرفة. وهي بداية هذا السالك. وهي كانت بدايتنا ولله الحمد على ذلك.

مسألة (٢١٠)

قد أخبر الله تعالى نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم)، بأنه يتجلى غداً لهذه الأمة ومنافقيها على اختلاف عقائدهم فيه سبحانه، من غير الصورة التي عرفوه [بها][2] فينكرونه. فيتحول في الصورة التي عرفوه بالعلامة التي بينه وبين كل طائفة منهم. وهي ما تقرر في عقدهم منه فيقرون به. وهو عين ما أنكروه.

ولما وقف «الجنيد»[3] على هذه المعرفة بالله تعالى سئل عن المعرفة والعارف فقال: «لون الماء لون إنائه». فالإناء مثل مضروب لاعتقاده. والماء مثل مضروب لمعروفه.

والله أعلم.

مسألة (٢١١)

من كان مع الله تعالى مثل ظله معه لا ينحجب عن ربه، ولا يعترض عليه في فعله، ولا يتحرك إلاّ بتحريكه إيّاه، كان عبداً حقيقة. ألا ترى الظل لا يزال مشاهداً لمن صدر عنه.

فافهم ترشد.

---

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) ما بين معقوفتين من المحقق.

(٣) سبقت الإشارة إليه.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لما وقف بعض العارفين على هذا المقام قال الطريق مسدود والسالك مردود. ويعزى هذا القول لأبي يزيد البسطامي[1].

والله أعلم.

مسألة (٢٠٨)

لا يكون الجهل علماً إلاّ في علمك بالله. فإن العلم به جهل. فمن علمه جهله، ومن جهله كان به عالماً، وكان صديقاً.

مسألة (٢٠٩)

إن من عباد الله تعالى من يقودهم إليه المعرفة به. فيهبهم المعرفة ابتداءً. وهم جائلون في ميادين المخالفات. ثم يهبهم التوفيق فيسلكون على بصيرة، وسلوك هؤلاء أشرف سلوك السالكين. إذ كل سالك غاية المعرفة. وهي بداية هذا السالك. وهي كانت بدايتنا ولله الحمد على ذلك.

مسألة (٢١٠)

قد أخبر الله تعالى نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم)، بأنه يتجلى غداً لهذه الأمة ومنافقيها على اختلاف عقائدهم فيه سبحانه، من غير الصورة التي عرفوه [بها][2] فينكرونه. فيتحول في الصورة التي عرفوه بالعلامة التي بينه وبين كل طائفة منهم. وهي ما تقرر في عقدهم منه فيقرون به. وهو عين ما أنكروه.

ولما وقف «الجنيد»[3] على هذه المعرفة بالله تعالى سئل عن المعرفة والعارف فقال: «لون الماء لون إنائه». فالإناء مثل مضروب لاعتقاده. والماء مثل مضروب لمعروفه.

والله أعلم.

مسألة (٢١١)

من كان مع الله تعالى مثل ظله معه لا ينحجب عن ربه، ولا يعترض عليه في فعله، ولا يتحرك إلاّ بتحريكه إيّاه، كان عبداً حقيقة. ألا ترى الظل لا يزال مشاهداً لمن صدر عنه.

فافهم ترشد.

---

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) ما بين معقوفتين من المحقق.

(٣) سبقت الإشارة إليه.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٢١٢)

ليس في الوجود تكراراً أصلاً للتوسع الإلهي. ولو طرأ[1] على الإنسان عدم ما كرر عين وجوده الأول. وإنما هو انتقال من حال إلى حال والعين واحدة. والحال المنتقل إليه وجود آخر.

والله أعلم.

مسألة (٢١٣)

العشق التفات الزوجين. والحب صفاء ذلك الالتفات وخلوصه. والود ثباته ودوامه. والهوى أول سقوطه في القلب.

والله أعلم.

مسألة (٢١٤)

الحال الذي يملكه النبي غير الحال الذي يحكم على الولي. وللأنبياء حال يحكم عليهم. ألا تراه عند نزول الوحي ترد عليه حالة الفناء والبهت ويرغو مثل ما يرغو البعير وينصرف عنه الوحي. وجبينه يتفصد عرقاً بحكم الحال عليه. وسبب ذلك أن للنبي وجهين:

وجه للولاية: فهو ولي بذلك الوجه. ووجه للنبوة: فمن حيث ولايته يملكه الحامل. ومن حيث نبوته يملك الحال. والولي ليس كذلك فإنه ليس له إلاّ وجه الولاية. فيملكه الحال.

فالأولياء تصرفهم الأحوال. والأنبياء يصرفون الأحوال. إلاّ أن الأولياء يصيرون من القعرة إلى أن تستتر عنهم الأحوال في حالهم. ولا يقفون مع شيء وقوف عشق إلاّ مع العين، التي تظهر منها الأحوال. فهي باقية لأحوال فانية.

والله أعلم.

مسألة (٢١٥)

العبد بين نعمة وبليّة. قائم النعمة تطلبه بالشكر، والبلية تطلبه بالصبر، فهو الصبار الشكور.

والله أعلم.

---

(١) في (م): (طرى).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٢١٦)

لا يقف الفتح على العبادات، فقد يُفتح في غير العبادات أعظم مما يفتح فيها. فإن الفتح وجود ومِنّة. والأعمال للجزاء في الدار الآخرة. وإن من العباد من لا تضرهم المعاصي للعناية الإلهية التي سبقت لهم عند اللّه عزّ وجلّ.

واللّه أعلم.

إنَّ المَقَادِيرَ تَجْرِي غَيْرُ قَاصِرَةٍ   وَتَنْتَهِي بِي إلَى حَدٍّ وَمِقْدَارِ
فَلاَ وُجُودَ لَهَا إلاَّ بِحَضْرَتِنَا   وَلاَ وُجُودَ لَنَا إلاَّ بِأَقْدَارِ

مسألة (٢١٧)

الكامل من الرجال يكنى أبا العيون تحققاً بمولاه. في قوله تعالى: ﴿تجري بأعيننا﴾[(١)].

فالعين التي يرى بها ربه غير العين التي يرى بها نفسه، وعين يرى بها فعله، وعين يرى بها ذنبه، وعين يرى بها قربه. ولكل حال عين.

واللّه أعلم.

مسألة (٢١٨)

اختلفت كلمة الحضرة في عباد اللّه تعالى. فقوم أخرستهم، وقوم أنطقتهم بأنا، وقوم أنطقتهم بأنت[(٢)]، وقوم أنطقتهم[(٣)] بهو، والكل له، وبه، ومعه. وإن اختلفوا.

واللّه أعلم.

مسألة (٢١٩)

من رأى اللّه تعالى في الأشياء فقد استراح[(٤)].

مسألة (٢٢٠)

وإن من أسماء[(٥)] اللّه تعالى ما لا تعلق له بكون، وهو من خصائص الذات.

واللّه أعلم.

---

(١) القرآن الكريم، سورة القمر، جزء من الآية ١٤، مكية.
(٢) غير واضحة في (م).
(٣) كل ألفاظ (أنطقتهم) الواردة بهذه المسألة كانت في (م) (نطقتهم).
(٤) في (م): (استرا).
(٥) في الأصل: (السماء).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٢٢١)

اعلم أن الاغترار بالله تعالى إنما هو من حيث الكرم والجود. فإنه ما عدى[١] مؤمن قط انتهاكاً للحرمة، ولا قاطعاً بالعقوبة، وأنه تقع المعاصي والمخالفات من المؤمنين من حسن ظنهم بربهم. فإن الأسماء الإلهية واقفة على السواء. وليس هذا الاسم في ظهور أثره عليه بأولى من هذا الاسم.

والله تعالى أعلم.

مسألة (٢٢٢)

قوله تعالى: ﴿**كما بدأكم تعودون**﴾[٢]. خطاب للأرواح، أنها بدأت مدبرة لأجسادها فتعاد بعد المفارقة إلى تدبير أجساد ترابية تنشأ على عجم الذنب الباقي من هذه النشأة وتعاد أيضاً كما بُدِئت.

دليله قوله تعالى: ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك**﴾[٣].

أي صاحبك. فيأمر الله تعالى الأرواح أن ترد إلى الأجساد. وهذا قول: «عطاء»[٤]، و«الضحاك»[٥]، و«عكرمة»[٦] من رواية «العوفي»[٧] عن «ابن عباس»[٨]. رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) غير واضحة في (م).

(٢) **القرآن الكريم**، سورة الأعراف، الآية ٢٩، مكية.

(٣) **القرآن الكريم**، سورة الفجر، الآية ٢٨، مكية.

(٤) **عطاء**: لعله: عطاء بن يزيد الليثي، وهو من كنانة روى عنه الزُّهري وتوفي سنة سبع ومائة وهو ابن اثنتين وثمانين سنة. انظر: كتاب **المعارف**، لابن قتيبة، ص ٤٤٣، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.

(٥) **الضحّاك**: هو الضحاك بن مزاحم. وهو من بني عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة. رهط «زينب» زوج النبي، صلى الله عليه وسلم، ويكنّى أبا القاسم. ولد لسنتين وقد أثغر وكان معلماً وأتى خراسان فأقام بها. ومات سنة اثنتين ومائة. انظر: كتاب **المعارف**، لابن قتيبة، ص ٤٥٧.

(٦) **عكـرمة**: مولى ابن عباس، كان عبداً لابن عباس. باعه علي بن عبد الله بن عباس بعد موت والده بأربعة آلاف دينار. فأتى عكرمة علياً فقال له: ما خير لك بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار. فاستقاله فأقاله، واعتقله. وكان يكنى أبا عبد الله، وقيل مات «كُثَيِّر» و(عكرمة) في يوم واحد وعنده ثمانين عاماً. انظر: كتاب **المعارف**، لابن قتيبة، ص ٤٥٥.

(٧) **العوفي**: هو الحسن بن الحسن بن عطية بن سعد. يكنى: أبا عبد الله، ولي قضاء الشرقية بعد (جعفر بن غياث) ثم نقل إلى (عسكر المهدي) في خلافة هارون الرشيد ثم عزل وتوفي سنة ٢٠١هـ. انظر: كتاب **المعارف**، ص ٥١٨.

(٨) **ابن عباس**: هو عبد الله بن عباس، ابن عم النبي (ص) وكان يكنى: أبا العباس. وبلغ سبعين سنة. وهلك بالطائف في فتنة (ابن الزبير) وقد كُفّ بصره، وصلى عليه محمد ابن الحنفية، وكان عروة بن الزبير يقول عنه حدثني البحر يعني ابن عباس، مات سنة ٦٨هـ وهو ابن اثنتين وسبعين سنة على قول الواقدي.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولو كانت الإعادة مثل البدأة، لكانت الإعادة في حق آدم، عليه السلام، تخميراً باليد المقدسة. وإعادة حواء[1] كذلك وإعادة بني آدم بنكاح وتناسل، وتوالد نطفة، وعلقة، ومضغة، وتربية. وليس الأمر كذلك.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٢٣)

لا تزال صفات الربوبية معظمة ما لم تقم بالعبد. فإذا قامت بالعبد عين الحق تعالى لها مواطن تذم فيها، ومواطن تحمد فيها، وصفات الكون إذا اتصف بها الحق تعالى عظمت مطلقاً. فالتمس الناس لها وجودها في التنزيه.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٢٤)

إنما سميت الجنة جنة لأنها ستر بينك وبين الحق تعالى، وحجاب. فإنها محل شهوات الأنفس. فإذا أراد اللّه سبحانه وتعالى أن يريك ذاته حجبك عن شهوتك، ورفع عنك سترها. فغبت عن جنتك وأنت فيها فرأيت ربك. فالحجاب عليك منك. فأنت الغمامة على شمسك. فاعرف حقيقة نفسك.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٢٥)

أعظم العبادات عند اللّه تعالى ما أيّدها الخيال. اعبد اللّه كأنك تراه، وما أنت براءٍ.

واللّه أعلم

مسألة (٢٢٦)[2]

اعلم أنه ليس في عين الأمر اضطرار، ولا اختيار. ولكن علم سابق وقضاء لاحق، وقدرة نافذة، وإرادة غير قاصرة.

واللّه أعلم.

---

(١) في الأصل: (حوى).

(٢) هذه المسألة تأخذ رقم (٢٠٦) في النسخة (س).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٢٢٧)

إذا نصب الصراط على متن جهنم على الصفة التي ذكرها الشرع فإن «المعطلة» لا[1] يحصل لهم عليه قدم أصلاً.

وأمّا الطائفتان اللتان تقولان بانعدامه بعد إيجاده العالم فيخطون فيه خطوة واحدة، ويقعون في النار. وأما المشركون فلا يحصل لهم عليه سوى القدم الواحدة. فإذا اعتمدوا عليها، وأرادوا أن يضعوا الأخرى لم يقدروا على ذلك، ووقعوا في نار جهنم. وما عدا هؤلاء الفرق فيصعدون عليه على قدر مراتبهم.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٢٨)

إذا تحقق الموحِّد بتوحيده، لم يبق له قدرة ولا كسب. فلو قيل له: قم واقعد، ما استطاع فهو المقام المقعد. ومتى لم يكن بهذه المثابة في حاله فليس بموعد. فالناس يشهدونه[2] حاملاً للأشياء. وهو والأشياء محمول.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٢٩)[3]

المعرفة والسرور لا يجتمعان في أحد[4] في الدنيا أبداً. والمعرفة والحزن لا يجتمعان في أحد[4] في الآخرة أبداً.

واعلم أنه ما دام الرجل في هذه الدار فهو على قدم الخطر ولو بلغ ما بلغ. لأنها دار المكر والتبديل. وقد ذمّ الفرح فيها لعدم تحقق أسبابه من جميع وجوهه[5]. فإذا انتقلنا إلى دار التمييز والتخليص، وتراءى[6] الجمعان وتميَّز الفريقان. وانصبغ من انصبغ في الفضل والرحمة. حينئذٍ[7] يحق له الفرح. وقد يؤتى العبد هنا الرحمة والفضل. ويمنعه من الفرح

---

(١) في (م): (فإما المعطلة فلا يحصل...الخ). والمعطّلة: هم الذين يعطلون الصفات الإلهية وقد وردت أقوالهم في كثير من الكتب التي تناقش مسألة الألوهية. انظر في ذلك: **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطّلة**، ابن قيم الجوزية، ط٢. وانظر: **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، د. علي سامي النشار، ط٨ وانظر: **الفرق بين الفِرق**، للبغدادي، ط دار التراث.

(٢) في الأصل: (شهدونه).

(٣) في النسخة (س) مسألة رقم (٢٠٧).

(٤) في (س): (لأحد).

(٥) في (س): (الوجوه).

(٦) في (م)، (س): (وتراً).

(٧) في (س): (ح) اختصار لحينئذٍ.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بهما ما في طي الأمر من طلب القيام بحقوقهما. فلا يتفرغ للفرح بهما، مع شغل القلب بأداء حقوقهما. وهنالك ليس كذلك. فكيف يسر العارف هنا. وفي الأمر ما ذكرناه[1].

والله أعلم.

مسألة (٢٣٠)[2]

في موسى والخضر. حيث قال لموسى: «أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا». فقد تساويا، وعدمت الفضيلة. غير أن الرسل[3] مأمورون بالزيادة من العلم ﴿**وقل رب زدني علماً**﴾[4].

فوجب عليهم الطلب[5] فاندرج الخضر في موسى بقدر ما تعلم منه ولم يحصل للخضر ذرة من علم موسى [ثلاثة لثلاثة. السفينة المخروقة في البحر هو التابوت في اليم، وقتل الغلام قتل القبطي، وإقامة الجدار من غير أجر، سقي غنم الجاريتين بماء مدين من غير أجر. وما فعلته عن أمري][6] زبدة الحديث.

امتثل الخضر طاعة موسى لمعرفته بمنزلته، وإن لم يكن تحت شريعته ولكن الأدب لازم. فنهاه عن الصحبة؛ إن وقع السؤال الثالث، فوقع فكان الفراق، ولم يقل في ذلك «موسى» شيئاً.

فلو لم يكن مقصوداً لموسى ذلك الخطاب لاعتذر واستدرك الأمر. قال سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم: «**ليت موسى سكت أو صبر**»[7]. يعني ليته لم ينهه عن صحبته حتى يقص علينا من أخبارهما فكان الخضر قد أعدَّ له ألف مسألة[8]، كلها اتفقت لموسى[9]، وكلها ينكرها عليه.

والله أعلم.

---

(١) في (س): (والأمر).

(٢) هذه المسألة في النسخة (س) رقمها (٢٠٨).

(٣) في (س): (عليهم الصلاة والسلام).

(٤) القرآن الكريم، سورة طه، الآية ١١٤.

(٥) في (م): (القلب).

(٦) ما بين معقوفتين سقط من (س).

(٧) حديث: «**ليت موسى سكت أو صبر**». انظر **صحيح البخاري** ج٥ ص٢٣ مع اختلاف يسير في اللفظ **وابن حجر** في فتح الباري ج٦ ص١٣ ط دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت. **والنسائي** في السنن الكبرى ج ٦ ص ٣٩٠ ح١١٣٠٨ ط دار الكتب العلمية - بيروت.

(٨) في (م، س): (مسئلة).

(٩) في (س): (عليه السلام).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٢٣١)[1]

الدموع دمعتان: دمعة فرح: وهي من برد اليقين باللقاء. فلذلك تخرج باردة.

ودمعة حارة: وهي دمعة المحزونين وتتفاضل درجاتهم بتفاضل المحزون عليه. فافهم.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٣٢)[2]

حاجة الكون إلى اللّه تعالى ذاتية[3] فلا تعين حاجة بعينها. فأي عبد عين إلى اللّه تعالى حاجة فقضاها له زالت عبوديته إلى اللّه تعالى، وفقره إليه من حيث تلك الحاجة. وهذا مقام خطر. وفيه قال اللّه تعالى: ﴿مرّ كأن لم يدعنا إلى ضرٍّ مَسَّه﴾[4].

واعلم أن في عباد اللّه من لم تبق لهم إلى اللّه تعالى حاجة لعلمه بأنه أعلم بما فيه الخيرة له منه[5].

واللّه أعلم.

مسألة (٢٣٣)[6]

إيّاك والاعتزاز بصفاء الأوقات. فإن في طيّها آفات، لا يعرفها إلاّ من أشهده الحق تعالى إيّاها. واعلم أن تفقُّد القلب من علامات التيقظ.

واللّه أعلم[7].

مسألة (٢٣٤)[8]

قدرك عند اللّه تعالى قدره عندك. رأى بعض الصالحين رجلاً سأله مسكين، معروفاً باللّه. فأخرج صُرّة فيها قطع من الفضة كبار وصغار. فأخذ يفتش على أصغر قطعة فيها حتى يدفعها للسائل. وكان مع ذلك الصالح رجل صالح آخر فقال له يا أخي: أتعرف ماذا يفتش

---

(١) سقطت المسألة رقم (٢٣١) من النسخة (س) كاملة.
(٢) في (س): أخذت هذه المسألة رقم (٢٠٩).
(٣) في (م): (ذاتيه).
(٤) القرآن الكريم، سورة يونس، الآية ١٢، مكية.
(٥) (له) الإضافة من (س).
(٦) هذه المسألة رقم (٢٠٩) في (س).
(٧) في (س): (واللّه تعالى أعلم).
(٨) هذه مسألة رقم (٢١١) في النسخة (س). وسأكتفي بهذه الإشارة. ولن أشير إلى التسلسل باعتبار ما قدمته من إشارات يكفي ليوضح الفرق بين المخطوطتين. حتى لا أثقل على القارىء.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا؟ فقال له: قل. فقال: هذا سُئِل بالله فأخذ يفتش على قدره عند الله. فعلى مرتبته عند الله يفتش.

ثم ردّ وجهه للمعطي فقال له: على قدر ما تهب لوجهه يكون وجهك عنده فكبّر أو صغّر وعظّم أو حقّر.

والله أعلم.

مسألة (٢٣٥)

إذا شرع الإنسان في العمل فهو بين القبول والرد. فإمّا، وإمّا. وإذا رمى العبد نفسه بين يدي ربه وطرحها عند بابه فقيراً حقيراً ذليلاً فهو مرحوم بلا شك.

واعلم أن الفقر من الله تعالى ذل لازم، والفقر إلى الله تعالى عزّ دائم. فالفقير من الله تعالى خائف من كل شيء. والفقير إلى الله تعالى ما عنده خبر من شيء.

والله أعلم.

مسألة (٢٣٦)

عندنا جميع المخالفات كبائر. فإن الذي يعصى بها واحد[١].

واعلم أن الحق تعالى خلق الخلق لينظروا إلى قبائح الدنيا ومحاسن الخلق فيؤدهم إلى الزهد في الدنيا، وحسن الظن بالناس. فعكس الناس القضية نظروا إلى محاسن الدنيا ورغبوا فيها، وإلى قبائح الناس فاغتابوهم، ومقتوهم. ومن حصل له هذا النزل[٢] من جانب الحق يجد له حلاوة ما رآها قط. وتورث عنده شكراً[٣]. وأشهدُ لقد بقيت في لذتها أياماً كثيرة.

والله أعلم.

مسألة (٢٣٧)

نهر طالوت نهر بلوى. فهو نهر الدنيا من أخذ القوت منها لم يتعد تلك[٤] الغرفة إذا اغترفها كسباً بيده. فإن تجرد عن الكسب فهو قوله: ﴿فمن لم يطعمه فإنه مني﴾[٥]. فقوت المتجرد ليس من الدنيا، لأنه ما أخذ من الدنيا شيئاً. فما أحسن هذا التنبيه الإلهي.

---

(١) في (س): (والله أعلم).

(٢) في (س): (التنزيل).

(٣) في (س): (شكراً). والشُكر أفضل بطبيعة الحال.

(٤) في (م): (فتلك). وفي (س): (لتلك).

(٥) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٢٤٩، مدنية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن شرب منه، وأمعن فيه زائداً على الضرورة في الكسب فليس مني. وليس على المتجرد تقيد[1] في الاتساع فيشرب من فضل اللّه، ويروى من جود اللّه المطلق الذي لم تدنسه أيدي المحدثات لكسب. فمن فهم هذه الإشارات علم ما بين الرزقين، وأدرك الفضل بين النوعين.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٣٨)

في معنى قوله، صلى اللّه عليه وسلم: **(السلام أمان فمن سلّم عليك فقد أمنك مما تحذر منه)**[2]. السلام علينا مشروع في التشهد في الصلاة. فأمننا به من أنفسنا. ولما[3] خاف الإنسان من نفسه إن توره الموارد المهلكة، آمنه اللّه من ذلك في التشهّد في الصلاة فشرع أن نقول: (السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين)[4].

وشرع لنا، أيضاً، أن نسلم في الصلاة على النبي، (صلى اللّه عليه وسلم). لأجل ردّه صلى اللّه عليه وسلم[5]، علينا. ولأنه الظاهر بأسماء اللّه تعالى. فآمنك بذلك من اسمه المنتقم ونظائره من الأسماء الإلهية الجلالية[6].

واللّه أعلم.

مسألة (٢٣٩)[7]

ذلّة العبد رجوع إلى أصله، وتكبّره خروج عن أصله. ومن خرج عن أصله تعب.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٤٠)

ما ظهر الحق إلاّ بك فأنت أخفيته، وإن زلت فلمن يظهر فلا بدّ منك. فافهم.

واللّه أعلم.

---

(١) في (س): (تقييد).

(٢) حديث: **«السلام أمان فمن سلّم عليك فقد أمّنك مما تحذر منه»**. لم أعثر على هذا الحديث في المراجع الموجودة بين يدي.

(٣) سقطت من: (م).

(٤) جزء من التشهد الوارد في (التحيات).

(٥) سقطت من (س) جملة الثناء على النبي.

(٦) سقطت من (س).

(٧) المسألتان رقم (٢٣٩، ٢٤٠) سقطتا من (س) كاملتين.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٢٤١)[1]

ليس السخيُّ بماله، وإنما السخي من سخى بنفسه على العلم.

والله أعلم.

مسألة (٢٤٢)

إن عامل الحق تعالى عباده بالسخاء فقد نجوا، وحصلت لهم السعادة. وإن عاملهم بالكرم فقد حصلوا على خير عظيم. وإن عاملهم بالجود ضاعف السعيد، وأسعد الشقي. وصيّر جهنم دار نعيم على أهلها. وإن عاملهم بالوهب فبخٍ على بخٍ فهو الحكيم العليم.

مسألة (٢٤٣)

لا يتكرّر الحساب من الكريم فمن حاسب نفسه في الدنيا لم يُحاسَب في الآخرة. ومن كَرَمِهِ عزّ وجل: أن جعلك تحاسب نفسك في الدنيا ما كلف أحداً بحسابك. فجعل لك ما أخّره في حق غيرك من قوله: ﴿**كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**﴾[2].

والسعيد من إذا صلى العشاء الآخرة جعل صحيفة أعماله في ذلك اليوم بين يديه، ونظر فيها. فإذا رأى ما يطلب الشكر شكر، وما يطلب الاستغفار استغفر، وما يطلب التوبة تاب. ثم يطوي صحيفته وينام على شكر، واستغفار، وتوبة. يفعل هذا كل ليلة. فإنه لا يدري متى يفجأه الموت. دليله ما قال صلى الله عليه وسلم: (**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا**)[3].

والله أعلم.

مسألة (٢٤٤)

في معنى قوله تعالى: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ المضطر إذا دعاه**﴾[4]. ما خصّ ديناً من دين. وإنما كانت الإجابة لحال اضطرار. فلا تغتر بعد هذا الذي نبّهتك عليه.

والله أعلم.

---

(١) سقطت المسألة (٢٤١) من (س).

(٢) **القرآن الكريم**، سورة الإسراء، الآية ١٤، مكية.

(٣) حديث: سقط بكامله من (س). «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا**». انظر **التحفة السنية** (مخطوط) السيد عبدالله الجزائري ص ١٤٥ ونظم **درر السمطين** للزرندي الحنفي ص ١٢٤ وتفسير **الثعالبي** ج٥ ص٤٧٦ ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٤) **القرآن الكريم**، سورة النمل، الآية ٦٢، مكية. وقد سقطت من النسخة (س).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٢٤٥)

الراحة كل الراحة إذا بعثت أحداً في حاجة فلا تنتظر دخوله إليك بها ولو غاب[١] سنة. وإذا جاءك فلا تقل له ما الذي أبطأ بك. فإن جاء إليك[٢] بحاجتك فما أبطأ بها إلاّ وقتها، لا من بعثته. وإن لم يجيء بها إليك[٣] فاعلم أن وقتها ما حان. تكن مستريحاً من[٤] تعب الانتظار.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٤٦)

الحرفة حجابٌ على أعين الناظرين، وعلى عين المحترف. ولا يرتفع ذلك الحجاب حتى لا تتناول من كدّك شيئاً.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٤٧)

نور الشمس على صفة واحدة فيضرب في الزجاج المتلوّن فينعكس فتظهر فيه الألوان، على ما عليه الزجاج في مرآة العين. والنور في عينيه ما تغير، فافهم المثل، فإنه قد جَلٍّ. وكذلك التحول في العلامة يوم القيامة فالزجاج القلوب. والألوان الاعتقادات. والحق تعالى لا يتغير. ولكن هكذا نراه.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٤٨)

ينزل اللّه تعالى مطراً من السماء مثل مني الرجال. عندما يريد الحق تعالى بروز الناس من قبورهم. فينشئهم اللّه تعالى من ذلك الماء فينبتون نباتاً. فإذا ظهرت الأجساد من القبور تولتها الأرواح بالتدبير على قدر ما يعطيه مزاج تلك النشأة، بعد أن كانت عزلت عنها، وما عزلت. بل الدار تهومت، والملك باقٍ بيد صاحبه. فلما بنيت له رجع إليها لسكنها كما كان أول مرة فقوى أساسها، وأحسن بناءها، وحفظها من الخراب. فهي دار باقية غير فانية. ونشأة الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا إلاّ في الاسم.

واللّه أعلم.

---

(١) في (م): (وغاب سنة).
(٢) سقطت من (س).
(٣) سقطت من (س).
(٤) في (س): (ما جاء فتكون مستريحاً).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٢٤٩)

من نادى ربه، وأخفى نداءه، ودعاءه فيما ذكره ويضيفه إلى ربه أنه فعله به احتراماً لجنابه، لارغبة في الإخلاص. فإنه مخلص في دعائه، ومرحوم بالرحمة الربانية. وهذا من باب الغيرة على الجناب الإلهي.

والله أعلم.

مسألة (٢٥٠)

اطلب من الله تعالى من يقوم مقامك بعد موتك حتى لا ينقطع عملك بموتك. فإن ابن آدم إذا مات انقطع عمله إلاّ من ثلاث[١]. صدقة جارية عليه، أو علم يبثه في الناس، أو ولد صالح يدعو[٢] له بالخير.

والله أعلم.

مسألة (٢٥١)

النفس مجبولة على طلب المنافع، ودفع المضار. فاسأل ربك المنفعة العامة، وليس إلاّ أن يزول عنك الألم، وترزق الالتذاذ بكل ما يجري عليك.

والله أعلم.

مسألة (٢٥٢)

غذاء الحيوان أنفاسه، وغذاء الجواهر والأجسام أعراضها. ولما لم يكن للعرض غذاء فني في الزمن الفرد الذي يلي زمان وجوده. فقال أهل الكلام: «العرض لا يبقى زمانين، غير قائم بنفسه». وهو إلهام عجيب من الله تعالى وفقهم له حين ألهمهم الذي عليه الأمر[٣].

والله أعلم.

مسألة (٢٥٣)

الجود المطلق العطاء ابتداءً من غير طلب عوض وهو المحسان[٤].

والله أعلم.

---

(١) في (س): (ثلاثة).

(٢) في (س): (يدعوا).

(٣) في (م): (الذي الأمر عليه).

(٤) أي رجل محسن، ومحسان. أي كثير الإحسان ومحسان، على قول سيبويه. انظر: **لسان العرب**، مادة (حسن)، طبعة دار المعارف، بمصر.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٢٥٤)

اعلم أن اللطيف المركب مع الجسد الكثيف يُسمى الروح. وهو جسم لطيف سارٍ في جميع أجزاء البدن. وذراته محمول على بخار الدم. واللطيف المذكور يسمونه الأطباء روحاً حيوانياً. والأغذية تمده والبخار الغريزي يحفظ نظامه. والرطوبة الأصلية متممة لقوامه ويموت بموت البدن. ويدّثر بدثوره. وينمو، ويزيد، ويضمحل ويبيد. وهو الحيوان والإنسان.

واعلم أن هذا اللطيف الحي موجود في النبات والحيوان، والإنسان. وفي كل حي متحرك ذي نفس سائلة وغير سائلة. وأنها غير الروح الإنساني، وغير النفس الناطقة، وغير روح الحيوان ذات الحس والحركة. وأن النبات يحيا[1]، ويتغذى[2]، وينمو. وتسمى هذه الروح النامية لا الحساسية، ولا غيرها.

والله أعلم.

مسألة (٢٥٥)

اعلم أن هذا الجنس الروحي يتنوع إلى تسعة أنواع:

الأول: روح كلية حاملة نظام العالم بأسره كلياته، وجزئياته. وتسمى هذه الروح الطبيعة الفاعلة المنفعلة، القائمة بكل شيء قياماً على ما ذلك الشيء به.

الثاني: روح المعدن، وتسمى الخاصة. وهي للمعدن، والنبات، والحيوان، والإنسان.

الثالث: روح كلية مخصصة لكل نوع، وكل شخص من أشخاصه بخواص يتميز عن غيره بها.

الرابع: روح النبات، وهي النفس النامية بها نموه، ونمو الحيوان، ونمو الإنسان.

الخامس: روح الحيوان، وتسمى الروح الحيوانية. ولها الحس والحركة وهي في الإنسان، وفي الحيوان. إذ بها يتحرك الحيوان ويحس المحسوسات الخمس. وليس ذلك للنبات، ولا للمعدن.

السادس: روح الإنسان، وهي النفس الحيواني الكاملة الإحساس والحركات، والتي لها الأوصاف الحيوانية: كالمحبة، والبغض، والرضى، والغضب، والجور، والطمأنينة، والإقبال، والإدبار، والطلب، والهرب، والشهوة، والكراهية. وسائر صفات الإنسان الحيوانية. محمودها، ومذمومها المتفرقة في أنواع الحيوان بالطبع والخاصية. والمجموع في الإنسان

---

(١) في الأصل: (يحيى).

(٢) في الأصل: (يتغذا).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالقصد، وبالخاصية، وبالطبع. وهذه الروح إذا انحل تركيب الإنسان ذهبت عنه، وبقي فيه الروح الكلية الحاملة للنظام، والمسماة الطبيعة الفاعلة، والمنفعلة فقط.

السابع: روح مختصة بالإنسان تسمى النفس الإنسانية المشتركة بين الحيوانية من الإنسان، وبين الناطقة منه. وهي المتصفة بالفضائل والرذائل. وليست بموجودة في الحيوان، ولا النبات ولا المعدن. وسميت مشتركة لكونها متصفة بما ذكر. متوسطة بصفاتها بين الروح الحيواني في صفاته، وبين النفس الناطقة في صفاتها.

الثامن: روح الإنسان الخاصة به وتسمى النفس الناطقة وهي في الإنسان دون المولدات الثلاث. وهي جوهر حي، درّاك، شاعر ببعض المغيب. عالم البعض ما في المستقبل بالاستقراء الشيّق إلى معرفة المبدع له. فاعل بقواه ما لا تفعله أرواح المولدات وقواها.

ولهذه النفس الناطقة سبع خواص باطنة من قوى ظاهرة بالدماغ، ولها خمس خواص ظاهرة قلبية مشتركة الدروك بين قواها وقوى النفس الحيوانية.

فأمّا أسماء الخواص الباطنة الدماغية التي مظاهرهن بطون الدماغ:

قوة تسمى الحس المشترك: مظهرها أول بطن من بطون الدماغ بمقدم الرأس. وقوة التخيل بمؤخر هذا البطن ومظهرها به، أيضاً. وبهاتين القوتين يشعر الإنسان بسائر المعلومات المرتسمات فيها، وسائر الأشياء المتخيلات حقاً كان أو باطلاً، صدقاً أو كذباً، ممكنة الكون أو مستحيلة هذا دأب هاتين القوتين.

ثم البطن الوسط من بطون الدماغ الثلاثة. مظهر للقوة المفكرة العاقلة الداركة المثبتة للحق حقاً وللباطل باطلاً، وللصدق صدقاً، وللكذب كذباً. والقاضية في الخيال بما يجب، وما يجوز، وما يستحيل. ومظهرها وسط الوسط. وهي محسوسة في هذا البطن بالظهور بين قوتين مظهرهما به، وكذلك أحدهما.

أحدهما: تسمى القوة المتوهمة: التي بها المتوهمة والوهم في الأشياء، والتردد، والتشكيك. وهذه في طرف البطن الذي يلي المتخيلة.

والثانية: تسمى القوة الفاهمة في الطرف من البطن مما يلي مؤخر الدماغ، وبهذه نفهم الأشياء على اختلاف أحوالها. ونفهم المعاني، والمعقولات. ثم البطن الأخروية مظهر قوة الذكر.

وتسمى الذاكرة:

وهي مما يلي الفاهمة بها التذكر لكل منسي وكل شيء كان علمه قد تقدم.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وآخر هذا البطن مظهر للقوة الحافظة: بها يحفظ الإنسان المعلوم والمعلومات وسائر المتحصلات لباقي القوى المذكورة.

فكما أن الحس المشترك قناص يحتوي[1] باقتناصه على سائر المعقولات والمحسوسات. وكأنما المتخيلة ناقد معتبر لكل ما في شبكة الحس المشترك من صيد. هاتان القوتان بمنزلة الشياطين والفسّاق الماردين.

وكأنما القوة المفكرة ملك كريم، وبشر عليم حليم ورجل جامع للخير والفضل. وقوة الوهم حاجب بين يديه يعرض القصص عليه. وقوة الفهم كاتب حاسب لبيب ضابط يكتب أحسن ما يسمع. ثم يلقيه إلى القوة الذاكرة، فتحصله في ذكراها ثم تلقيه إلى القوة الحافظة التي هي بمنزلة اللوح والأمين الخازن. وكأنما هاتان القوتان ملائكة كرام ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾[2]. فافهم.

وأمّا الحواس الظاهرة:

فالقوة الباصرة: ومظهرها العين، ومداها المنظور لها أنوار الكواكب، ونصف دائرة الفلك توهماً، وما بين ذلك وبين الباصرة.

ثم القوة السامعة: ومظهرها صماخ الأذن. ومدى سمعها دائرة محيطة من سائر الجهات بحسب قوتها وضعفها.

ثم القوة الشامة: ومظهرها الأنف ومنخراه، ومدى مشامها من جهة قصد الهواء إليها. وبحسب قوة المشموم، وضعفه.

ثم القوة الذائقة: ومظهرها رأس اللسان دون الفم كله.

ثم القوة اللامسة: ومظهرها سطح البدن والجسد كله باختلاف في أجزائه. كلمس الشيء بالرجل ناعماً معتدل الحرارة وبالكف خشناً حاراً. وبالخد الخشونة والحرارة.

وهذه الحواس مشتركة بين الإنسان والحيوان في الإحساس بها. وهي في الإنسان أزيد إلاّ حاسة الشم. فإنها في الحيوان الساعي أقوى.

وكذا حاسة البصر فإنها في الطير أقوى لشدة الحاجة من الحيوان إلى البصر والشم.

النوع التاسع:

روح الأرواح، وتسمى هذه الروح العقل الإنساني والهيولاني، والجوهر المفارق، والملاك

---

(١) في الأصل: (يحتوش).

(٢) القرآن الكريم، سورة التحريم، الآية ٦، مدنية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكروبي ذو التدبير في المملكة الإنسانية، والقابل للفيض الإلهي، والوحي الإلهامي والتكليم الرباني، والخطاب العلمي المسموع بواسطة حجاب ما من الحجب المعنوية الروحية. أو مكافحة رسول من الملائكة الأقدسين الروحية النورانية. أو وحي ينفث في الروح أو قول عام باللسان المطلق.

ولهذا الجوهر المفارق مادة الثبوت بحسب مرتبته الجوهرية وهو المخلوق بأحسن تقوم، وفيه أقول:

وَهوَ الحَقِيقَةُ[1] حَاكِماً ومُحَكَّماً ... مُتَصَرِّفٌ بِالعَدْلِ والإِنْصَافِ
وَلأَجْلِهِ كَانَ الجَمِيعُ لأَنَّهُ ... هُوَ صَاحِبُ الأَسْمَاءِ والأَوْصَافِ
فَاعْرِفْهُ مَخْلوقاً تَعالى رَبُّهُ ... عَنْهُ وَهَذا فِي العِبَادَةِ كَافِ

وهذا لا يموت بموت بدن يبقى حياً مجرداً. مرتسمة فيه[2]، وله، وبه مكتسباته، ومستفاداته، ومعلوماته أبداً. مبتهجاً بذاته المستعدة لقبول الفيض العلي، والمادة الثبوتية وإن علمه، وعالمه، ومعلومه واحد. وأنه في حفظ النفس الناطقة بالإمداد لها والتجلي كحفظها لنظام النفس الحيواني. وكحفظ البدن بالنفس الحيواني على ما اقتضته الحكمة الإلهية. والله أعلم[3].

مسألة (٢٥٦)

للإمام حجة الإسلام الغزالي، قدّس الله سرّه.

قال رضي الله تعالى عنه: اعلم أن الحق تعالى إنما خفي مع ظهوره لشدة ظهوره. فظهوره سبب بطونه، ونوره حجاب نوره. ولعلك تتعجب من هذا الكلام، وتستبعده ولا تفهمه إلا بمثال.

فأقول: لو وجدت كلمة مكتوبة لحصل لك يقين قاطع بوجود كاتب لها قادر سميع بصير. ولم يدل عليه إلاّ صورة كلمة واحدة وكما شهدت هذه الكلمة شهادة قاطعة بصفات الكاتب، فما من ذرة في السموات والأرض من فلك وكوكب وشمس وقمر

---

(١) في (س): (الخليفة) وربما كانت أفضل.

(٢) في (س): (وهذا لا يموت بموت البدن بل يبقى فيه) والباقي سقط.

(٣) هنا نصل إلى نهاية النسخة (س) التي هي نسخة المسائل. وهي المسألة رقم (٢٢٣) حسبما ورد بها. ويختتم الناسخ بقوله: «وإليه المرجع والمآب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم والحمد لله رب العالمين». فرغ من كتابة هذه المسائل الشريفة الأكبرية العبد الفقير: كمال الدين محمد بن محمد بن محمد العامري الحسيني الصدّيقي، الشهير كأسلافه: بابن الغُزّى. غفر الله له. صبيحة يوم الجمعة ٢١ من شهر شوال المبارك من شهور سنة (١١٩٩) أحسن الله ختامها.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحيوان ونبات وصفة وموصوف إلاّ وهي شاهدة على نفسها بالحاجة إلى مدبر دبرها، وخالق خلقها وخصصها بخصوص صفاتها. بل لا ينظر الإنسان إلى عضو من أعضائه، وجزء من أجزائه ظاهراً وباطناً. بل إلى صفة من صفاته وحالة من حالاته التي تجري عليه قهراً بغير اختياره إلاّ ويراها ناطقة بالشهادة بخالقها، وقاهرها، ومدبرها.

وكذلك كل ما يدركه بجميع حواسه في ذاته، وخارجاً من ذاته. ولكن لما كثرت الشهادات، وأشفقت خفيت وغمضت بشدة الظهور.

ومثال هذا أن ظهر الأشياء ما يدرك بالحواس، وأظهرها ما يدرك بحاسة البصر وأظهر ما يدرك بحاسة البصر نور الشمس المشرق مع الأجسام، الذي به يظهر كل شيء، فما يظهر به كل شيء. كيف لا يكون ظاهراً. ثم لو كانت الشمس دائمة لا تغيب لا يقع لها ظل لكنت لا تعرف وجود النور. وكنت تنظر إلى الأنوار فلا ترى إلاّ الحمرة والسواد والبياض.

فأمّا النور فلا يدركه إلاّ بأن تغيب الشمس، أو يقع لها حجاب بما له ظل. فيدرك باختلاف الأحوال بين الظلمة والضياء أن النور شيء آخر يعرض للأكوان فتصير مبصرة به.

ولو تصور للّه غيبة أو لأنوار قدرته حجاب عن بعض الأشياء لأدركت التفرقة بين الحالتين. وعرف وجوده قطعاً. ولكن لما كانت الأشياء كلها متفقة في الشهادة، والأحوال كلها مضطردة على نسق واحد كان ذلك سبباً لخفائه فسبحان من احتجب بنوره، وخفي عليهم بشدة ظهوره فهو الظاهر الذي لا أظهر منه، وهو الباطن الذي لا أبطن منه.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٥٧)

قال الإمام أبو القاسم الجنيد[١]، رحمه اللّه تعالى: «التوحيد: إفراد القدم عن الحدوث».

وقال غيره: «التوحيد أن يكون الحق تعالى عندك على ما لم يزل، وأن يكون الخلق على ما لم يكن».

وقال غيره: «إثبات ذاته غير معطلة من الصفات، ولا شبيهة بالذوات».

وقالت الأشعرية[٢]: «إن الصفات أعيان زائدة على الذات لا يقال إنها الذات ولا غير الذات، احترازاً من قول المعتزلة[٣] فإنهم يقولون إنها نفس الذات، واحترازاً من قول

(١) سبقت الإشارة إليه.
(٢) سبقت الإشارة إليها.
(٣) سبقت الإشارة إليها.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكرامية[1]، فإنهم يقولون إنها غير الذات، وإنها حوادث». تعالى اللّه عما يقولون علواً كبيراً.

وقال أهل التحقيق من الصوفيين: «إنها نسب ثابتة الأحكام، معدومة الأعيان». والذي يليق بنا أن نعتقده، ونعلمه أن صفات الحق تعالى ثابتة الأحكام بلا خلاف عند العقلاء. وأما أعيانها فلا نتعرض لها بنفي ولا إثبات. وهذا طريق السلامة

واللّه أعلم.

مسألة (٢٥٨)

سُئل الإمام علي، كرّم اللّه تعالى وجهه. وأعاد علينا من بركاته: «هل عرّفت اللّه بمحمد؟ أم عرّفت محمداً باللّه تعالى؟».

ـ لو عرّفت اللّه بمحمد لما عبدته، ولكان محمد أوثق من اللّه تعالى في نفسي. ولو عرّفت محمداً باللّه لما احتجت إلى رسول اللّه. ولكن اللّه عزّ وجلّ عرّفني نفسه كما شاء، وبلا كيف. وبعث محمداً، (صلى اللّه عليه وسلم) بتبليغ أحكام القرآن، وبيان معضلات الإسلام والأيام، وإثبات الحجة، وتقويم الناس على منهج الخلاص. فصدقته لما جاء به من عنده. انتهى ذلك.

مسألة (٢٥٩)

في معنى قوله صلى اللّه عليه وسلم: (**رأيت ربي في أحسن صورة**)[2].

فاعلم أنه ليس المراد به صورة الذات. إذ الذات المقدسة لا صورة لها من حيث التخيل بالمثال. كما تخيل جبريل (عليه السلام) في صورة «دحية الكلبي». وليس بمعنى أن ذات جبريل انقلبت ذات دحية. بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة لرسول اللّه، (صلى اللّه عليه وسلم) مثالاً مؤدياً عن جبريل ما أوحي إليه. وإذا لم تكن تلك الاستحالة في حق الملك عن حقيقة فلأن يكون ذلك في حق اللّه تعالى ورسوله، (صلى اللّه عليه وسلم)، أولى.

---

(١) **الكرامية**: هي الفرقة التي تتبع أبي عبد اللّه: محمد بن كرام السجستاني الزاهد شيخ هذه الطائفة ومؤسسها. وكرام ينطقها أكثر العلماء (بفتح الكاف وتشديد الراء) والكرامية بخراسان ثلاثة أصناف: حقائقية، وطرائفية، وإسحاقية. وهذه الفرق الثلاث لا يكفر بعضها بعضاً وإن أكفرها سائر الفرق. وهم يدعون إلى تجسيم المعبود، ويقولون إنه جسم له حدّ ونهاية من تحته، والجهة التي منها يلاقي عرشه. يقول البغدادي: وهذا شبيه بقول الثنوية: «إن معبودهم الذي سموه نوراً يتناهى من الجهة التي تلاقي الظلام وإن لم يتناه من خمس جهات. وقد وصف ابن كرام معبوده بأنه جوهره».
انظر: **الفرق بين الفِرق**، للبغدادي، ص ٢٢٧ وما بعدها.

(٢) حديث: «**رأيت ربي في أحسن صورة**». سبقت الإشارة إليه.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٢٦٠)

رب الأرباب هو الحق باعتبار الاسم الأعظم.

والتعين الأول: هو منشأ جميع الأسماء. غاية الغايات متوجه الرغبات كلها. وهو الحاوي لجميع المطالب. وإليه الإشارة بقوله: ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾(١). لأنه صلى الله عليه وسلم مظهر التعين الأول. فالربوبية المختصة به هي هذه الربوبية العظمى.

والله تعالى أعلم.

مسألة (٢٦١)

اعلم أنه قد ألحق الممكن بالواجب في الوجوب فله الإيجاد. فأوجب للممكن ما هو عليه الواجب لنفسه من الأسماء والنسب فله الإيجاد على الإطلاق ما عدا(٢) نفسه. وللخيال الإيجاد على الإطلاق ما عدا(٢) نفسه.

فالخيال موجود لله تعالى في حضرة الوجود. والحق تعالى موجود للخيال في حضرة الانفعال الممثَّل.

الـكُـلُّ يَـدْخُـلُ تَحْـتَ الحَصْـرِ أَجْـمَـعُـه ... فَـلَـيْـسَ ثَـمَّ سِـوَى مَـنْ لَـيْـسَ يَمْـتَـنِعُ

فَـاعْـجَـبْ لِمُـنْـفَـعِـلٍ فـي ذَاتِ فَـاعِـلِـه ... يَـكُـنْ بِـهَـا فَـاعِـلاً والـكُـلُّ قَـدْ جَـمَـعُـوا

عَـلَـى وُجُـودِ الَّـذي قُـلْـنَـاهُ مِـنْ عَـجَـبٍ(٣) ... .

مسألة (٢٦٢)

في معنى قوله تعالى: ﴿ثم دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾(٤).

قوله تعالى: ﴿ثم دنا﴾ أي من كرامة الله تعالى. ﴿فتدلّى﴾: أي من كرامة الله تعالى. يعني أن كرامة الله تعالى أحاطت به من جميع نواحيه.

وقوله: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾. لا تظن أنه بقي بينه وبين ربه تعالى من المسافة كقاب قوسين تعالى الله عن ذلك. بل معناه أنه تعالى علاه عن العوالم جميعها حتى لم يبق بينه وبين الخروج من حد العالم. يعني أن لا يكون مخلوقاً إلاّ كقاب قوسين.

---

(١) القرآن الكريم، سورة النجم، الآية ٤٢، مكية.

(٢) في (م): (ما عدى).

(٣) سقط الشطر الثاني من الناسخ ولم أهتد إليه بعد بحث.

(٤) القرآن الكريم، سورة النجم، الآيتان (٨، ٩)، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقيل له: «قف فقد وقف بك الزمان لأنك جسم، ومن لوازم الجسم المكان. وأمّا من لا يحتاج إلى المكان لذاته فهو اللّه تعالى وحده».

واللّه تعالى أعلم.

مسألة (٢٦٣)

اعلم أن النعم تنقسم إلى مطلقة من كل وجه، وإلى مقيدة من وجه دون وجه.

أمّا النعم المطلقة فكالإيمان، وحسن الخلق. وما يعين عليهما مما يفضي إلى السعادة في الآخرة بالقرب من جوار اللّه تعالى.

وأمّا النعم المقيدة فكالمال، وصحة البدن وغيرهما بما فيه صلاح الدين من وجه، وفساده من وجه. وكذلك المصائب تنقسم إلى مطلقة من وجه، وإلى مقيدة من وجه دون وجه.

أمّا المصائب المطلقة: فكالكفر، والمعصية، وسوء الخلق المفضية إلى الشقاوة في الآخرة بالعبد عن جوار اللّه تعالى: إمّا مدّة، وإمّا أبداً.

وأمّا المصائب المقيدة من وجه دون وجه. فالكفقر والمرض، وسائر أنواع المصائب.

فأمّا النعم المطلقة فإنه يجري فيها حكم الصبر والشكر معاً. أو الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة.

وأمّا المصائب المطلقة فالصبر عنها أيضاً هو عين شكر النعمة التي امتنع من استعمالها في المعصية. فقد ظهر جريان حكم الصبر والشكر في فعل النعم المطلقة، وفي الصبر عن المصائب المطلقة.

أما الصبر على المصائب المطلقة فلا معنى له بل حق تركها. بل كل مؤلم يمكن إزالته ومات بسببه مات عاصياً. وإنما يؤمر بالصبر على ما لم يكن إزالته، وقد صحّ أن اللّه تعالى لم يخلق شيئاً إلاّ وفيه حكمة ونعمة. إما على جميع الخلق، وإمّا على بعضهم. فإذاً في كل معصية نعمة. إما على المبتلي وإما على غيره. فإذاً كل حالة لا توصف أنها بلاء مطلق، ولا نعمة مطلقة يجتمع فيها الصبر والشكر معاً.

فإن قيل هما المتضادان فكيف يجتمعان إذ لا صبر إلاّ على مُغِمٍّ، ولا شكر إلا على مفرح.

فاعلم أن الشيء قد يغتمّ به من وجه، ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام، ويكون الشكر من حيث الفرح. ومن آمن بأن أجر المصيبة خير من المصيبة؛ تصور منه الشكر على المصيبة.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واعلم أن النعمة أفضل من البلاء. ولذلك قال رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم: **(سلوا اللّه العافية. فما أعطي عبد أفضل من العافية إلاّ اليقين)**[1].

أشار به إلى عافية القلب من مرض الجهل والشك. وقد كان يستعيذ باللّه من شر الدنيا والآخرة. ولأن البلاء إنما صار نعمة بالإضافة إلى ما هو أكبر منه. إمّا في الدنيا، وإمّا في الآخرة، وبالإضافة إلى ما يرجى بالصبر عليه من الثواب.

وأمّا بيان أن الصبر أفضل أو الشكر: فقد وقع فيه خلاف بعيد التحصيل، والذي يوضح حقيقة هذه المسألة هو أن تعلم أن الصبر والشكر اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين، فثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى يسمى صبراً بالإضافة إلى باعث الهوى. ويسمى شكراً بالإضافة إلى باعث الدين.

وباعث الدين إنما خلق لهذه الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه.

واعلم أن مجاري الصبر ثلاثة: الطاعة، والمعصية، والمصيبة.

فقد ظهر حكم الصبر، والشكر في الطاعة والمعصية. وأمّا المصيبة عبارة عن فقد نعمة. وهي إمّا نعمة ضرورية كالعين مثلاً. وإمّا نعمة احتياجية كالزائد على قدر الضرورة من المال.

أما العينان فصبر فاقدهما إنما هو بأن لا يظهر الشكوى وأن يظهر الرضى بقضاء اللّه تعالى وشكره. وأحدهما إنما بأن يستعملهما في طاعة اللّه تعالى، وأن لا يستعين بهما على معصية. وكل منها لا يخلو من الصبر والشكر. وأما الزيادة على قدر الضرورة من المال، ففقد الزيادة على قدر الضرورة مما هو محتاج إليه مُغِمّ مؤلِمٌ. ففي العبد عليه مجاهدة، وهو جهاد الفقر، ووجود الزيادة نعمة. وشكرها أن تصرف في الطاعة، وأن لا تستعمل في المعصية. فإن أضيف صبر الفاقد إلى شكر الواجد الذي صرف الزيادة في الخيرات فهذا الشكر أفضل من هذا الصبر لأن فيه فرح بأنعم اللّه. وفيه صبر على احتمال ألم صرفه للفقراء وترك صرفه إلى التنعم المباح.

وأمّا إذا كان شكره لا يستعين به على معصية بل يصرفه إلى التنعم المباح، فالصبر هناك أفضل من الشكر. فالفقير الصابر أفضل من الغني الصارف ماله إلى المباحات، لا من الصارف ماله إلى الخيرات. فربّ غني شاكر، أفضل من فقير صابر، وهو الذي لا يمسك

---

(١) حديث: «سلوا اللّه العافية فما أعطي عبد أفضل من العافية إلاّ اليقين». انظر مسند أحمد ج١ ص٨ ط دار صادر - بيروت. وسنن الترمذي ج٥ ص ٢٣٥ ح ٣٦٦٤ ط دار الفكر - بيروت. السنن الكبرى، النسائي ج٦ ص ٢٢١ ح(١٠٧٢٠) ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لنفسه مالاً إلاّ قدر الحاجة، ويصرف الباقي في الخيرات. أو يمسكه على أنه خازن للمحتاجين. فمتى وجد محتاجاً صرف إليه قدر حاجته ابتغاء مرضاة اللّه في نفع عباده. فهذا هو الغني الشاكر، الذي هو أفضل من الفقير الصابر.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٦٤)

اعلم أن الحق تعالى قد جعل بين الأشياء مناسبات ليربط العالم بعضه إلى بعض. ولولا ذلك لم يلتئم، ولم يظهر له وجود أصلاً. وأصل ذلك: المناسبة التي بيننا وبين الحق تعالى، التي لولاها ما وُجدنا، ولا قبلنا التخلق بالأسماء والحضرات الإلهية. فما من حضرة له تعالى، إلاّ ولنا فيها قدم ولنا إليها طريق، وأعظم الحضرات الإلهية في هذا الباب أنه لا يشبهه شيء. وما ثمَّ إلاّ نحن، ومن لم يشبهك ولم تشبهه. فكما انتفت المثلية عن الحق تعالى انتفت المثلية عن العالم. لأنه مبدع على غير مثال. فلا مثل للّه تعالى إلاّ أن يكون إليه آخر. ولا إله إلاّ اللّه تعالى فلا مثل للّه تعالى، ولا مثل للعالم، إلاّ أن يكون عالم آخر، ولا عالم إلاّ هذا العالم، فلا مثل للعالم.

فصحت المناسبة لنا من وجهين من نفي المثلية ومن قبولنا الأسماء والحضرات الإلهية.

ف ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[1]. آية لله تعالى، ولنا من أجل الكاف مؤذن بالاشتراك في التناسب.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٦٥)

اعلم أن كل صورة في العالم عَرَض في الجوهر. وهي التي يقع عليها الخلع، والسلخ، والجوهر واحد. والقسمة في الصورة لا في الجوهر.

واللّه تعالى أعلم.

مسألة (٢٦٦)

اعلم أن الروح من حيث جوهره، وتجرده، وكونه من عالم الأرواح المجردة مغاير لبدنه، قائم بذاته، غير محتاج إليه في قوامه وبقائه. وإنما يتعلق به تعلق تدبير له. ومن حيث إنه صورته، ومظهر كمالاته وقواه في عالم الشهادة، محتاج إليه غير منفك عنه بل سارٍ فيه، لا

---

(١) سبقت الإشارة إلى الآية الكريمة.

سريان حلول واتحاد بل سريان الوجود المطلق في جميع الموجودات. فليس بينه وبين بدنه مغايرة من كل الوجوه بهذا الاعتبار.

واعلم أن المرتبة الروحية ظلّ المرتبة الأحدية، والمرتبة القلبية ظلّ المرتبة الواحدية الإلهية.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٦٧)

اعلم أن الأثر لا يكون إلاّ للمعدوم، لا للموجود. وإن كان للموجود فبحكم المعدوم. وهو علم غريب ومسألة نادرة. ولا يعلمها ذوقاً إلاّ أصحاب الأوهام، وهم الذين يتوهمون أموراً لا وجود لها وتنفعل نفوسهم منها، وتتأثر انفعالاً عظيماً، وتأثراً قوياً. وأمّا من لا يؤثر فيه الوهم فلا نصيب له من هذه المسألة، بحسب الذوق.

وأمّا بيان أن الأثر لا يكون إلاّ للمعدوم لا للموجود فاعلم أن الحق من حيث ذاته، غني عن العالمين، ومن حيث أسمائه فإنها تطلب وجود العالم. فوجود العالم مستند إمّا إلى الحق تعالى من حيث ذاته. وإمّا إلى صفاته. فالمؤثر إن كان الذات فتأثيرها بحسب النسب التي لا أعيان لها في الخارج أيضاً. فصحّ أن المؤثر في الموجود وجوده. وهو الذي لا عين له في الخارج.

وأمّا معنى قولنا: وإن كان للموجود حكم وأثر، فهو أيضاً بحكم المعدوم وهو المرتبة التي بها يحكم الموجود على الشيء. ألا ترى أن السلطان ما دام متحققاً بالسلطنة تجري أحكامه، وتنفذ أوامره في رعاياه، ولو كان صبياً. وعند انعزاله من السلطنة لا ينفذ له حكم أصلاً مع أنه موجود وكذا جميع أصحاب المناصب. فظهر أن الحكم للمراتب وهي نسب عدمية.

واللّه تعالى أعلم.

مسألة (٢٦٨)

اعلم أن العلو عُلوّان: علو المكانة. وعلو المكان.

فعلو المكانة للعلم. وعلو المكان للعمل. لأن المكانة للروح كما أن المكان للجسم.

والعلم روح العمل، والعمل جسده. فاقتضى كل منهما بحسب المناسبة ما يشابهه، ويماثله. فعلو المكانة للعالم. وعلو المكانة للعامل. ومن جمع بينهما فله[1] العلوان. فالإنسان الكامل له العلوان لا لذاته بل بهما.

---

(١) في (م): (ومع جمع بينهما...). وعدلت الجملة هكذا بناء على ما فهمته من الفص الرابع من فصوص الحكم لابن عربي وهو فص حكمة قدّوسية في كلمة إدريسية. انظر: **فصوص الحكم**، الإشارة السابقة.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالعلو إذاً لهما لا له، وهذا العلو المضاف إليهما إنما هو من جملة ظهور الحق تعالى بالصفات الكونية مثل قوله تعالى: (**مرضت ولم تعدني**)[1] ونحو ذلك.

فمن علم أن ليس في الوجود إلاّ اللّه تعالى علم أن العلى بالمرتبة والعلى بالمكان ليس إلاّ الحق تعالى. فأمّا ما يقتضي نسبة العلو المكاني إليه تعالى فهو قوله: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[2].

فإن العرش أجلُّ الأماكن وأعلاها[3] فهو مستوٍ عليه بحسب ظهوره فيه. فبهذا الاعتبار له العلو المكاني. وأما تعاليه تعالى عن إمكان، إنما هو بحسب الذات لا بحسب المظاهر والأسماء. وأمّا ما يقتضي نسبة علو المرتبة إليه تعالى فهو مثل قوله تعالى: ﴿**كل شيء هالك إلاّ وجهه**﴾[4].

وكونه تعالى ترجع الأمور كلها إليه. وكذا انفراده تعالى بالإلهية التي لا مرتبة فوقها، ولا أجلّ منها.

فهو تعالى منفرد بأعلى المراتب، وأعلى الأماكن وأجلّها لذاته تعالى.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٦٩)

اعلم أنك إذا أمعنت النظر في حقائق الأشياء وجدت بعضها متبوعة مكتنفة بالعوارض، وبعضها تابعة.

والمتبوعة هي الجواهر، والتابعة هي الأعراض ويجمعها الوجود الإلهي. إذ هو المتجلي بصورة كل منها. والجواهر متحدة في الجوهرية فهي حقيقة واحدة، هي مظهر الذات الإلهية من حيث قيوميتها. كما أن العرض مظهر الصفات التابعة. ألا ترى أن الذات الإلهية لا تزال محتجبة بالصفات. فكذلك الجواهر، لا تزال مكتنفة بالأعراض.

وكما أن الذات مع انضمام صفة من صفاتها إليها، تكون اسماً من الأسماء، كلية كانت أو جزئية، كذلك الجوهر مع انضمام معنى من المعاني الكلية إليه يصير جوهراً خاصاً مظهراً لاسم من الأسماء الكلية بل عينه. وبانضمام معنى من المعاني الجزئية إليه يصير جوهراً

(١) حديث: «**مرضت ولم تعدني**» لم أجد هذا الحديث في المصادرة الموجودة بين يدي.

(٢) **القرآن الكريم**، سورة طه، الآية ٥، مكية.

(٣) في (م): (وملاها).

(٤) **القرآن الكريم**، سورة القصص، الآية ٨٨، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جزئياً كالشخص. وتسمى هذه الحقيقة في اصطلاح القوم، أهل اللّه تعالى، بالنفس الرحماني، والهيولى الكلية، وما تعين منها وصار موجوداً من الموجودات يسمى بالكلمات الإلهية.

واللّه أعلم

مسألة (٢٧٠)

اعلم أنه كما أن الروح روح لبدنه فكذلك الحق تعالى روح للعالم. وكما أن الروح يدبر بدنه بقواه فكذلك الحق تعالى يدبر العالم بأسمائه وصفاته.

وكما أن الروح ليس بحال في بدنه ولا متحد به فكذلك الحق تعالى ليس بحالٌ في العالم، ولا متحد به.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٧١)

اعلم أنه ليس في الوجود العلمي ولا العيني لشيء مثل من كل الوجوه، وإذا لم يكن له مثل، فليس له أيضاً ضد من كل الوجوه، لأنه لتحقق الضدية تتحقق المثلية لأن كل ضد مماثل لضده في الضدية.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٧٢)

اعلم أن السعيد من العباد من حال اللّه تعالى بينه وبين ربوبيته وأقامه عبداً في جميع أحيانه. يخاف ويرجو إيماناً، ولا يرجو أعياناً. فافهم.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٧٣)

اعلم أن العبد بحسب ما عمل. فهو المقدس إن كان عمله تقديس الحق تعالى، وهو المنزّه بتنزيه الحق تعالى، والمعظم بتعظيم الحق تعالى. ولما لحظ من لحظ من أهل الكشف هذه الرجعة على نفسه.

قال: «سبحاني». فأعاد التنزيه عليه لفظاً كما عاد عليه حكماً.

واللّه تعالى أعلم.

مسألة (٢٧٤)

اعلم أنك إذا علمت وحدة الحقيقة الوجودية، وأن الحق خلقٌ من وجه، وأن الخلق حقّ

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من وجه بحكم مقام المعيّة. وعلمت أن الحق حق، وأن الخلق خلق في مقام الفرقة. وعلمت أن الكل حق بلا خلق في مقام الجمع المطلق، وأن الكل خلق بلا حق في مقام الفرق المطلق. وتحققت بهذه المقامات فكن إن شئت في مقامات الجمع، وإن شئت من مقامات الفرق. فإنه لا يضرُّك حينئذٍ، وأنت مخلص موحد. وتكون مع كل من سبق، ومع كل من لحق، لأنك قابل بكل المراتب عابد لله تعالى فيها جميعاً.

والله تعالى أعلم.

مسألة (٢٧٥)

قال الله تعالى: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾[1].

اعلم أنه قد زعم قوم أن خلقها ما وقع إلاّ في ستة أيام مقدرة لا موجودة. وهو خطأ. فإن الله تعالى إنما خلقها في هذه الأيام الستة الموجودة المعلومة عندنا فإنها كانت موجودة قبل خلقها. فإن الأيام للفلك الأعلى لا لها. فإن اليوم دورية غير أن الليل والنهار أمر آخر معلوم في اليوم لا نفس اليوم فحدث الليل والنهار بحدوث السموات والأرض لا الأيام.

والله أعلم.

مسألة (٢٧٦)

اعلم أن من رأى وجود الأشياء كلها من الله تعالى ابتداءً ونشأة[2]، ورأى رجوعها إليه عوداً، ورأى معيته في الأشياء بين البدء[3] والعود، لم يرَ معوجاً بل كان يرى استقامة محضة لا غير.

فالعارف إذا سئل الاستقامة إنما سئل معرفة حكمة الأشياء في وضعها. ووجوه الحق تعالى فيها. ألا إلى الله تصير الأمور.

مسألة (٢٧٧)

اعلم أنه لولا المحبة ما صح الطلب شيء أبداً، ولا وجد شيء، ولا كانت حركة من شيء إلى شيء. فالمحبة أصل في باب وجود الأعيان، وفي باب مراتبها ومقاماتها، حتى أن الحركة من الخائف في سرية إنما سببها حب النجاة. فالحب أعلى المقامات والأحوال. والساري فيها وهو الأمر الجامع، والأصل الكلي لكونه مقام أصل الوجود وسيده. ومبدأ

---

(١) القرآن الكريم، سورة (ق)، الآية ٣٨، مدنية.

(٢) في الأصل: (ونشئة).

(٣) في الأصل: (البدأ).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العالم ويُمِدّه وهو سيدنا محمد، صلى اللّه عليه وسلم. فاتخذه اللّه حبيباً حين اتخذ غيره خليلاً، ونجيّاً، وصفيّاً. فمن حقيقة هذا السيد تفرعت هذه الحقائق علواً وسفلاً. فأعطى الله أصل المقامات وهو المحبة لأصل الموجودات. وهو سيدنا محمد، صلى اللّه عليه وسلم. وبالحب كان الوجود المحدث.

والله أعلم.

مسألة (٢٧٨)

اعلم أن معرفة المراتب من أشرف علوم المعرفة. فإن الذي لا يعرف حقائقها يلتبس عليه التوحيد، ويخامره الشك. ومن لم يعرف المراتب لم يعرف الخلق. فإن الخلق وهم عدم في وجود الحق تعالى. قال سيدنا محمد، صلى اللّه عليه وسلم: **(من عرف نفسه فقد عرف ربه)**[1]. قال بعضهم: (انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم).

والله أعلم.

مسألة (٢٧٩)

تنوعت الصور الحسية، فتنوعت اللطائف، فتنوعت المآخذ، فتنوعت المعارف، فتنوعت التجليات. فوقع التحول والتبدّل في الصور في عيون البشر. فلا يعاين إلاّ من حيث العلم والمعتقد. واللّه تعالى أعزّ وأجلّ من أن يُشهد.

والله أعلم.

مسألة (٢٨٠)

ما من مخلوق إلاّ وله حال مع اللّه تعالى. فمنهم من يعرفه، ومنهم من لا يعرفه. فأمّا علماء الرسوم فلا يعرفونه أبداً. فإن الحروف التي عنها أخذوا علومهم تحجبهم، وهي حضرتهم. فليس لهم رائحة من نفحات الجود، وإن كان أجر الاجتهاد والدرس والأجر كون أيضاً. فما زالوا من رق الكون.

وأمّا من كان على بيّنة من ربه؛ فإنه يكشف له مما أريد به فيظهره ويسكن تحت جري المقادير. فطاعاته ومعاصيه له مشهودة. فيعرف متى يعصي، وأين يعصي وكيف يتوب ويجتبي فيبادر لكل ما كشف له مستريحاً برؤية عاقبته متميزاً عن غيره بهذا.

واللّه تعالى أعلم.

---

(١) سبقت الإشارة إليه.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٢٨١)

التوحيد علم، ثم حال، ثم علم. فالعلم الأول: توحيد الدليل، وهو توحيد العامة أعني علماء الرسوم. وتوحيد الحال: أن يكون الحق تعالى نعتك فتكون هو لا أنت في أنت.

﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾(١).

والعلم الثاني: بعد الحال توحيد المشاهدة. فترى الأشياء من حيث الوحدانية. فلا ترى إلاّ الواحد. وبتجليه في المقامات تكون الوحدات. فالعالم كله وحدات. فيضاف بعضهم إلى بعض تسمى مركبات يكون لها وجه في هذه الإضافة تسمى أشكالاً. فليس لغير هذا العالم هذا المشهد.

والله أعلم.

مسألة (٢٨٢)

اعلم أنه لما في قوة الأحد أحدٌ به كل موجود ظهر جميع ما ظهر بأحدية تخصه أعطتها أحدية الذات الواهبة وجود ما وجد من الموجود. والواهية علم ما علم من المعلومات.

فالأحدية ظاهرة في الآحاد خفية في المجموع في المركبات وهي المعبر عنها في لسان الشرع بالأسماء. وفي العقول السليمة بالنسب. وفي العقول القاصرة النظر بالصفات. وأبين ما يظهر فيه حكم الواحد في العدد لأنه بالواحد يظهر العدد، وينشأ على الترتيب الطبيعي من الاثنين إلى ما لا يتناهى. وبزوال الواحد منه يزول العدد.

والله أعلم.

مسألة (٢٨٣)

النور اسم من أسمائه تعالى، وهو تجليه باسمه أعني في صور الأكوان كلها. وقد يطلق على ما يكشف المستور من العلوم اللدنية والواردات الإلهية التي تطرد الكون عن القلب.

والله أعلم.

مسألة (٢٨٤)

السرُّ في اصطلاحهم هو ما يخص كل شيء من الحق تعالى عند التوجه الإيجادي المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾(١).

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية ١٧، مدنية.

(١) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية ٤٠، مكية. كانت محرّفة في الأصل وقد كتبها الناسخ (إنما أمرنا) وهي نص آخر لا يتفق وهذا النص.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولهذا قيل: «لا يعرف الحق تعالى إلاّ الحق، ولا يحب الحق إلاّ الحق ولا يطلب الحق إلاّ الحق تعالى. لأن ذلك السرّ هو الطالب للحق والمحب له والعارف به».

والله أعلم.

مسألة (٢٨٥)

اعلم أيها المحب كائناً من كان: أن الحجب التي بينك وبين محبوبك كائناً من كان ليست سوى وقوفك مع الأشياء لا الأشياء، وإنما وقفت مع الأشياء لضعف الإدراك وهو عدم النفوذ. فهو المعبر عنه بالحجاب، وهو عدم والعدم لا شيء فلا حجاب ولو كانت الحجب صحيحة لكان من احتجب عنك احتجبت عنه. ولا نعرف ما نقوله إلا من كان الحق تعالى سمعه وبصره. فهو الذي يعرف ما يعبر عنه بالحجاب فوقوفك مع الحق تعالى حجابك عن الخلق. ووقوفك مع الخلق حجابك عن الحق تعالى. وهذا من باب توسع. والإيناس بما ورد به الكتاب والسنّة من ذكر الحجب الظلمانية والنورانية. وعلى هذا التوسع بنيت الحجب.

والله أعلم.

مسألة (٢٨٦)

لا تغتر بقول بعض العارفين: «العارف لا يشغله شيء عن ربه، ولا يشغله ربه عن شيء». إنما أراد قوة الحضور لا المشاهدة فما أشهدك إلاّ أفناك وأبقاك له. وما أبقاك لك. فخذ ما لك واترك ما له.

والله أعلم.

مسألة (٢٨٧)

القلق سطوات الشوق على القلوب بالهبوب إلى المحبوب والاشتياق بالهبوب إلى الدوام. وهما من أحكام المحبة. كما قيل:

فَـــابْـــكِ إنْ نَـــأَوْا شَـــوْقـــاً إِلَـــيْـــهِـــم   وَابْـــكِ[1] إنْ دَنَـــوْا خَـــوْفَ الـــفُـــرَاقِ

فهذا قد جمع حقيقة الشوق والاشتياق. فالشوق يسكن باللقاء. والاشتياق يهيج عند اللقاء. فالشوق حال. والاشتياق ثبوت.

فافهم.

---

(١) في الأصل:(فابكي).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٢٨٨)

الهيبة للقلب تمنع من الرؤية في بساط المشاهدة. كما قيل:

أَشْتَاقُهُ فَإِذَا بَدَا أَطْرَقْتُ مِنْ إِجْلاَلِهِ
لاَ خِيفَةً بَلْ هَيْبَةً وَصِيَانَةً لِجَمَالِهِ
وَأَصُدُّ عَنْهُ تَجَلُّداً وَأَرُومُ طَيْفَ خَيَالِهِ

فالجمال مهيب، والجلال معظم مخوف بخلاف ما يعرفه أئمتنا، فإنه طرأ في هذه المسألة تلبيس من وجه الجلال الإلهي الذي لا يمكن أن يرى[1] الحق تعالى فيه. فإنهم اعتقدوا أن ذلك الجلال المتجلّي إلينا وليس كذلك. ولكن للجمال جلال وهو الذي يرى الحق تعالى فيه. إذا قلنا رأيناه في مقام الجلال. وقوله صيانة لجماله. فهو قول «الشبلي»[2]: «إني أغار على القديم أن يراه المحدث». وأما قوله طيف خياله فالخيال كنى به عن الشاهد.

مسألة (٢٨٩)

علامة من عرف اللّه تعالى حقيقة المعرفة أن يطّلع على سرّه. فلا يجد علماً به. فذلك الكمال الذي لا معرفة وراءه. وفضّل رجال اللّه تعالى بعضهم على بعض باستصحابهم هذا الأمر على السواء.

واللّه تعالى أعلم.

مسألة (٢٩٠)

إذا أفناك عنك في الأشياء أشهدك إياه محركها ومسكنها. وإن أفناك عنك وعن الأشياء أشهدك إياه عيناً. فإن عقلت أنك راءٍ فما أفناك عنك فلا تغلط، وهذا هو فناء البقاء ويكون عن حصول تعظيم في النفس. ومنها البقاء بنسبتك إليه، والفناء بنسبتك إلى الكون فاختر لنفسك لمن تنتسب.

واللّه تعالى أعلم.

---

(١) في الأصل: (ير).

(٢) **الشبلي**: يقول عنه الهجويري في كتابه: كشف المحجوب. سكينة الأحوال، وسفينة المقال، أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي. كان من مشاهير المشايخ. كان دقيقاً في إشاراته حيث قال أحد المحدثين عنه: إشارات الشبلي، ونكت المرتعش، وحكايات جعفر. صحب الحلاّج فترة طويلة، واتصل بغيره من المشايخ ويُروى أنه ذهب ذات يوم إلى السوق فقال الناس عنه: «هذا رجل مجنون». فردّ عليهم قائلاً: «أنا عندكم مجنون وأنتم عندي أصحاء فزادني اللّه في جنوني وزادكم في صحتكم» أي: أن جنوني هو نتيجة محبة اللّه الصادقة، بينما عقلكم هو نتيجة الغفلة الكبيرة. فاللّهم زدني في جنوني حتى أكون قريباً منك. وزاد في عقلكم حتى تزدادوا بعداً عنه. وكأنه يدعو عليهم من غيرته. انظر: **كشف المحجوب**، ص ١٨٦، وانظر: **الطبقات الكبرى**، للشعراني. وكتاب **الشبلي**، للمرحوم الدكتور عبد الحليم محمود.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٢٩١)

قال اللّه تعالى: ﴿**يدبر الأمر**﴾[١] وهو عالم الأرواح. ﴿**يفصل الآيات**﴾[٢] في عالم الأجسام. فقد جمع الإنسان بحقيقة بين العلمين. العلم الضرورة: وبه يشارك الملائكة.

والعلم النظري: وبه يتميز عنهم. ومما يتميز به عنهم أيضاً تصور المعلومات ذوات الصور، وليس للروحانيات من ذلك التصور شيء. وإن كان لهم العلم. وهذا كله راجع إلى اختلاف النشأة.

واعلم أن الإنسان الكامل هو الحضرة الجامعة الشاملة لجميع الأسماء الإلهية. كما أنه جامع لحقائق الأكوان كلها. يعلم كيفيات حركاتها وسكناتها، وأنفاسها، وما يكون منها، وعليها لأنها هو، وهو هي. وبجمعيته للأسماء الإلهية كان له الحكم عليها والتصرف فيها. وكان لها الانقياد إليه. كما قال اللّه تعالى: ﴿**وسخّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه**﴾[٣]. فقوله تعالى: ﴿**منه**﴾. أي من جهة الأسماء الإلهية.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٩٢)

اعلم أن المقامات والاضطراب في عدم احترام[٤] الحضرة الإلهية مع العلم بما ينبغي لها شديد حمله على العارفين.

فمنها: قول رسول اللّه، (صلى اللّه عليه وسلم): (**ما ابتلي أحد من الأنبياء بمثل ما ابتليت به**)[٥]. ومنها: غضب موسى (عليه السلام)، وإلقاء الألواح. ومنها: دعاء نوح، (عليه السلام)، على قومه. فهذا إحجاب على الأيدي الإلهية المتصرفة في اللّه تعالى: ﴿**ما من دابة إلاّ هو آخذ بناصيتها**﴾[٦].

واللّه أعلم.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية ٢، مدنية.

(٢) القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية ٢، مدنية.

(٣) القرآن الكريم، سورة الجاثية، الآية ١٣، مكية.

(٤) هذه الفقرة شديدة الاضطراب في (م). وبما أن النسخة (س) قد انتهت فقد حاولت تلمس هذه المسألة في الفتوحات فلم أحصل عليها وللأمانة وضعت حرف (و) بين كلمتي المقامات ـ الاضطراب لأن المعنى بدا لي على أن شرح المقامات أو تفسيرها هو: (الاضطراب في عدم احترام الحضرة الإلهية) فوضعت حرف (و) بينهما ليكون المفهوم العائد في [لها] على المقامات وليس على الحضرة الإلهة.

(٥) حديث: «ما ابتلي أحد من الأنبياء بمثل ما ابتليت به». لم أجد هذا الحديث في المراجع الموجودة لدي.

(٦) القرآن الكريم، سورة هود، الآية ٥٦، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٢٩٣)

اعلم أن الصفات الذاتية للموصوف بها، وإن تعددت فلا تدل على تعدد الموصوف في نفسه لكنها مجموع ذاته وإن كانت معقولة في التميز بعضها عن بعض.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٩٤)

اعلم أن الذي فطر عليه الإنسان من العلم علمان.

اعلم: بوجود اللّه تعالى. وعلم: بفقره إليه، والفقر نقص مؤلم، والغنى كمال ملذ. فلا بد لكل من صفته الفقر أن يفر إلى اللّه تعالى هرباً من الفقر المؤلم، وطلباً للغنى الملذ. فهو يطلب مالاً يصح وجوده أصلاً لأنه لو استغنى أحد باللّه تعالى لاستغنى عن اللّه تعالى لأن الاستغناء عن اللّه تعالى محال. لكن اللّه تعالى، من فضله، إذا أحدث في العبد طلباً لأمر معين مما هو مفتقر إليه أعطاه لذة تزيل عنه ألم الفقر. فيزول عنه ألم الفقر المعين، دون الفقر الكلي الذي لا يمكن زواله عن الممكن في حال وجوده، ولا في حال عدمه.

واللّه أعلم.

مسألة (٢٩٥)

لا يلزم من وجود الصفات المتعلقة وجود المتعلق كوجود القدرة أزلاً، وتعلقها إنما هو الايجاد ولا يصح أن يكون الإيجاد أزلاً، وكذلك العلم فإنه لا يلزم من وجوده أن يكون متعلقها بحقائق المعلومات. بل له صلاحية التعلق والعلم المحدث عندنا واحد، لا أقول إن لكل معلوم علم فإنه لا اشترط فيه التعلق بكل المعلومات، وإنما هو معنى فيه صلاحية التعلق. فإذا نسب إلى الحق نسب إليه متعلقاً بما لا يتناهى من المعلومات حذراً من أن يقوم به جهل بما يصح أن يعلم وذلك على اللّه تعالى محال. وقلنا بوحدانيته. إذ لو كان لكل معلوم علم.

والمعلومات لا نهاية لها. ودخول ما لا نهاية له في الوجود محال. فوجود علوم لا نهاية لها محال. وما ذكرنا من تعلق العلم المحدث بما لا نهاية له جوّزه الإمام «أبو عمر الأشعري» رحمه اللّه تعالى. وهو قول صحيح عندنا نرتضيه، وإن اختلفت مآخذها في دركه فالمدرك واحد وكلاهما في هذا كله إنما هو في الصفات المحدثة المخلوقة.

وأما علم اللّه تعالى وصفاته المتعلقة فقد وافقنا على ذلك العقلاء إلاّ شرذمة قليلة وهي المعتزلة، والاعتبار لهم عندنا.

واللّه أعلم.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة (٢٩٦)

اعلم أنه ما عُبدَ شيءٌ في العالم إلاّ بعد تلبسه بالرفعة. وشهوده في الدرجة الرفيعة عند العابد. وبذلك تسمَّى الحقُّ تعالى لنا برفيع الدرجات، حيث قال اللّه تعالى: ﴿**رفيع الدرجات ذو العرش**﴾(١). ولم يقل رفيع الدرجة. فهو كثير الدرجات في عين واحدة فإنه قضى أن لا يعبدوا إلاّ إياه، في درجات كثيرة مختلفة أعطت كل درجة مجلى إلهي عُبِدَ فيها. وأعظم مجلى عبد فيها، وأعلاها الهوى. كما قال تعالى: ﴿**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه**﴾(٢). فهو أعظم معبود. فإنه لا يعبد شيء إلاّ به، ولا يعبد هو أي الهوى إلاّ بذاته. شاهدت الهوى في بعض المكاشفات ظاهراً بالألوهية قاعداً على عرشه، وجميع عبدته حافّين عليه، واقفين عنده. وما شاهدت معبوداً في الصور الكونية أعظم منه وفيه أقول:

وحقُّ الهَوَى إنَّ الهَوَى سَبَبُ الهَوَى ... وَلَوْلاَ الهَوَى فِي القَلْبِ مَا عُبِدَ الهَوَى

فحق الهوى المقسم به، أعني به الحب الأصلي الدّال عليه قدسياً بقوله: فأحببت.

إن الهوى بعينه هو سبب الهوى الحسي في القلوب. ما عبد الهوى الذي هو الميل إلى مظاهره الكونية ومجالبه الخلقية بالاتباع له والانقياد لأحكامه. ألا ترى كيف تمم سبحانه الآية بقوله: ﴿**وأضله اللّه على علم**﴾(٣).

والضلالة الحيرة فيما علم إن ﴿**وقضى ربك أن لا تعبدوا إلاّ إيّاه**﴾(٤). وهو الحق مع أن العابد ما عبد إلاّ هواه بانقياده إلى طاعة هواه فيما يأمره من عبادة من عبده حتى عبادته للّه تعالى، إنما كانت عن هوى لأنه لو لم يقع له هوى ميله فأحب، فأراد لما عبد اللّه، ولا آثره على غيره في إرادته.

لكن إرادته في عبادة اللّه تعالى وافقت حكم اللّه تعالى الذي قضى به ألاّ يعبدوا إلاّ إياه. ولو لم يوافق فيما عبده صورة ما من صور العالم الذي اتخذها بهواه، لا بالأمر الإلهي إلهاً يعبد. ومع هذا في الصورتين لا يزال العابد تحت سلطان هواه فيما عبده بحق أو بباطل لزعمه القائم بغرض غيرية المعبود، مع أن لا معبود على الحقيقة إلا اللّه، ثم رأى الحق المعبودات الكونية تتنوّع في نظر العابدين لها في الحقيقة والبطلان. فكل عابد آمراً ما يكفر من يعبد سواه، لتمحض هواه في معبود هواه.

---

(١) القرآن الكريم، سورة غافر، الآية ١٥، مكية.

(٢) القرآن الكريم، سورة الجاثية، الآية ٢٣، مكية.

(٣) استكمال الآية السابقة مباشرة (٢٣) من سورة الجاثية.

(٤) في الأصل بدون (و): (قضى ربك.....إلخ). وهي آية رقم (٢٣) من سورة الإسراء، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فما عبد كل عابد إلاّ هواه وما استعبده سواه. صادف المعبود الحق الذي شرعت عبادته أو لم يصادف بحسب مشروعية الحكم. لا بحسب ما في نفس الأمر حيث لا تقع العبادة إلاّ لمستحقيها بالذات.

ولذا التنبيه لاتحاد الهوى عند اعتبار نسبته إلى متعلقاته يرى به الكل متحداً لأحدية الهوى. وعند قطع النظر من تلك التعليقات لا يرى إلا عيناً[1] واحدة يلازمها اقتضت عبادة كل عابد لكل معبود فكان هو العارف الكامل الرائي لكل معبود مجلي للحق يُعْبَدُ فيه.

فالحق هو المعبود مطلقاً جمعاً وفرقاً. ولذلك سمّى[2] العابدون ذلك المجلي إلهاً مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك. بالنظر إلى ما في نفس الأمر.

فتأمل ترى الحكم لسلطان التجلي الإلهي في المعبودات لا لصور أعيانها المشهودات. فكن ممن عرف فأقرّ، لا ممن جهل فأنكر. وأقم منار الشرع في صورتي الإقرار والإنكار.
﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾[3].

وعلى الغيب فاعبده فإنه: **﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾**[4].

تمّ

وصلّى اللّه على سيدنا محمد النبي الأمي.

وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) في الأصل: (عين).
(٢) في الأصل: (سموا).
(٣) **القرآن الكريم**، سورة الحجر، الآية ٩٩، مكية.
(٤) **القرآن الكريم**، سورة الأنعام، الآية ١٠٣، مكية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسائل ابن عربي

كتاب اليقين و كتاب المعرفة

يعد كتاب اليقين من بين الكتب الهامة التي قدمها (محيي الدين بن عربي) . وتظهر أهميته في وضوح رؤيته وامتلاكه ناصية هامة من نواصي التنظير والتحقيق سواء من الجانب الفلسفي أو الصوفي .

فقد تشابكت الآراء حول مقولات كثيرة لابن عربي ، من هذه المقولات : ترديد بعض الكتب حول تفضيل ابن عربي نفسه في ولايته عن النبوة . وأقول لمن يرددون هذه الأقوال : اقرأوا هذا الكتاب وستأتيكم الإجابة شافية على لسانه وهو يناقش فكرة اليقين بعمق .

وبالرغم من هذا العمق وهذا التنظير إلا أن الكتاب واضح وضوحاً جلياً لدرجة تجعل من لا عهد له بقراءة كتب ابن عربي الاقتراب من هذا الكتاب ، بل وترديد ما يقوله من يسر وسهولة ، لميسور لغته ، ومأخذه ونقاء تعبيره .

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com